تصحيح أفكار ومعتقدات 7

نبوءات قرآنية

على طريق الإصلاح

سليم الجابي

ماجستير في علم الأديان المقارن

نبوءات قرآنية

على طريق الإصلاح

نبوءات قرآنية
على طريق الإصلاح

2006-2007

عنوان المؤلف
دمشق - سورية
ص ب 5425
هاتف 2710925 11 963+

الطبعة الأولى
2000 نسخة

- تجدون كل المعلومات المتعلقة بسلسلة مؤلفات المفكر سليم الجابي على العنوان الإلكتروني التالي على شبكة الإنترنت :

http://www.saleemaljabi.com

- يتلقى المؤلف برحابة صدر كل الإنتقادات و الأراء و الاستفسارات على البريد الإلكتروني :

saleem@saleemaljabi.com

- حقوق الطبع و النشر محفوظة للمؤلف ولا يجوز طباعة الكتاب أو نقله على أي نحو أو بأي طريقة سواء كانت الكترونية أو ميكانيكية إلا بإذن خطي من المؤلف ومن يخالف ذلك يعرض نفسه للمسائلة القانونية مع حفظ كافة حقوق المؤلف المدنية والجنائية

تصحيح
أفكار
ومعتقدات
7

نبوءات قرآنية

على طريق الإصلاح

سليم الجابي
ماجستير علم الاديان المقارن

صدر للمؤلف

- السلسلة العامة:

القراءة المعاصرة تحت المجهر

نظرية جذور الأخلاق

القضاء والقدر حقيقة كونية ثابتة

النظرية القرآنية حول خلق العالم

الرأي في المرأة والحرية والتراث

فن الإختزال القرآني (المقطعات القرآنية)

هل مات المسيح على الصليب ؟

الله جل جلاله (وصاله وعرفانه وطرق التقرب منه سبحانه)

نشوء الإنسان وتطوره

منهجية القرآن الكريم وأصول تفسيره

خصائص القرآن الكريم المعجزة

- سلسلة باب العبادات:

الصوم في الإسلام

فريضة الصلاة الاسلامية وأداتها الاعلامية

- سلسلة باب التفسير

في ظلال دلالات سورة الكهف

في ظلال دلالات سورة الإسراء

في ظلال دلالات سورة هود

- سلسلة تصحيح إفكار ومعتقدات

مثنى وثلاث ورباع

الجن حقيقة أم خيال؟

هل كان محمد (ص) شهوانياً؟

العقل تعريفه ـ ماهيته ـ حدود عمله

نظام الزواج في الإسلام

الإسلام علم السلام والجهاد والقتال

نبوءات قرآنية على سبيل الإصلاح

بسم الله الرحمن الرحيم

نبوءات قرآنيَة
على طريق الإصلاح

مقدّمة الكتاب:

لقد نهى الله عزّ وجلّ المسلمين ضمن هذا القرآن الكريم الذي أنزله على محمّد خاتم النّبيّين ﷺ، نهاهم ألاّ يفهموا مضامين آيات كتابه العزيز المعجز بما يتبادر من معانيها لأذهانهم. بل إنّ من واجبهم أن يتدبّروا تلك الآيات بمنهجيّة وأصول، ومن منطلق أنّ ما يتبادر لذهن المرء من نصّ آيّة قرآنيّة لا يكون هو المعنى المقصود من تلك الآية الشّريفة. وهي حقيقة تدخل في باب منهجيّة القرآن المجيد وأصول تفسيره. وهو الموضوع الذي ألّفت فيه كتاباً تضمّن ما فتحه الله تعالى منه على شخصي الضّعيف.

وبناء عليه فقد كان من واجب المسلم الذي آمن بخالق هذا العالم وبهذا القرآن العظيم وأراد فهم مضمون كلّ أيّة من آياته، وللعمل على

ما تضمّنته تلك الآيات من أحكام وتعاليم وأخبار، فقد كان من واجبه تدبُّر الآيات القرآنيّة بمنهجيّة القرآن الكريم وأصول تفسيره. وإشارة إلى هذه الحقيقة ورد قول الله عز وجلّ في معرض تمييزه فئة المؤمنين الذين يعملون الصّالحات عن فئة أولئك الذين يفسدون في الأرض وذلك في الآية 29 من سورة ص قال ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾. كذلك قال الله عز وجلّ في معرض ذمّه فئة المنافقين الذين لعنهم الله تعالى وذلك في الآية 24 من سورة (محمّد) صلّى الله عليه وسلّم فقد قال الله تعالى هناك وهو يذمّ المنافقين ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾.

فمن هذا المنطلق الذي بيّنته وعلى أساسٍ من تدبّر آيات هذا القرآن العظيم الذي قام به هذا العبد العاجز الضّعيف أقول: لو أنّ كلّ عالم مسلم تدبّر آيات هذا القرآن المجيد بمنهجيّة القرآن الكريم وأصول تفسيره خلال القرون الماضية، وفي زماننا هذا بالذّات. هذا الزمان الذي عاد فيه الإسلام اسماً، وعاد القرآن الكريم رسما، لكان قد اتّضح لهؤلاء العلماء الأفاضل بأنّه كان مقدّرا عند الله تعالى في الأصل أن يشابه ما يحدث لهذه الأمّة الإسلاميّة ما كان قد حدث لأمّة موسى عليه السّلام من قبل. فهذه الحقيقة التي أشرت إليها، أشارت إليها كاف التّشبيه الواردة ضمن قول الله عز وجلّ في الآية 15 من سورة المزّمل: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ رَسُولاً شَٰهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولاً﴾ فكاف التّشبيه هذه الواردة في مستهلّ هذه الفقرة

﴿كَمَآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ رَسُولاً﴾ قد وردت وهي تحمل تشبيها بليغا. فإذا علمنا بأنّ التّشبيه البليغ ينبغي أن تتوفّر فيه ثلاثة عناصر: المشبّه، والمشبّه به، وموضوع التّشبيه. فالمشبّه هنا هو محمّد رسول الله ﷺ. والمشبّه به هنا هو موسى عليه السّلام. وموضوع التّشبيه يتجلّى في مشابهة ما يحدث لأمّة محمّد بما كان قد حدث لأمّة موسى من قبل. وعليه فإنّ كاف التّشبيه المشار إليها، والواردة في هذه الآية الكريمة من سورة المزّمل، فإنّ كاف التّشبيه هذه والمشار إليها تشكّل في حقيقة الأمر للمؤمن العالم المتدبّر مُنطلقا ينبغي أن ينطلق منه ليتدبّرَ كلّ ما سبق من أحداث في تاريخ هذه الأمّة، وكلّ ما يحدث لها في أيّامنا هذه من أحداث يشيب لها الولدان.

فأمّة موسى عليه السّلام، وكما هو معلوم، بدأت متوحّدةً وموحّدةً، وازدهرت زمن داود وسليمان عليهما السّلام وذلك ما دام أفرادها كانوا يعملون على التّعاليم التي جاء بها نبيّهم موسى عليه السّلام. وفي المقابل فإنّ أمّة محمّد صلّى الله عليه وسلّم هي أيضاً ابتدأت متوحّدةً وموحّدةً، فازدهرت في ظلّ الخلافات الراشدة. ومن ثمّ بدأ ظهور نزاعات واختلافات في الأمّة المحمدية على شاكلة ما كان قد حدث لأمّة موسى من بعد داود وسليمان من حدوث نزاعات واختلافات تسبّبت في انقسام دولتهم العبريّة إلى دول صغيرة في اليهوديّة والسّامرة وغيرها كما هو معروف تاريخيّاً. وهذا الشّيء نفسه قد حدث للأمّة المحمّديّة بعد أزمنة الخلافات الراشدة. فقد أخذت

النّزاعات والاختلافات تدسّ بأنوفها في صفوف الأمة ففرّقتها وانقسمت الدّولة الإسلاميّة نتيجة لذلك إلى دويلات.

وبما أنّني لست هنا في معرض استعراض تلك الأحداث التّاريخيّة، ولا في معرض الكلام عن تلك الاختلافات التي حدثت في الأمّة الإسلاميّة ولا عن الاختلافات التي حدثت قبل ذلك في الأمّة الموسويّة. بل أردت من بحثي هذا وفي كتابي هذا تبيان ناحية التّشابه بين هاتين الأمّتين فيما يتعلّق بالفترة الزمنيّة المعاصرة التي استفحلت فيها الأحداث المأساويّة في هذه الأمّة المسلمة، حتّى عادت دول الأرض القويّة الجبّارة تستضعف المسلمين ومن ورائهم شتات اليهود الذي جمعوهم في أرض فلسطين العربيّة ومنحوهم فيها دولةً أيضاً. فقد رأيت من واجبي أن أساعد كلّ باحث مسلم ليتدبّر معي آيات هذا القرآن الكريم بمنهجيّة القرآن الكريم وأصول تفسيره. ومن أجل أن تتّضح لعينيه حقيقة ما أنبأ الله تعالى عنه بما يتعلّق بهذه الفترة الزمنيّة بالذّات. فلعلّ المفكّرين من هذه الأمّة يعينون أفراد أمّتهم على تصحيح أوضاعهم على ضوء معطيات مضامين ما سأبحثه في هذا الكتاب من موضوع أستقيه من معطيات آيات هذا القرآن المجيد الذي لم يفرّط الله جلّ شأنه فيه ذكر شيء مضيء يضيء لهذه الأمّة طريقها، خاصّةً عندما أُصيبت هذه الأمّة المحمّديّة في أيّامنا هذه بما كانت قد أصيبت به الأمّة الموسويّة من قبل.

وبعد بيان هذه الحقيقة التي لفتُ إليها أنظار العلماء والمفكّرين من أمّتنا المسلمة، كان من واجبي إعطاء هم فكرةً ولو موجزة عن موضع مضمون كتابي هذا من هذه المسيرة الفكريّة الروحيّة التي قدّرها الله جلّ شأنه على أيدي شخصي الضّعيف. وليكوّن هذا القارئ فكرة عامّة في ذهنه وهو يستكمل قراءة هذا الكتاب. فأقول: إن أنت استعرضت يا عزيزي القارئ ما كان قد حدث لأمّة موسى بنظرة شموليّة يتبيّن لك بأنّ الله تعالى كان قد بعث أيّام تفرّق أمّة موسى وتخلّفها وانحطاطها. أقول كان تعالى قد بعث المسيح النّاصريّ الذي ولدته أمّه مريم الصّدّيقة بدون أب، وللإشارة من خلال ظاهرة تلك الولادة غير الطّبيعيّة، أن يشير إلى غضب الله تعالى على اليهود من جرّاء بُعدهم عن تعاليم موسى الحقيقيّة. وليشير في الوقت نفسه ومن جهة ثانية إلى أنّه تعالى كان قد قرّر أن ينقطع نسل إسرائيل على الصّعيد الروحيّ، ولتبدأ سلسلة روحيّة جديدة، وتكون تعاليمها نابعة من صلب تعاليم موسى عليه السّلام، ولا تختلف عنها إلا فيما فرضته ضرورات مُتغيّرات تلك الفترة من الزمان. الأمر الذي أشار إليه ما ورد في الأناجيل التي هي بين أيدينا عن المسيح النّاصريّ عليه السّلام قوله (ما جئت لأنقض النّاموس بل لأكمل).

فمن خلال هذا الفهم الشّموليّ الذي بيّنته، والذي وضّح لأعيننا بأنّه كان مقدّرا عند الله وجود (بُعثتان) في الأمّة الموسويّة، فإنّ كاف التّشبيه التي تكلّمنا عنها والواردة في الآية 15 من سورة المزّمل. فقد

عادت تقتضي وتشير تلك الكاف في الوقت نفسه إلى أنّه ستكون في هذه الأمّة الإسلاميّة (بُعثتان) أيضاً، وليس بعثة واحدة هي البعثة المحمّديّة المعروفة. على أن يظلّ الفارق ما بين كلا الظّاهرتين في كلا الأمّتين أن ينقطع نسل إسرائيل الروحيّ ببعثة المسيح النّاصري، على حين أنّه كان مقدّرا في السّماء أن لا ينقطع نسل محمّد الروحيّ بعد ظهور البعثة الثّانية في الإسلام. وذلك لأنّ شريعة محمّد رسول الله ﷺ هي شريعة كاملة التّعاليم. وأنّ محمّداً ﷺ هو (خاتم النّبيّين) الأمر الذي يُستدلُّ منه على أنّه لن يبعث الله تعالى من بعد محمّد رسول الله ﷺ أيّ نبيٍّ بشريعة جديدة.

ألا إنّ هذه الحقيقة التي توصّلت إليها من خلال مُعطيات كاف التّشبيه المذكورة، لابدّ أن تفاجئ القارئ المسلم، وتتسبّبُ لديه بردود فعل مفاجئة تجعله يفكّر طويلا قبل أن يستمرّ في موضوع مطالعة ما تضمّنه كتابي هذا. خصوصا وأنّ هذا القارئ لم يسمع في حياته ولا قرأ مثلَ هذا الطّرح الذي قرأه فيه. فإن كان هذا القارئ مقلّدا في حياته تقليدا أعمى لكلّ ما فهمه وعمل عليه من تعاليم الإسلام، فقد يعمد هذا المقلّد لرفض ما طرحته على مسامعه لأوّل وهلة وبدون تردّد. أمّا إذا كان هذا القارئ متحسّسا لآلام أمّته هذه ومصائبها وكان من المتفكّرين فيما آلت إليه من مصير مؤلم. وكان باحثا ومتدبّرا لآيات القرآن المجيد. فإنّ هذا القارئ، يأخذ هذا الطّرح الذي طرحته على

مسامعه على مَحمل الجدّ ويقلّبه على أوجُهه، ويصغي إلى كلّ ما سأضيفه على مسامعه من حقائق وبيّنات.

فأقول: إنّ المضمون الذي أشارت إليه هذه الكاف التي أشرنا إليها وذكرناها، تدفعنا، إن كنّا باحثين ومفكّرين ومتدبّرين، أقول تدفعنا لنُلقي نظرة عميقة على مضامين آيات هذا القرآن المعجز، ومن المنطلق الذي بيّناه آنفا، ولننظُر: هل أنّ الله عز وجلّ قد أورد آيات كتابه المبين، على صورة توحي للمتدبّر بوجود بُعثتين في هذه الأمّة المسلمة؟ أم أنّ آيات الذّكر الحكيم لم تدع للمفكّر الباحث المتدبّر أيّ منفذ لإعطائه هذا التّأثُّر، ولا وضعت آيات سور هذا الكتاب المعجز بين يدي هذا المسلم أيّ خيط يساعده على الربط ما بين مُعطيات كاف التّشبيه التي أشرنا إليها، وما يوحي بوجود (بعثتين) إسلاميّتين.

فهذا طرحٌ جديدٌ على أسماع المسلمين ومن مختلف شرائحهم ومذاهبهم. وهو طرحٌ يقتضي من الباحث أن يرسم منهجاً لبحثه في هذا المجال ليسير عليه حين يتدبّر آيات هذا الكتاب الحكيم. وهي حقيقةٌ دفعتني لتوضيح معالم هذا النّهج الذي انتهجته في بحث كتابي هذا، إثباتا لمصداقيّة ما طرحته في هذا الكتاب من طرحٍ نبّهتنا إليه كاف التّشبيه الواردة في الآية **15** من سورة الزمر. والتي أشارت إلى وجود (بعثتين) في تاريخ هذه الأمّة الإسلاميّة. والتي لا يكتمل تحقّق ما تضمّنه هذا القرآن المجيد من نبوءات مستقبليّة إلا على أيدي رجال هاتين (البعثتين). وليس على أيدي رجال (البعثة المحمّدية) المعروفة وحدهم.

ونهجي في هذا التّحقيق يستند إلى المنطلقات التّالية :

أولاً ـ فالمنطلق الأوّل الـذي ينبغـي ألاّ يغيـب عـن أذهاننـا ، هـو أنّ تعاليم هذا القرآن الكريـم قـد أنزلـها الله عـز وجـلّ كاملـة وصالحـة لكـلّ زمان ومكان . فدليـل كمـال تعـاليم هـذا القـرآن الكريـم هـو أنّ الكـامل لا يحتاج إلى التّكميل . وهـي حقيقـة أشـار إليـها قولـه تعـالى فـي كتابـه العزيــز ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَـٰمَ دِينًا ﴾ . ودليل صلاحيّة تعاليم هذا القرآن لكـلّ زمـان ومكـان ، هو لكون الله عز وجلّ قد وعد بالمحافظـة علـى كتابـه العزيـز أبـد الدّهـر . فلن يحدث أن يُنزل الله عز وجلّ كتابـا تشـريعيّا فـي أي زمـان أو فـي أيّ مكان من بعد إنزاله هذا الكتـاب العزيـز . وهـي حقيقـة أشـار إليـها قولـه تعـالى ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ﴾ . الأمـر الـذي يعنـي بألفـاظ أخرى أنّـه بفـرض أنّـه قـد صـحّ مـا استنبطناه مـن كـاف التّشـبيه المذكورة . فإنّ (البعثة الثّانية) الإسلاميّة ستتحقّق ويكـون شـعارها نفـس هذا القرآن الكريم ونفس تعاليمه والتي صلُحَ بها أوّل هذه الأمّة ، والتي لا يصلح آخر هذه الأمّة إلا بما صلُـح بـه أوّلـها . أي بتلـك التّعـاليم التـي اقترنت بسنّة محمّد خاتم النّبيّين وسيّد المرسلين صلّى الله عليه وسلّم .

ثانياً ـ والمنطلق الثّاني الذي ينبغي أن ننطلق منه ، هو وجود آيـات نصّت على وجود (هاتين البعثتين) . إذ لا يُعقـلُ أن يكـون الله عـز وجـلّ قد قدّر وجود (هاتين البعثتين) ولا يكون فـي الوقـت نفسـه قـد نـصّ فـي كتابه العزيز على وجودهما وعلـى الإنبـاء عنـهما . فـإن خلـت التّفاسير

القديمة من وجود هذا الفهم، فلا يعتبر هـذا حجّة علينـا، وعلـى كتـاب الله العزيز. ففـهم المفسّرين القدمـاء أتـى علـى قـدر مـا احتاجـه زمانـهم وعلـى قـدر مـا آتـاهم ربّـهم مـن علـم، وعلـى قـدر متغيّرات زمانـهم. خصوصا وأنّ دولة الإسلام كانت ما تزال على طريق تقدّمها. وأنّ تلك الفترات الزمنيّة كانت قد خلت من كلّ محرّكٍ على طريق الإصلاح.

ويكفي أنّ حال ومصير أمّتنا الذي صارت إليه في زماننا هذا، هـو الذي دفعنا لإعادة النّظر فيما وصلنا مـن تـراث، وللتّفكير فـي أسـاليب إعـادة كيـان هـذه الأمّـة التـي هـي خـير الأمـم. ثـمّ إنّنـا حـين نعـثر علـى النّصوص القرآنيّة التي تؤكّد مصداقيّة وجود (بُعثتين). فـإنّ مـن واجبنـا أن نتدبّر تلك النّصوص بمنهجيّة القرآن الكريم وأصول تفسـيره. وليـس بما وصلنا من أقوال.

ثالثاً ـ والمنطلق الثّالث الذي ينبغي علينا أن ننطلـق منـه فـي بحثنـا هذا، هو البحث عمّا تضمنته آيات هذا الكتاب العزيز من نبوءات تتعلّق بزمن هذه (البعثة الإسلاميّة الثّانية). وبما سـيرافق ظـهورها مـن أحـداث عالميّة تهدّد هذه الأمّة الإسـلاميّة بـالزوال، بسـبب مـا آل إليـه حـال هـذه الأمّـة مـن تخلّـف وانحطـاط، الأمـر الـذي تطلّـبَ ظـهور هـذه (البعثـة الإسـلاميّة الثّانيـة) إلـى حيّز الوجـود ووفـق مُعطيـات نبـوءات نصـوص الآيـات القرآنيّـة التـي أنبـأت عـن ظـهور معـالم هـذه (البعثـة الإسـلامية الثّانية) وفي الوقت المناسب. وشرط أن نتفحّـص تلـك النّبـوءات المشـار إليها بنفس منهجيّة القرآن الكريم وأصول تفسيره.

رابعاً ـ والمنطلق الرابع الذي ينبغي علينا أن ننطلق منه في بحثنا هذا. هو أنّه وكما وُجدت أيام البعثة الإسلاميّة الأولى المحمّديّة (فئة منافقين) كانت قد لعبَ أفرادها أدواراً خلاف الإسلام. فلابدّ أن توجد (فئة منافقين) ثانية أيّام ظهور معالم (البعثة الإسلاميّة الثّانية). لكنّ تغيُّرَ الأحوال يقتضي أن تكون صفات رجالات الفئة المنافقة الثّانية، تختلف عن صفات رجالات الفئة المنافقة الأولى لتغيُّر الظّروف وتغيّر الأحوال، وتغيّر المناسبات والنّفسيّات. ومن الضّروري أن نعثر على نصوص قرآنيّة تؤكّد وجود هاتين الشّريحتين من المنافقين في تاريخ هاتين البعثتين الإسلاميّتين. وأن نتدبّر تلك النّصوص القرآنيّة بمنهجيّة القرآن الكريم وأصول تفسيره. وليس بمعطيات التّفاسير القديمة التي لم ينطلق كاتبوها من هذا المنطلق الذي انطلقنا منه في هذا البحث الدّائر في هذا الكتاب.

فهذه مُنطلقات أربعة قيّدت نفسي بها فيما رُحت أبحثه في هذا الكتاب. وسأرتّب ما أبحثه بنفس ترتيب هذه المنطلقات الأربعة سالفة الذّكر. وأسأل الله جلّ شأنه أن يعينني ويؤيّدني فيما دفعني للقيام به وفيما علّمني إيّاه من لدنه. فبالله المستعان، وإنما الأعمال بالنّيّات، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

سليم الجابي

[الباب الأول]

هذا الباب يدور مضمونه حول ما تضمّنه المنطلق الأول من مقدّمة هذا الكتاب. أي أنّني سألخّص في هذا الباب المعتقدات الأساسيّة للمسلم، وعلى حسب ما جاءت به تعاليم هذا القرآن الكريم وكان من الواجب على كلّ مسلم أن يعتقدها ويحيط بها علما عن وعيٍ وفهمٍ وإدراك تامّين. وأن يتمثّلها في سلوكه اليوميّ مع عائلته، ومع جميع من كان حوله من المسلمين وغير المسلمين.

الفصل الأول:

طرح المبادئ والمعتقدات

إنّ كلّ باحث مفكّر يلاحظ بأنّ أصحاب الحركات الاجتماعيّة الفاعلة في مختلف المجتمعات الإنسانيّة، إذا نشروا لائحة عمل لحركاتهم، فإنّهم يطرحون في بداياتها المبادئ التي يدعون إليها والمقاصد التي يسعون إلى تحقيقها. وبما أنّ الدّين الإسلاميّ لا يشذ عن تلك الحركات الاجتماعيّة المشار إليها. بل ويمتاز عنها: يمتاز في أنّ المحرّك الأوّل لهذا الدّين هو الله خالق هذا الإنسان. ويمتاز في أنّ ما يراه الخالق من تعاليم صالحة لهذا الإنسان، يستحيل على البشريّة أن توجد تعاليم تصلح لمجتمعاتها على وجه الكمال وعلى مستوى الرؤية الإلهيّة لهذا الخالق الذي خلقها والذي يسعى لإصلاحها وتطويرها على مرّ الزمان.

وعلى هذا الأساس الذي بيّناه، فقد عاد يؤمل أن يكون الله عز وجلّ قد طرح في الآيات الأوائل من آيات كتابه القرآن المعجز، أن يكون قد طرح هناك المبادئ و المعتقدات التي يدعو إليها هذا القرآن المجيد. وأن يكون قد طرح هناك في الوقت نفسه تلك المقاصد وتلك

الأهداف التي يسعى الله عز وجلّ لتحقيقها في حياة هذا الإنسان من وراء تلك المبادئ والمعتقدات السّامية، والتي كان قد أنزلها تعالى في صالح البشر.

وهنا فقد عاد من واجبنا أن نتساءل عن مدى واقع ما هو وارد في هذا القرآن العظيم من حقائق تتّفق وهذا الطّرح الذي طرحناه. وعلى شرط أن يكون هذا القرآن الكريم قد صاغ ذلك كلّه بصياغة بلاغيّة معجزة تثبت مصداقيّة تحدّيه البشر المؤلّفين من جنّ وإنس وأن يكون كلّ ما طرحه جلّ شأنه من مضامين كان قد أنزلها ربّنا جلّ شأنه أن يكون طرحه لها صالحاً لكلّ زمان ومكان.

وأنا حين رحت أتدبّر آيات هذا القرآن المجيد، فقد تبيّن لي أنّ هذا القرآن الكريم قد طرح المبادئ والمعتقدات الواجب على المسلم أن يعتنقها على علم ووعيٍ منه. والتي ينبغي عليه أن يتحلّى بها في سلوكه اليوميّ مع أهله في مسكنه، ومع غيرهم من المسلمين وغير المسلمين. وأنّ القرآن الكريم قد طرح المقاصد التي يسعى الله الخالق إلى تحقيقها أيضاً. أقول إنّه جلّ شأنه قد طرح ذلك كلّه في الآيات الأوائل من كتابه العزيز.

فإن طالبني القارئ أن أحدّد له تلك الآيات المشار إليها، فأقول: اعلم يا عزيزي بأنّ الله جلّ شأنه قد طرح هذا الذي ذكرته بطرحٍ معجز حقّا وبصياغة بلاغيّة معجزة أيضاً. وبحيث لا يستطيع تبيّن ومسّ معالم هذا الطّرح الإلهيّ المعجز إلاّ المطهّرون. ووفق قول الله تعالى في

كتابه العزيز ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ۝٧٧ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ۝٧٨ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ﴾ ومن باب أنّ هذا القرآن العظيم وإن كان يسير على نفس منهج طرح أصحاب الحركات الاجتماعيّة لمبادئهم وأهدافهم. لكنّه لا يصيغ ما يريد طرحه وفق أسلوب الأدباء والكتاب الذي يقومون بصياغة ما يريدون صياغته فيكتبون ويقولون مبادئنا هي كذا وكذا. بل يمتاز هذا القرآن المجيد عنهم في أنّه جلّ شأنه قد صاغ ذلك كلّه بصياغة بيانيّة معجزة لا تتفتّح معالمها إلا حين الضّرورة وعلى أيدي الأتقياء من عباده الذين طهّرهم بنفسه وهم الذين صنعهم على عينه عز وجل. وبما أنّ زماننا هذا كان بأشدّ الحاجة إلى كشف تلك الحقائق التي نتكلّم عنها. فقد كشفها جلّ شأنه على أيدي إمام هذا الزمان. وليستفيد منها المسلم الذي ظلّ بعيدا عن التّقليد الأعمى لما ورثه، والمفكّر وصاحب العقل النّاضج المتفتّح.

الفصل الثّاني:

المقاصد المطروحة في سورة الفاتحة

هذا وإني قد خصّصت هذا الفصل الثّاني من هذا الباب الأول لإعطاء هذا القارئ فكرةً عامّة عن هذا الطّرح القرآنيّ المعجز الذي تضمّن تلك المبادئ والعقائد الضّروريّة التي ينبغي على هذا المسلم أن يتحلّى بها فكرا وعملا في حياته اليوميّة. وخصّصته لتحديد تلك الآيات القرآنية بالذّات. ولإعطاء القارئ فكرة عامّة عمّا طرحته تلك الآيات من مبادئ وعقائد ومقاصد مرجوّة، ينقص إيمان المسلم ويزداد بقدر إحاطته بها وعمله عليها.

فاعلم يا عزيزي القارئ بأنّ الله عز وجلّ قد فصل حين طرح ما شاء طرحه مما ذكرناه، قد فصل ما بين المعتقدات وما بين تلك المقاصد والأهداف التي يسعى الدّين لتحقيقها وبشكل موضوعيٍّ. فخصّص جلّ شأنه لبيان الأهداف المرجوّة من تعاليم الإسلام فاتحة الكتاب، وهي ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝١ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ

﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ آمين. وكان غرضه تعالى من تقديم بيان المقاصد والأهداف المرجوّة أن يدفع هذا المسلم إلى إعطاء المقاصد أهمّيتها التي تفوق أهمّية المبادئ والأهداف الواردة في كلّ دين من الأديان. وقد صاغ الله تعالى آيات سورة فاتحة الكتاب صياغة تؤدّي ما سعى الله تعالى لبيانه عن طريقها من مقاصد على المؤمن أن يسعى دوما لتحقيقها في حياته الدّنيويّة. ومن ثمّ افتتح تعالى الآيات الأوائل من سورة البقرة التي تأتي بعد سورة الفاتحة مباشرة بترتيب تلاوتها. فأورد الآيات الأوائل من آياتها متضمّنة تلك المبادئ والعقائد الواجب على المسلم اعتناقها لتساعده على تلمُّس طريقه الفكريّ في حياته هذه التي يحياها بعد وجوده على سطح هذا الكوكب الأرضيّ. وهذه الآيات هي ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝٤ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾.

وهنا كان من واجبي توضيح تلك المقاصد والأهداف التي تضمّنتها آيات سورة الفاتحة. وتوضيح معطيات آيات سورة البقرة التي أوردناها آنفا. وكيف أنّها أوردت المبادئ والمعتقدات التي كان من الضّروري أن يلتزم بها المسلم فكراً وعملاً. وليتبيّن للقارئ من خلال هذا البيان الذي أورده الله عز وجلّ مصداقيّة هذا الطّرح الذي ذكرته سابقاً، والذي طرحته هذه الآيات من هذا القرآن المجيد.

وكنت قلت بأنّ الله عز وجلّ قد طرح في سورة الفاتحة المقاصد والأهداف التي ترمي إلى تحقيقها تعاليم هذا الدّين الإسلاميّ الحنيف. وسأثبت للقارئ مصداقيّة هذا الطّرح الذي طرحته في هذا المقام. وذلك من خلال قيامي بتدبّر آيات سورة الفاتحة التي لا تصحّ صلاة المؤمن بدون قراءتها في كلّ ركعة من ركعات فريضة الصّلاة الإسلاميّة. أفلا تلاحظ يا عزيزي القارئ المسلم كيف أنّك تدعو ربّك كلّما تلوت سورة الفاتحة، وتقول ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾. فأنت بالرغم من أنّك مسلمٌ ومؤمنٌ بوجود الله تعالى فأنت تقف بين يدي ربّك تدعوه متضرّعا بهذا الدّعاء؟ وإنّ كونك ممّن أسلموا وآمنوا بربّهم، فهذه قرينة تعني بألفاظ أخرى بأنّك لا تطلب من خلال دعائك هذا أن يهديك الله تعالى ربّك إلى تقبُّل دين الإسلام الذي كنت قد تقبّلته من قبل. بل يعني أنّ لألفاظ دعاء ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ معنى آخر غير معنى الاهتداء إلى الإسلام. فإن وافقتني في محاكمتي هذه لهذا الدّعاء، تسارع لتسألني عن المعنى الحقيقي له. فأقول: أفلا تلاحظ يا عزيزي المسلم أنّك تطلب من ربّك أن يهديك صراط الذين أنعم الله عليهم؟ فالقرآن الكريم يفسّر بعضه بعضاً. فتعال معي إلى الآية التي تقول ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُو۟لَٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾. فهذه الآية تفسّر لك من هم الذين أنعم الله تعالى عليهم.

وتبيّن لك بأنّ كلّ من يطيع الله ورسوله أي كلّ من يعمل على تعاليم هذا القرآن الكريم ويعمل على سنّة رسوله الكريم محمّد صلّى الله عليه وسلّم. فإنّ هذا العامل على الكتاب والسّنّة يُدخله ربّه في إحدى الزمر الأربعة المذكورة في هذه الآية الكريمة وبما يتناسب وعمله الصّالح في حياته الدّنيوية.

فإذا وَعَيت يا عزيزي المسلم حقيقة هذا الدّعاء الذي تدعو به عشرات المرّات في كلّ ركعة من ركعات صلاتك اليوميّة. فمعنى هذا أنّك أدركت المقصد من حياتك يقينا. وهو أنّ الله عز وجلّ قد جعل صلاتك معراجاً لك للتّعرّف على ربّك ومواصلته والتّناغم معه كلّ حين. ولجذب محبّته في نفسك وللتّقرّب منه ولنيل رضاه ورضوانه.

وليلاحظ القارئ المسلم معي كيف أنّ الله عز وجلّ لم يورد دعاء ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٥ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ هكذا لوحده منفردا. بل إنّ الله عز وجلّ قد علّم هذا المسلم أن يقدّم لهذا الدّعاء بقوله ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾. ليدفع هذا المسلم إلى الإحاطة بأسماء الله الحسنى والتي لخّصها له بالصّفات الرئيسيّة ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾. ودافعا إيّاه للاعتراف من خلال قوله ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ بأنّ الذي يحيط علما بهذه الأسماء الحسنى يعود يُدرك بأنّ كلّ ما في هذا الكون إنّما وُجد بإبداعٍ

من هذا الخالق وفضله المجرّد الذي لا دخل لأعمالنا فيه من قريب ولا من بعيد.

كذلك ليلاحظ القارئ المسلم كيف أنّ الله تعالى لم يُنه هذا الدّعاء ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾ بهذه الألفاظ وحدها. بل أضاف عليها يقول ﴿غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ آمين. وكان القصد من هذه الإضافة الأخيرة أن ينبّه ذهن المسلم إلى أنّ الأمم السّابقة وقعت في انحرافات عن هذا ﴿ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ ما بين إفراط وما بين تفريط فيما يخصّه من تعاليم. وقد حذّر الله تعالى هذا المسلم من الوقوع فيما وقعت فيه الأمم السّابقة. وأنهاه بكلمة (آمين) ومعناها استجب لي يا ربّ.

فاستنادا إلى فهم مضمون دعاء سورة الفاتحة تكون يا عزيزي المسلم قد أقرّيت معي بأنّ الله عز وجلّ قد خصّص سورة الفاتحة لبيان المقاصد التي هدف إلى تحقيقها عن طريق إنزاله تعاليم هذا القرآن المجيد. وأنّه تعالى يكون قد اتّفق مع أصحاب الحركات الاجتماعيّة في ضرورة بيان الأهداف لتلك الحركات بادئ ذي بدء. لكنّه جلّ شأنه يكون قد اختلف عنهم في صياغته هذه المقاصد والأهداف صياغة بلاغيّة معجزة لا يمسّ أطرها ومضامينها إلاّ المطهّرون بنوره عز وجلّ. وهو ما أردت إثباته تحت هذا العنوان.

الفصل الثّالث:

معالم مبادئ المسلم ومعتقداته

ولمعرفة كيفيّة طرح الله عز وجلّ لمبادئ ومعتقدات هذا الدّين الإسلاميّ الحنيف الذي أنزله تعالى على قلب محمّد الرسول الصّادق الأمين ﷺ. نُطالع معا الآيات السّتّة الأوائل من سورة البقرة التي تأتي بعد سورة الفاتحة بترتيب تلاوتها. تلك الآيات التي قال الله عز وجلّ فيها: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ۝٤ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾.

فإذا سألني القارئ المسلم عن معنى الأحرف المقطّعة (ألم) فأختصر الإجابة وأقول:

أورد تفسير ابن كثير في مقدّمته عن ابن عباس ﷺ أنّه سأل رسول الله ﷺ عن معنى هذه الأحرف الثّلاثة مجتمعة. فأجابه رسول الله ﷺ بأنّ معناها (أنا الله العليم). فإن شاء القارئ الاستزادة في موضوع الأحرف المقطّعة فليراجع مؤلّفي (فنّ الاختزال في القرآن الكريم) فقد شرحت في الكتاب المذكور جميع الأحرف المقطّعة وبأسلوبٍ موضوعي.

ولننطلق من هذا المعنى الذي ذكرته آنفا. فالسّؤال: لماذا استهلّ الله عز وجلّ هذه الآيات سالفة الذّكر بهذه الأحرف الثّلاثة التي تعني (أنا الله العليم)؟ وانطلاقا من وجود تسلسل موضوعيٍّ بين آيات هذا القرآن العظيم ابتداء من ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ وانتهاء بقوله تعالى في آخر سورة من سوره ﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾. فاجتهادي أنّ الله عز وجلّ حين دفعنا لمعرفة المقصد من حياتنا وعلّمنا في سورة الفاتحة أن ندعو دوماً ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾. فقد استهلّ تعالى سورة البقرة بقوله (أنا الله العليم) إشعاراً لنا بأنّه جلّ شأنه سيطلعنا على المبادئ والمعتقدات التي تساعدنا إن نحن اعتنقناها، تساعدنا على التّقدّم على طريق تحصيل المقصد من وجودنا في هذا العالم وهو التّعرّف على خالقنا وجذب محبّته والتّقرّب منه في ظلّ تطبيقنا لهذه المبادئ والمعتقدات، وبأسلوبٍ علميّ. وتنبيه أذهاننا إلى أنّ مبادئ ومعتقدات المسلم قائمة على أسسٍ علميّة. بسبب أنّها نابعة من الله العليم.

فعلى أساس من هذا الفهم فقد راح الله عز وجلّ يقول ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾. ولينتبه القارئ إلى أنّ الله تعالى لم يقل (هذا الكتاب) بل استبدل اسم الإشارة للقريب، باسم الإشارة للبعيد (ذلك). ويحدث مثل هذا الاستبدال في علم البلاغة، لتفخيم المتكلّم عنه ولتعظيمه. وكأنّ الله عز وجلّ حين أجرى هذا الاستبدال في مستهلّ هذه الآية الكريمة، قد نبّه القارئ إلى عظمة ما اشتملت عليه المبادئ والمعتقدات التي سيطلعنا عليها. إلى جانب عظمة

هذا الكتاب الذي اشتمل على تلك المبادئ وتلك المعتقدات. علما بأنّه تعالى يكون قد أطلق في الوقت نفسه اسم (كتاب) على هذا القرآن المجيد. والكتاب كما هو معروف تكون له مقدّمة ويكون له موضوع وتكون له خاتمة. وهذا هو حال هذا القرآن العظيم.

ولم يكتف الله عز وجلّ بهذين الوصفين الذين وصف بهما كتابه العزيز الذي اشتمل على تلك المبادئ وتلك المعتقدات. بل أضاف وصفا ثالثاً وقال ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾.

فما معنى (الريب)؟ ورد في معجم محيط المحيط: الريب معناه الظّنّة والتّهمة والشّكّ. ومادام الله عز وجلّ قد قال وهو يصف كتابه العزيز ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ فمعنى ذلك أنّ الله عز وجلّ يضيف وصفا ثالثاً يتّصف به كتابه العزيز، ويقول متحدّياً: إنّ كلّ من يتدبّر آيات هذا الكتاب السّماويّ سيتبيّن له بأنّ جميع ما ورد فيه من مواضيع وأحكام وأخبار وغيرها فستبيّن له بأنّها جميعها ذات صفة علميّة وبعيدة عن الظّنون والشّكوك وعن الاتّهام. وبما أنّه تعالى قد راح يجيب على دعاء ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾، فقد أضاف على ذلك كلّه وقال ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾. بمعنى أنّ كلّ مسلم دأب على الدّعاء بين يدي ربّه ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾، فمن واجبه أن يعتنق هذه المبادئ والمعتقدات التي سنوردها له، على شرط أن يعمل عليها فكرا وعملا، وبتقوى الله تعالى أيضاً. وليس أن يعمل عليها نفاقا ورئاء النّاس. ومن باب أنّ الله تعالى يعلم السّرّ وأخفى. ويثيب المؤمن على قدر تقواه.

فلمّا فرغ الله عز وجلّ من هذا التّقديم لبيان المبادئ والمعتقدات التي قام عليها هذا الدّين الإسلاميّ الحنيف. فقد راح يعدّد تلك المبادئ والمعتقدات وقال: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾. فوردت هذه التّعاليم جامعةً وشاملة ومصاغة صياغة بلاغيّة معجزة ومغايرة لأسلوب الأدباء والكتّاب في صياغة هذه المضامين، وبموسيقيّة تشنّف آذان السّامعين. فما هي ظواهر شموليّة هذه التّعاليم؟

أقول: والآن لنتناول الآية الأولى وهي ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾. فقوله تعالى (الذين يؤمنون) معناه أنّ على المسلمين أن يوقنوا بالغيب ويعترفوا بوجوده ويصدّقوه. فهذه هي دلالات فعل يؤمنون. (معجم أقرب الموارد). ونتساءل عن معنى كلمة (الغيب)؟ فقد ورد في (محيط المحيط) تقول غاب الشّيء عن العين ومعناه استتر وضدّ حضر. والغيب مصدر. وقال في التّعريفات: الغيب كلّ ما ستره الحقّ منك لا منه. وفي معجم (مفردات الراغب) استُعمل الغيب في كلّ غائب عن الحاسّة وعمّا يغيب عن علم الإنسان، وهو غائب. وما لا يقع تحت الحواس ولا تقتضيه بداية العقول. وكذلك فإنّ الموضع الذي لا يُدرى ما وراءه، فهو غيب.

واستناداً إلى هذه المعاني التي تتضمّنها كلمة (الغيب) الدّاخل عليها حرف الباء، الدّالّ على التّجربة، يعود معنى قوله تعالى ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾ أنّ هذا الكتاب المقدّس الذي أنزله الله عز وجلّ على

محمّد رسول الله ﷺ هو هدى للمسلمين الذين يوقنون بوجود أشياء غائبة عن حواسهم ومعترفين بوجودها ومصدّقين لحقائقها. وساعين لاكتشافها بوسيلة التّجربة العلميّة. وعلى هذه الصّورة تكون هذه الفقرة من الآية قد وضعت اللّبنة الأولى للعقل العلميّ. وانطلاقا من هذا المفهوم فقد تحقّق على أيدي أوائل المسلمين اكتشافات علميّة ما تزال تُدهش العالم أن تحقّقت على أيدي أحفاد أمّة كانت مشهورة بين الأمم من حولها أنّها أمّة أمّية لا تكتب ولا تحسب وبعيدة عن الفكر العلمي وبألفاظ أخرى فإنّ من المبادئ والمعتقدات الأساسيّة في الإسلام أن يفكّر المسلم بأسلوب علميٍّ قائم على الملاحظة والتّجربة والاستنتاج. وبعيدا عن التّقليد الأعمى لكلّ موروث. وبالإضافة إلى هذا المعنى فالمقصود من قوله تعالى ﴿يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾ أي يؤمنون بوجود الملائكة ووجود الآخرة أيضاً بالحجّة والدّليل العلميّ.

ونحاول تدبّر الفقرة الثّانية من هذه الآية وهي قوله تعالى ﴿وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾. فما هي دلالاتها؟ فأقول: إنّ فعل (يقيمون) اشتقّ من أقام، فتقول قام الأمر ومعناه اعتدل. وتقول قام على الأمر ومعناه دام وثبت. وتقول قام الحقّ ومعناه ظهر وثبت. فإذا قلت أقامَ السّوقُ فمعناه نفق السّوق. فإذا قلت أقام الصّلاة فتعني أدام فعلها. أما إذا قلت أقام للصّلاة فمعناه نادى لها. (معجم أقرب الموارد). وقد أضاف معجم مفردات الراغب وقال: يقيمون الصّلاة أي يديمون فعلها ويحافظون عليها. وقال: إنّما خُصَّ لفظ الإقامة تنبيها إلى أنّ المقصود

من فعلها توفيةُ حقوقها وشرائطها. وفي معجم (لسان العرب) القيام معناه العزم.

وأمّا كلمة (الصّلاة) فهي على وزن فعلة. ومشتقّة من فعل صلّى. وللصّلاة معناها الاصطلاحي فهي عبادة فيها ركوع وسجود. وإنّ لكلمة (صلاة) عدّة معاني وعلى حسب ما ورد في معجم أقرب الموارد وهي: الدّعاء، والرحمة والاستغفار والدّين. وأضاف معجم التّاج معنيين آخرين هما التّعظيم والبركة. وعليه فالصّلاة من الله على الرسول تفيد معنى إنزال الرحمة عليه، إضافة إلى الثّناء عليه ﷺ. ومن الملائكة عليه تفيد معنى الاستغفار. ومن المؤمنين عليه تفيد معنى الدّعاء. والصّلاة من الطّير والهوام تفيد معنى التّسبيح. والصّلاة لا تكون إلا في الخير، بخلاف الدّعاء فإنّه يكون في الخير والشّرّ. (أقرب الموارد). ويسمّى موضع العبادة الصّلاة (مفردات الراغب).

واستناداً إلى دلالات مفردات ﴿وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾، عُدنا نُدرك بأنّ الله عز وجلّ قد فرض على المؤمنين به عبادة اصطلح على تسميتها (الصّلاة). وأنّ من واجب المؤمنين به أن يؤدّوا هذه الصّلاة **جماعة**. وأن تكون تأديتهم لهذه الفريضة **مستوفية شروطها المنصوص** عليها في كتاب الله العزيز. وأن تؤدّى هذه الصّلاة **جماعة في الموضع المخصّص للعبادة** وهي المساجد المعروفة. وأن يسعى هؤلاء المؤمنون إلى غرس محبّة الصّلاة في الصّدور والسّعي من أجل إقامتها على أوقاتها. وأن **يداوم المؤمنون على صلواتهم** باختيار منهم. والسّعي لئلاّ يفلت من

أيديهم وقت صلاة إلا ويؤدّونها فيه. وبالإضافة إلى هذه المعاني التي أفادتها فقرة (يقيمون الصّلاة) فإنّ قوله تعالى ﴿وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ معناه أن يفرض المؤمنون على أنفسهم أن **لا يُقدموا على فعل شيء إلا بعد** الدّعاء من الله تعالى ليوفّقهم فيه. فإلى هذه الحقيقة أشارت دلالة كلمة (الصّلاة) بمعنى الدّعاء ولتعود المثابرة على هذا الدّعاء فريضة دينيّة.

فمن خلال هذه الدّلالات جميعها عُدنا نُدرك، أنّ من واجب هذا المؤمن ليس أن يلتزم في حياته اليوميّة بالسّير فيها بمنهجيّة وتفكير علميٍّ مجرّد. بل وأن يجعل هذه (الصّلاة) بمفاهيمها التي أوردناها معراجاً لحياته اليوميّة. ومن باب أنّه توجد هناك معادلة جدليّة ما بين السّماء والأرض تؤكّد أنّ الأرض لا تحيا حياة دائمة بدون سعيها للاستفاضة من خير السّماء. وهي حقيقة وضّحتها في الفصول الأخيرة من مؤلّفي (العقل). فكلّ تفكير علميّ يتجرّد عن الاستعانة بفيض السّماء، التي تمثّله الذّات الإلهيّة المقدّسة، والذي شكّلت إقامة الصّلاة معراجاً له. فلا يفيد ذاك التّفكير العلميّ المجرّد هذا الإنسان فائدةً كاملة وفي شيء يعينه على تحقيق المقصد من حياته. فإلى هذه الحقيقة ورد عن محمّد رسول الله ﷺ قوله (**الصّلاة عماد الدّين فمن تركها ترك الدّين**) ونحاول الآن تدبُّر الفقر الثّالثة وهي قول الله تعالى ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾. فما هو معنى فعل (رزقناهم)؟ إنّ اسم الفاعل منه هو (الرازق). فإذا قلنا: رزق الله تعالى فلانا، معناه أنّه تعالى أوصل إليه رزقا، بما سبّبه من الأسباب لإيصاله إليه. وبما أنّ غالبيّة ما يصل هذا الإنسان من رزق وعطاء يكون الله عز وجلّ هو مصدره الحقيقيّ. لذلك

استحقّ الله جلّ شأنه أن يكون من أسمائه الحسنى صفة (الرزّاق) بصيغة المبالغة وعلى وزن فعّال. وألاّ تُقال هذه الصّفة (رزّاق) إلا لله تعالى. ثمّ إنّ لكلمة (الرزق) أكثر من معنى. فالرزق هو كلّ ما يُنتفع به. ويُطلق الرزق على المطر لقوله تعالى في سورة (الجاثية): ﴿وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ﴾، أي ما أنزل الله من السّماء من مطرٍ فأحيا به الأرض.

وقال تعالى في سورة الواقعة ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ فأورد تعالى كلمة (رزقكم) بمعنى حصّتكم ونصيبكم. فمن معاني (الرزق) إذن: العطاء، وكلّ ما ينتفع به الإنسان، والمطر النّازل من السّماء، والحصّة والنّصيب. (مفردات الراغب، ومحيط المحيط) ونتساءل أيضاً عن معنى فعل (يُنفقون)؟ فإذا قلنا إنّ فلاناً أنفق ماله. نعني من ذلك أنّه صرف ماله وأنفذه. أمّا إذا قلنا: أنفق التّاجر السّلعة التي عنده، فنعني أنّ ذاك التّاجر روّج بيع سلعته بين النّاس. أمّا إذا قلنا: نفقت الفتاة فنعني أنّه كثُر طلاّبها وخُطّابها. والنّافق من المال، ما يُباع لمجرّد عرضه في السّوق. (أقرب الموارد ومحيط المحيط). واستنادا إلى جميع هذه الاستعمالات لفعل الإنفاق. نستدلّ على أنّ فعل الإنفاق تدلّ مادّته على إخراج قسم من (الرزق) الذي هو عند الإنسان، وصرفه في مجالات عدّة، وإنفاقه بصورة مستمرّة.

واستناداً إلى هذه المعاني التي أفادها فعل (رزقناهم) وفعل (يُنفقون)، نصل إلى أنّ الله عز وجلّ حين قال في هذه الفقرة الثّالثة من الآية ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾، يكون الله جلّ شأنه قد وسمَ المؤمنين

بسمة تميّزهم عن غيرهم من غير المؤمنين. وهذه السّمة تتجلّى في اعتقادهم بأنّ أموالهم التي أعطاهم ربّهم إيّاها، لا يعتقدون بأنّها مُلكٌ لهم وحدهم، بل ويعتقدون أنّ في أموالهم حقٌّ ﴿لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ﴾. فالسّائل هو كلّ من ضاق رزقه لأسباب، والمحروم هو كلّ حيوان وطائر محروم من لسان يعبّر به عن حاجته من الرزق.

وعلى هذه الصّورة فقد عاد قول الله تعالى في هذه الفقرة الثّالثة ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ فقد عاد يضع للمؤمن منهاجاً حياتيّاً ينتهجه في عمليّة إنفاق كلّ ما يرزقه ربّه ويسوق إليه من خير وعطاء. وليميّزه عن سواه من غير المؤمنين الذين لا يكون همّهم إلاّ جمع المال قناطير مقنطرة. وإنّ هذا المنهج الحياتيّ الذي علّمه القرآن الكريم هذا الإنسان المؤمن، لا تقتصر فائدته على اعتقاده بأنّ في ماله حقٌّ للسّائل والمحروم. بل إنّ من فوائده الواضحة الجليّة أنّ هذه المنهجيّة الْحياتيّة تُبعدُ هذا الإنسان المؤمن عن صفة الحرص وعن صفة البخل اللّتين يتّصف بهما غير المؤمن. وتدفعه ليكون مفكّراً وعاقلاً وجريئاً وغيّوراً ووفيّاً في سلوكه اليوميّ. يبحث باستمرار عن مواقع الإنفاق المأمور بها. ليكون في نظر ربّه من المؤمنين المتّقين. وإنّ هذا المنهج الحياتيّ الذي علّمته إيّاه هذه الفقرة الثّالثة، هو منهاج اقتصاديٌّ هامٌّ يعتمد على أن يكون المال الذي هو بين أيدي النّاس، أن يكون (دُولة) أي في حركة دائبة كالماء الجاري، يظلّ نظيفاً. ولذلك سنلاحظ بأنّ هذا القرآن العظيم قد فرض على الأموال التي يجمعها الإنسان، قد فرض تأدية (زكاتها) ليزكّيها

من خلال تلك الفريضة ممّا حُرمَ منه الإنسان وغيره من فوائد تلك الأموال المجمّدة غير المتداولة بين النّاس.

وإنّ هذا التّعليم الذي علّمنا إيّاه قوله تعالى في هذه الفقرة الثّالثة ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ يكون قد وضع حجر الأساس لحفظ حقّ كل فرد من أفراد هذا الإنسان في أن يكون له مسكنا يأوي إليه، وأن يكون متعلّما وبصورة مجّانيّة، وأن يتوفّر له من المال الذي يساعده على تأمين لباسه ومشربه. فهذه حقوق أربعة أوّليّة للإنسان المؤمن. ومن واجب القائمين عليه أن يوفّروها له بأقلّ المال وأقلّ العناء. ليتمكّن هذا الإنسان من أن يتفرّغ للتّفكير فيما طالبته به عناية ربّه من تعاليم تقرّبه من ربّه، إن هو عمل عليها وتجذب محبّة ربّه إليه وتضمّه إلى رضوانه عز وجلّ. وهذه هي أوّل تعاليم تلقّاها آدم عليه السّلام.

ولا ينبغي أن يستغرب القارئ استنباطي لجميع هذه الدّلالات من هذه الفقرة الثّالثة ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾. أفلا تلاحظ يا عزيزي المؤمن كيف أنّ الله تعالى لم يحدّد مقادير المال التي ينبغي على المؤمن إنفاقها. ولا أنه عيّن الجهات التي ينبغي الإنفاق عليها في هذه الفقرة من الآية؟ فالقصد من هذا الحذف البلاغي، قد دفع إليه كون هذه الآيات الأوائل من سورة البقرة قد وردت تعلّم هذا المؤمن المبادئ والمعتقدات الأساسيّة التي ينبغي عليه اعتناقها فكراً وسلوكاً. وليتميّز بها عمّن سواه من النّاس المحرومين من هداية السّماء وليعلم هذا المؤمن بأنّ لنفسه عليه حقّاً، وأنّ لجسده عليه حقّاً، وأنّ لربّه عليه حقّاً، وأنّ لضيفه عليه حقّاً، وأنّ لأهله عليه حقّاً، وأنّ من واجبه إعطاء كلّ ذي حقٍّ حقّه.

هذا، وإنّ سعة هذه الدّلالات التي أفادها قوله تعالى ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ تأتّت من كون الله الذي آمن به هذا المؤمن، ليس هو ربّ المؤمنين وحدهم. بل هو ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ الذي استحقّ من جانبنا جميع أنواع الحمد. لذلك علّمنا دعاء سورة الفاتحة أن نستهلّ طلب ﴿ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ بقولنا ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾. أي الحمد لله ربّ جميع هذه الكائنات المعروفة في عالمنا وغير المعروفة.

ولا ينبغي للقارئ أن يحسب بأنّ هذه الفقرة ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ قد اقتصر تعليمها على المال المادّي وحده. بل وتشمل دلالتها المصاغة صياغة بلاغيّة على المال المعنويّ أيضاً. فهي وضعت لهذا المؤمن منهاجا فيما يتعلّق بإنفاق كلّ ما آتاه الله خالقه من علم وفهم. فمن واجبه أن يشيع ما توصّل إليه من علم بين النّاس. وأن يساعد كلّ من هو أقلّ منه فهما وإدراكا على زيادة فهمه وإدراكه. ومعتقداً بأنّ ما آتاه ربّه إيّاه من علم وفهم وإدراك إنّما يشكّل رأسمالاً شخصياً. وأنّ لكلّ سائل ومحروم حقٌّ في هذا الرأسمال المعنويّ الذي ملكّ الله تعالى إياه هذا المؤمن. فينفق من علمه وفهمه ليصبح في نظر ربّه عز وجلّ من المؤمنين المتّقين. ليجذب محبّة ربّه إليه وليجعله من المقربين في جنّة رضوانه.

وعلى هذه الصّورة نعود نُدرك بأنّ تعاليم هذه الفقرة الثّالثة من الآية قد وردت شاملةً وجامعة جميع ما ستفصّله الآيات الواردة في هذا القرآن الكريم بما يتعلّق بالمال المادّي والمعنويّ، وبطرق إنفاقها كالزكاة والصّدقات وغيرها من الفروض الماليّة.

ونحاول تدبّر الآية الثّالثة من سورة البقرة التي قال الله تعالى فيها محدّدا معتقدات المسلم. فهو تعالى قال ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾. وقد اشتملت هذه الآية على فقرات ثلاثة أيضاً. وأتدبّرها فقرة بعد فقرة بمنهجيّة القرآن الكريم وأصول تفسيره. ففي الفقرة الأولى قد حدّد الله تعالى معتقد المسلم وقال: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾. والمعروف هو أنّ الله عز وجلّ قد أنزل هذا القرآن المجيد على محمّد بن عبد الله الصّادق الأمين صلّى الله عليه وسلّم. وبذلك يعود المقصود من قوله تعالى ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ أنّ من معتقدات هذا المسلم أن يؤمن بهذا القرآن الذي وصلنا سالماً وتحدّى الله تعالى به الإنس والجنّ ووعد بالمحافظة عليه إلى يوم الدّين.

وقد يتبادر لذهن القارئ من هذه الفقرة بأنّ المطلوب من المسلم هو مجرّد الإيمان بهذا الكتاب السّماويّ الذي أُنزل على محمّد الصّادق الأمين. لكنّ التّسلسل الموضوعي وسباق هذه الآية الكريمة يفرض علينا أن نفهم من مضمون هذه الفقرة أنّ المطلوب من المسلم الإلمام بتعاليم هذا القرآن العظيم بدافع أنّها تفصّل ما هو مطلوب منه العمل عليه في سلوكه اليومي. وتفصّل له ما أجملته الفقرات الثّلاثة من الآية التي سبقتها. بما يتعلّق بالغيب، وبالصّلاة، وبالإنفاق.

ولقد أضاف الله تعالى وقال ﴿وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾ والمعروف هو أنّ الله تعالى كان قد أنزل في منطقتنا هذه التّوراة والإنجيل. والتي

يسمّونهما في عصرنا (العهد القديم والعهد الجديد) ويكون المقصود من هذا القول أنّ من واجب المسلم أن يعتقد بنزول هذين الكتابين على موسى وعيسى ابن مريم من قبل في منطقتنا هذه بالذّات. وليس معنى ذلك نُسيان أنّ الله تعالى كان قد بعث في كلّ أمّة رسولاً وأنزل شرائع تناسب تعاليمها تلك الأقوام، وبما يتناسب وأزمنتها التي أُنزلت فيها. علما بأنّ القرآن المجيد قد وضّح لنا بأنّه تعالى قد أنزل هذا القرآن مهيمنا على التّوراة والإنجيل. بمعنى أنّ التّوراة والإنجيل لم تصلنا سالمةً. وأنّ القرآن الكريم رقيب عليهما ويصحّح ما ورد فيهما من أخطاء أضرّت بسُمعة أنبياء الله الكرام وبتاريخهم ناصع البياض.

وليس معنى قوله تعالى ﴿وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ﴾ هو أنّ من واجب المسلم الإيمان المجرّد بالتّوراة والإنجيل. وإنّما المقصود هو أن يطالع هذا المسلم التّوراة والإنجيل ويحاور أهل الكتاب فيما ورد في هذين الكتابين من أخطاء تاريخيّة وغيرها، وعلى ضوء معطيات ما جاء به هذا القرآن الكريم. ومن منطلق أنّ الإسلام دين دعوة وحوار. وأنّ من واجب المسلم إيصال صوت السّماء إلى آذان أهل الكتاب بموضوعيّة وبحوار أخلاقيّ.

وأما الفقرة الثّالثة التي قال الله تعالى فيها ﴿وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ﴾ فهي بحاجة إلى تدبّرها بعناية شديدة، لكونها يتبادر إلى ذهن القارئ منها غير ما أريد بها هي أيضاً. وأن نتدبّرها وفق خصوصيّات هذا الكتاب العزيز. فما هو معنى ﴿وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ﴾؟ وهل أنّ معناها أنّ من عقيدة المسلم أن يعتقد بوجود الدّار الآخرة التي تأتي بعد الموت؟ وهو المعنى الذي ذهب إليه المفسّرون الأقدمون.

ولتدبّر هذه الفقرة الثّالثة أرى أنّ من واجبنا أن نتساءل بادئ ذي بدء عن السّبب في أنّ الله تعالى كان يستعمل في جميع الفقرات السّابقة فعل المضارع (يؤمنون). وأمّا في هذه الفقرة الأخيرة التي قال فيها ﴿وَبِٱلْأَخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾، قد استعمل فعل (يوقنون). فما هي حكمة ذلك؟

ولنتبيّن أولاً الفرق ما بين فعل (يؤمنون) وما بين فعل (يوقنون). وقد سبق لنا أن تبيّنا بأنّ الإيمان يعني التّصديق مطلقا، ونقيض الكفر. وقيل الاعتقاد بالقلب والإقرار باللّسان. أما فعل (يوقنون) فمن يقن الأمر معناه علمه وتحقّقه. واليقين يعني إزاحة الشّكّ والعلم الحاصل عن نظرٍ واستدلال. ـ(معجم أقرب الموارد، ومعجم محيط المحيط)ـ

ومن خلال دلالات كلمتي (يؤمنون) و (يوقنون)، يتبيّن لنا فرق واضح المعالم. فشتّان ما بين التّصديق مطلقا. وما بين العلم الحاصل عن نظر واستدلال، يؤدّي إلى إزاحة الشّكّ في أمر من الأمور. وإنّ هذا الفرق الواضح ما بين هاتين الكلمتين، يدفعنا في الوقت نفسه إلى محاولة معرفة دلالة كلمة (الآخرة). معانيها التي تتطلّب من المسلم محاولة العلم بها عن نظر واستدلال، وعلى صورة يزيح عنها كلّ شكّ.

وبالرجوع إلى معاجم اللّغة يتبيّن لنا بأنّ كلمة (آخره) تستعمل في مقابل (أولى). فهي مؤنّث وجمعها أواخر. وتطلق هذه الكلمة في العربيّة على دار البقاء. ويرجوعنا الآن إلى استعمالات هذه الكلمة (الآخرة) في كتاب الله العزيز، يتبيّن لنا أنّه حيثما وردت الحياة الدّنيا، فقد ورد في مقابلها الدّار الآخرة. فهذا المعنى لا تخلو منه سورة من سور القرآن المجيد

بصورة عامّة. أما في سورة القصص الآية 70 فقد أورد الله تعالى كلمة (الآخرة) في مقابل كلمة (الأولى) وقال ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾. فإذا تساءلنا عن سرّ استعمال كلمة (الأولى) في مقابل كلمة (الآخرة) في هذه الآية من سورة القصص؟ فليراجع القارئ مؤلّفي (فنّ الاختزال في القرآن الكريم)، ليتبيّن بأنّ لهذا الاستعمال المذكور علاقة بقصّة موسى في مقابل فرعون وكيف أنّها تكرّرت في مواجهة محمّد ﷺ لأبي جهل وزبانيّته. وأنّ هذا سيتكرر في آخر الزمان يوم يظهر المسيح الدّجال ويفعل فعل فرعون، وفي مواجهة الإسلام وتطوّره، دون الدّخول في التّفاصيل.

كذلك أورد الله تعالى كلمة (الآخرة) في مقابل كلمة (الأولى) في الآية 25 من سورة النّازعات، وبما يتعلّق بقصّة موسى وفرعون أيضاً. فقال تعالى وعزّ من قائل ﴿فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾ فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْءَاخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰ ﴿٢٥﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰٓ﴾. علما بأنّ كلمة (نَكال) تعني العبرة.

وكذلك أورد الله عز وجلّ كلمة (الآخرة) في مقابل كلمة (الأولى) في سورة الضّحى حين خاطب تعالى رسوله الكريم قائلاً ﴿وَلَلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ ٱلْأُولَىٰ﴾. ولم يقصد الله جلّ شأنه هنا من كلمة (الآخرة) الدّار الآخرة، ولكنّه تعالى قد قصد منها الإشارة إلى البعثة الثّانية الإسلاميّة التي يظهر فيها فرعون ذاك الزمان وهو المسيح الدّجّال، ويعيث في الأرض فسادا، ولا يترك الإسلام من شرّه. وتماثل نهايته نهاية فرعون. وأتجنّب هنا الدّخول في ذكر تفاصيل ذلك.

والمهمّ من جميع ما ذكرناه بما يتعلّق باستعمال القرآن الكريم لكلمة (الآخرة). ونظرا إلى أنّ الله عز وجلّ قد أورد كلمة (الآخرة) في هذه الفقرة الثالثة ﴿وَبِٱلْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾، قد استعملها مجرّدة عمّا يقابلها. فإنّ هذا الاستعمال المجرّد لابدّ وأن يكون وراءه عدّة دلالات. وليس معنى واحداً، الذي هو الدّار الآخرة، وكما فهمه المفسّرون القدماء رحمهم الله تعالى. فلو كان المقصود هنا من (الآخرة) دار الجزاء، لكان أحرى أن لا يدعنا الله تعالى نبحث هذا البحث كلّه، وكان يكفي أن يقول تعالى هنا: وبالدّار الآخرة هم يوقنون، وبذلك كان سيتحدّد المعنى بصورة نهائيّة.

وعليه فإنّي أرى أنّ الله تعالى، وانطلاقا من أنّ هذه الآيات الأوائل من سورة البقرة قد أجملت المبادئ والعقائد التي ينبغي أن يلتزم بها المسلم في حياته الإيمانيّة، أرى أنّ كلمة (الآخرة) التي وردت مجرّدة في هذه الفقرة الأخيرة من الآية ومحذوفاً موصوفها، أرى أنّها وردت تفيد جميع ما ورد في القرآن المجيد من استعمالات لهذه الكلمة (الآخرة).

فهذه الكلمة تعني هنا:

أولاً: أن يعتقد المسلم بأنّ عالم هذه الدّنيا قد أسّسه ربّنا عز وجلّ على أساس فلسفة الابتلاء. تلك الفلسفة التي تعني بألفاظ أخرى وجود (الدّار الآخرة) التي هي دار الجزاء.

ثانياً: وأن يعتقد من منطلق مشابهة أمّة محمّد ﷺ أمّة موسى وما صارت إليه. أن يعتقد بوجود البعثة الآخرة وذلك بعد تخلّف المسلمين وانحطاطهم وزوال سلطانهم من هذا العالم.

ثالثاً: وأن يعتقد بأنّ إمام البعثة الإسلاميّة الثّانية ستتغلّب جماعته على فرعون عصره في نهاية المطاف. ويتطوّر حاله على شاكلة ما تطوّر إليه حال البعثة الأولى يقينا. وبذلك يتحقّق قول الله عز وجلّ في سورة (اللّيل): (وأنّ لنا للآخرة والأولى.) وبصورة جليّة.

فبهذه المعاني الثّلاثة التي أشرت إليها يكون قد أورد الله عز وجلّ كلمة (الآخرة) في هذه الفقرة الأخيرة من قوله تعالى ﴿وَبِٱلْأَخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ في نظري واجتهادي الشّخصيّ. أي أنّ الله عز وجلّ قد أدخل في معتقدات المسلم، أن يعتقد بأنّه يأتي على أمّتنا الإسلاميّة زمان لا يبقى فيه من الإسلام إلا اسمه ومن القرآن إلا رسمه وأنّ مساجد الأمة عامرة ولكنّها خراب من الهدى، وعلماء الأمة يكون فهمهم أبعد ما يكون عن الفهم الإسلاميّ الحقيقيّ. ووفق ما كان محمّد رسول الله ﷺ قد أنبأ عن هذا الزمان من قبل. وأن يعتقد هذا المسلم بأنّ الزمان الذي تتحقّق فيه هذه الأوصاف، سيكون هو زمان البعثة الإسلاميّة الثّانية التي يُعيد الله عز وجلّ فيها على أيدي إمامها المهديّ للإسلام وجه تعاليمه الحقيقيّة النّيّرة. واستنادا إلى هذا الفهم وهذه الحقيقة فقد انطلقت في بيان ما يشتمل عليه مؤلّفي هذا. الذي سأثبت فيه مصداقيّة ما طرحته وهو أنّ للإسلام بعثتان، وليس بعثة واحدة.

وننتقل من ذلك إلى الآية الأخيرة من هذه الآيات التي صاغت معتقدات المسلم صياغة بلاغيّة معجزة، لا تتجلّى معانيها إلا على وقتها المقرّر في السّماء. فالله تعالى قال في الآية الأخيرة ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾. فما هي دلالاتها؟

ونتناول بعمليّة التّدبّر قوله تعالى ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ﴾. فضمير (أولئك) يشير إلى زمرة المؤمنين الذين حملوا هذه المبادئ والمعتقدات التي بيّنتها الآيات السّابقة. وأما قوله تعالى (على هدى من ربّهم) فإنّ حرف الجرّ (على) الذي له تسعة معاني، فإنّه يفيد في هذا المقام معنى (الاستعلاء المعنوي) كقوله تعالى ﴿فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ ـ معاجم اللّغة ـ.

ثمّ إنّ كلمة (هُدى) تعني لغةً البيان والرشاد، وضدّ الضّلال. وأما قوله تعالى (من ربّهم) فحرف الجر (من) قد استُعمل هنا للدّلالة على ابتداء الغاية، وليشير إلى أنّ هداية هؤلاء ابتدأت من جانب (ربّهم) الذي هو وليّ أولئك المؤمنين وأنّه هو تكفّل بتطوير هؤلاء المؤمنين من حال إلى حال وليصل بهم إلى مرتبة التّمام ـ معجم (محيط المحيط) ـ. واستنادا إلى دلالات ألفاظ قوله تعالى ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ﴾، يصبح معناه أنّ كلّ من اعتقد المعتقدات التي أتت على ذكرها الآيات السّابقة وكانوا ﴿مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ في سلوكهم اليومي، فإنّ أولئك الأفراد يتميّزون عن الأفراد الضّالين من النّاس، بكونهم أصبحوا يسيرون في حياتهم وهم يعرفون الطّريق الذي يحقّق لهم المقصد من

وجودهم في حياتهم الدّنيوية، وعاد هؤلاء المؤمنون مسترشدون بهدى ربّهم الذي تولّى أمرهم وعاد يطوّرهم من حال إلى حال، وليصل بهم مرتبة التّمام.

وقد أضاف تعالى وقال في الفقرة الثّانية من هذه الآية الكريمة ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾. فكلمة (مفلحون) اشتقّت من أفلح الرجل ومعناه فاز وظفر بما طلب. فإن قلت: أفلح زيدٌ معناه نجح في سعيه وأصاب في عمله. والفلاح هو الظّفر وإدراك الرجل بغيته. ويقال لكلّ من أصاب خيراً: مفلح ـ جميع معاجم اللّغة.

وعليه يصبح معنى هذه الفقرة الثّانية ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ أنّ من يعتقد هذه المعتقدات التي ذكرتها الآيات السّابقة ويعمل عليها إلى درجة أن يصبح مؤمنا تقيا، فإنّ هذه المبادئ والمعتقدات تصبح له مطيّةً تقرّبه من ربّه عز وجلّ لينال قربه ومحبّته ووصاله، وعن طريقها يتحقّق مقصد وجوده في هذه الحياة الدّنيوية شرط أن يمرّره ربّه بابتلاء تلو ابتلاء وامتحان تلو امتحان، ومن باب أنّ هذه الحياة قد قامت على فلسفة الابتلاء والامتحان. وأنّ مجرّد دأب هذا المسلم على الدّعاء ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ وبعيداً عن تحمّل جميع ما يُمرّره ربّه من ابتلاء وامتحان، فإنّ هذا الدّعاء يذهب هباء ولا يثمر الفوز والفلاح المذكور الذي بشّره به ربّه جلّ شأنه في هذه الآية الأخيرة من آيات المعتقدات.

الفصل الرابع:

تلخيص واستنتاج

والآن، وبعد أن عاد لدى المسلم وضوح رؤية حول المبادئ والمعتقدات والمقاصد المرجوة من تعاليم هذا القرآن العظيم الذي أنزله الله عز وجلّ على محمّد رسول الله ﷺ لهداية هذا الإنسان، فقد عاد من واجبنا تلخيص ما بيّناه لهذا المسلم، واستنتاج الحقائق التي تضمّنتها تلك البيّنات سالفة الذّكر. فأقول: بإمكاننا استنتاج الأمور التّالية:

أولاً - إنّ آيات سورة الفاتحة قد هدتنا إلى المقصد من حياتنا الدّنيويّة، وذلك بصياغة بلاغيّة معجزة وخصوصيّة متفرّدة. فوضّحت لنا بأنّ المقصد من حياتنا حقّقه الذين أنعم الله تعالى عليهم من قبلنا من النّبيّين والصّدّيقين والشّهداء والصّالحين. ويتلخّص في عمليّة السّعي من خلال إطاعتنا لله ولرسوله الكريم وبتقوى الله تعالى، السّعي للفوز بمحبّة الله عز وجلّ ونيل قربه والحصول على رضاه سبحانه وتعالى. وهذا هو المقصد من حياتنا الدّنيويّة.

ثانياً - ونستنتج ممّا أفادتنا به الآيات الأوائل من سورة البقرة بما يتعلّق بمبادئ هذا المسلم وعقائده التي ينبغي عليه أن يحملها بصورة

فكريّة وعمليّة، أن يكون صاحب فكر علميٍّ، وليس صاحب فكر تقليديّ، مؤمنا بالغيب، وبمعنى أنّ عالمنا المادّي هذا، وإن بدا في ظاهره أنّه محدود، لكنّه في حقيقة أمره يخفي وراء هذا الظّاهر أسرارا لها أوّل وليس لها آخر. وإنّ على المسلمين أن يجدّوا في أبحاثهم العلميّة لاكتشاف ما في هذا الغيب من أسرار. فهذا من حيث مبادئ فكره وعمليّة أبحاثه العقليّة.

ثالثاً ـ وأمّا من حيث مساعيه الروحيّة، فإنّ الصّلاة المفروضة عليه، وإنفاقه ممّا آتاه إياه ربّه من مال مادّي ومعنويٍّ كحقٍّ عليه للسّائل والمحروم، فبهما يترقّى المؤمن روحيّاً على طريق تحصيل المقصد من حياته الدّنيويّة. وهذه الحقيقة تعني بألفاظ أخرى بأنّ تعاليم الدّين الإسلاميّ هي في حقيقتها تعاليم روحيّة، وذات صبغة إنسانيّة، وأنّ المسلم أداة سلام وتقدّم في العالم.

رابعاً ـ وأنّ تعاليم الإسلام هي تعاليم دعوة عالميّة لإيصال هذا الخير الذي منّ الله تعالى به على المسلمين، لإيصاله إلى جميع بني نوع الإنسان. من منطلق أنّ هذه التّعاليم الإسلاميّة قد أنزلها الله تعالى لتصحيح أوضاع أتباع جميع الأديان التي أنزلها الله عز وجلّ من قبل أن يُنزل تعاليم هذا الدّين الحنيف. والدّعوة إلى سبيل الله تعالى يكون سلاحها ما ورد في هذا القرآن الكريم من دلائل وبيّنات. فالله عز وجلّ لم يفرّط في هذا القرآن من شيء.

خامساً ـ وانطلاقا من أنّ تعاليم الإسلام هي تعـاليم دعـوة بالحجّة والبرهان، فإنّ الآيات الأوائل من سـورة البقـرة، والتي ورد فيـها قولـه تعالى ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾، فـإنّ هـذه الحقيقة تفرض علـى المسـلم أن يحيـط علمـا، وبصـورة موضوعيّـة، بمـا ورد في التّوراة والإنجيل من معلومات تُعـاصره، فيتدارسُها علـى ضـوء ما ورد في كتاب الله القرآن من تصحيح لها. فإن حاور، ليحاور بحجّـة دامغة وبرهان ساطع.

سادساً ـ هذا وإنّ الآيـة الأخيرة مـن تلـك الآيـات، والتـي قـال الله تعالى فيها ﴿وَبِٱلْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾. فإنّ مضمـون هـذه الآيـة الكريمـة يُطلع هذا المسلم على فلسفة الحياة الدّنيويّـة، والتـي قـامت علـى فلسـفة الابتلاء التي لها آثارها الروحيّة ونتائجها. وأنّ تلك الآثار سيسـفر عنـها علم الدّار الآخرة التي تأتي بعـد مـوت هـذا الإنسـان وانتقالـه إلـى الـدّار الآخرة.

سـابعاً ـ وأنّ مـن دلالات مضمـون قولـه تعـالى ﴿وَبِٱلْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾، هو أنّ الله تعالى قد أنبأ من خلال قولـه المذكـور عـن مشـابهة الأمّة المحمّدية أمّة موسى التي حدثت فيها بعثتان، هما بعثة موسى وبعثة عيسى عليـهما السّـلام، وكـان يفصـل بـين البعثتين المشـار إليـهما أربعـة عشر قرنا من الزمـان. الأمـر الـذي يعنـي بألفـاظ أخـرى أنّ زمـن البعثـة الإسلاميّة الثّانية يبتدئ من بعـد بعثـة محمّـد رسـول الله ﷺ بأربعـة عشـر

قرن من الزمان. وهي البعثة الثّانية التي تشكّل محور مضامين هذا الكتاب.

فهذه نتائج سبعة استنتجناها من مُعطيات آيات سورة الفاتحة، ومعطيات الآيات الأوائل من سورة البقرة التي وضّحت للمسلم مبادئه ومعتقداته الأساسية، والآيات هي: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ۝٤ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾. وهي الآيات التي تدبّرناها أعلاه بمنهجيّة القرآن الكريم وأصول تفسيره وتوصّلنا منها إلى ما توصّلنا إليه من حقائق ومعلومات وسبعة استنتاجات. وأرجو من الله تعالى أن أكون قد تدبّرت آيات كتابه العزيز تدبّرا حقيقيّا ومفيدا لمسلمي عصرنا الذين هم بأشد الحاجة إلى من يوضح لأعينهم التّعاليم الإسلاميّة في هذا العصر من جديد، وليصبحوا أهلا لحمل أعباء البعثة الإسلاميّة الثّانية.

[الباب الثّاني]

وكنت قلت في مقدّمة هذا البحث أنّه ينبغي علينا أن نتدبّر آيات هذا القرآن العظيم منطلقين من وجود ضرورة قصوى لتقصّي النّبوءات القرآنيّة التي أنبأت عن وجود هاتين البعثتين الإسلاميّتين اللّتين عنونت بهما هذا الكتاب. آخذين بعين اعتبارنا بأنّ الله تعالى قد خالف خصوصيّات الكتّاب والأدباء فيما يطرحونه من مواضيع يوردونها بترتيب موضوعيٍّ وبعناوين مستقلّة. فالله جلّ شأنه قد خالفهم في ذلك وقد صاغ ما يريد بيانه بصياغة بلاغيّة معجزة، وبخصوصيات يعجز عز الأخذ بها الأديب والعالم العاديّ. وبهذه الصّياغة وتلك الخصوصيّات وما حملته من مضامين قد تحدّى الله عز وجلّ الجنّ والإنس.

وانطلاقا من هذا الفهم، أقول: إننا حين نتقصّى النّبوءات التي أنبأت عن البعثة الإسلاميّة الثّانية، فلا يعني هذا أنّنا سنرجع إلى سورة قرآنيّة بعينها في هذا المجال. بل إننا ينبغي أن نبحث عن مناسبات ورود تلك النّبوءات في مختلف سور القرآن الكريم ووفق مناسباتها وضمن تسلسل الآيات الموضوعيّ.

الفصل الأوّل:

الإنباء عن بعثة شاهد منه

المعلوم من كتاب الله العزيز هو أنّ من سنّة الله تعالى أن يجعل كلّ نبيٍّ يشهد على صدق من سبقه من أنبياء الله الكرام. وقد جعل الله تعالى نبيّه محمّداً ﷺ شاهداً على مصداقيّة نبوّة جميع من كان الله تعالى قد بعثهم من أنبياء واصطفاهم لحمل رسالاته إلى أممهم، والذين وردت أسماؤهم في هذا القرآن الكريم. والسّؤال هنا: وهل ترك الله العزيز رسوله محمّدا صلّى الله عليه وسلّم من دون شاهد يشهد على مصداقيّة نبوّته؟ وللإجابة على هذا السّؤال الهام فقد قمت بتدبّر آيات كتاب الله القرآن ولقد تبيّن لي بأنّ الله تعالى قد أجاب على هذا السّؤال، وذلك في الآية السّابعة عشرة من سورة هود وبصدد إثبات مصداقيّة نبوّة محمّد بن عبد الله ﷺ. في تلك الآية التي استهلّها تعالى بقوله: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ ۚ فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ ۚ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾. فما هي دلالات هذه الآية الكريمة؟ وما هي مناسبتها؟

ولبيان ذلك أحاول بداية تدبّر ألفاظ الآية ومن ثمّ أتوجّه لبيان مناسبة ورودها.

فإن أمعنّا نظرنا في قوله تعالى الذي يقدّم دلائل مصداقيّة نبوّة محمّد بن عبد الله الصّادق الأمين ﷺ، وهو قوله تعالى ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً﴾، يتبيّن لنا بأنّ هذا النّصّ القرآنيّ قد اشتمل على دليل مؤلّف من عناصر ثلاثة، وقد اجتمعت هذه العناصر الثّلاثة في شخصيّة محمّد رسول الله ﷺ، ويثبت من خلالها أنّ محمّداً ﷺ كان نبيّاً صادقاً.

وأتناول بالتّدبّر أوّل هذه العناصر الثّلاثة وهو الذي تضمّنه قوله تعالى ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾. فالهمزة التي استهلّ الله تعالى بها هذه الفقرة من الآية، وردت لطلب التّصديق بأنّ محمّداً كان على بيّنة من ربّه عز وجل. والذي أكّد مصداقيّة ذلك أنّه آمن بنبوّة محمّد ﷺ ألوف الملايين من النّاس، وتلمّسوا كونه على بيّنة من ربّه، ولذلك تحمّلوا في سبيل المحافظة على إيمانهم بنبوّته مختلف أنواع الاضطهاد. وهنا نتساءل عن معنى قوله تعالى ﴿عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾؟

فكلمة (البيّنة) اشتُقّت من أبان الشّيء ومعناه اتّضح. والبيّن معناه الواضح الجليّ. ومؤنّثه (البيّنة) وتعني الحجّة والدّليل. وعليه يصبح معنى قوله تعالى ﴿عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ أنّ محمّداً ﷺ لم يكن متوهّما صلته بربّه عز وجلّ، بل إنّ ربّه دعّم له صلته به بالحجّة والدّليل. وقد أجمل جلّ شأنه ما قدّمه لرسوله الأمين من حجج وأدلّة فيما تضمّنته

الآيات الأواخر من سورة الضّحى التي قال الله تعالى فيها ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ۝ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ۝ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ﴾. أي ألم يجدك فريد عصرك ويتيمة دهرك فآواك. ووجدك مندفعا بكلّيتك لمعرفة الحقيقة فهداك إليها. ووجدك عالة على غيرك في تقصّي العلوم والحقائق، فأغناك وجعلك قبلة النّاس ومرجعهم في تقصّي العلوم والحقائق؟ وقد تلمّس جميع الذين آمنوا بصدق رسالة محمّد ﷺ تلك الدّلائل والبيّنات التي شهدت على أنّ محمّدا كان على بيّنة من ربّه عز وجلّ من خلال ما كان يُنبئهم عنه ويتحقّق ويعلّمهم إيّاه فيجعلهم علماء في الدّين. ولذلك أخبرنا تاريخ تلك الفترة من الزمان كيف أنّ أولئك المؤمنين كانوا لا يبالون بالموت دفاعا عن رسولهم وعما جاء به من دين.

وأتناول بالتّدبّر العنصر الثّاني الذي تضمّنه قوله تعالى ﴿وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾ فالواو هي واو العطف والإضافة. وقد أوردها جلّ شأنه لتضيف عنصراً ثانياً من عناصر صدق نبوّة محمّد رسول الله ﷺ. ونتساءل عن دلالة هذه الفقرة الثّانية؟ ففعل (يتلوه) من تلا محمّداً ومعناه جاء من بعده تابعا إيّاه. ومن (التّلو) وهو ما يتلو الشّيء. فتقول (تتلاّه) بمعنى تتبّعه. وقد وصف الله عز وجلّ هذا الذي سيتلو محمّداً ويجيء من بعده بصفة (شاهد منه) فما هي دلالة كلمة (الشّاهد)؟ فإذا قلت شهد فلانٌ على أمرٍ من الأمور، معناه أخبر به خبراً صادقاً. واستناداً إلى هذا المعنى يصبح معنى قوله تعالى ﴿وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾ أنّ الله تعالى سيبعث بعد محمّدٍ من يكون منه أي من أمّته، ويشهد هذا

الشّاهد خبراً صادقاً يؤكّد من خلال شهادته هذه مصداقيّة نبوّة محمّد رسول الله ﷺ. وإنّ هذه الحقيقة تؤكّد بأنّ للإسلام بعثتان: (البعثة المحمّدية والبعثة الأحمديّة) هذه التي تكون من أمّة محمّد ﷺ ويشكّل نجاحها شهادة على صدق النّبوّة المحمّديّة. وهنا يفرض سؤالٌ نفسه، وهو: من أين جئت باصطلاح كلمة (الأحمديّة؟ وهو سؤال جدير بالإجابة عليه في هذا المقام.

فأقول في الإجابة على هذا السّؤال، إنّني تدبّرت كتاب الله تعالى من هذه الزاوية، فتبيّن لي أنّ الله عز وجل قد وضّح هذه الحقيقة بصياغة بلاغيّة معجزة ووفق خصوصيّات كتابه العزيز، وذلك في الآيات 6 ـ 9 من سورة الصّفّ التي ورد فيها على لسان عيسى ابن مريم: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٦﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰٓ إِلَى ٱلْإِسْلَٰمِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧﴾ يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾. وإنّ هذه الآيات القرآنيّة قد تضمّنت الحقائق التّالية:

أولاً ـ أنّ عيسى ابن مريم عليه السّلام قد بعثه ربّه رسولاً إلى بني إسرائيل وعلى نفس تعاليم توراة موسى عليه السّلام. وهي حقيقة أكّدها قول المسيح في الإنجيل (ما جئت لأنقض النّاموس بل لأكمل).

ثانياً ـ وأنّ عيسى ابن مريم قد بشّر برسول يأتي من بعده اسمه أحمد. ونحن نشأنا كمسلمين مُعتقدين وفق ما توارثناه بأنّ المسيح ابن مريم قد بشّر ببعثة محمّد سيّد رسل الله أجمعين. توارثنا تلك العقيدة استناداً إلى مُعطيات هذه الآية القرآنيّة بالذّات، وبدون أن نبحث هذا الموروث بحثاً موضوعياً.

لكنّني عندما بحثت هذه العقيدة بحثاً موضوعياً، فقد تبيّن لي بأنّ الله عز وجلّ حين صاغ هذه النّبوءة المشار إليها، فقد صاغها صياغة بلاغيّة تفيد التّصريح ببعثة محمّد رسول الله ﷺ من جهة. كما تشير إلى صاحب البعثة الثّانية الذي جعله ربّه ﴿ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾ أي مُخبراً صادقاً على صدق النّبوّة المحمّدية، والذي يبعثه ربّه عز وجلّ بعد محمّد بأربعة عشر قرن من الزمان. ، وهي المدّة التي حصلت ما بين بعثة موسى وتابعه عيسى ابن مريم عليهما السّلام، وكما هو معلوم من الأناجيل المعاصرة فكيف اتّضحت لي هذه الحقيقة المذكورة؟ اتّضحت لي من خلال قول عيسى ابن مريم (اسمه أحمد). وإنّ اسم أحمد صيغة تفضيل لاسم محمّد. فاسم محمّد يعني أنّه جامع الصّفات الحميدة التي تمثّل تخلُّق محمّد بن عبد الله ﷺ بأسماء الله الحسنى على أكمل وجه، لذلك ورد بحقّه في كتاب الله العزيز ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾. ولمّا كان محمّد ﷺ قد أتى بعقيدة التّوحيد، وكما هو معروف، وفي أمّة كانت أمّيّةً. فإنّ بعثة أمّة محمّد الثّانية، لا تعاصر أناساً أمّيّين. بل تعاصر مبادئ ومدارس فكريّة علمانيّة تُبعدُ النّاس عن الموروث

التّقليدي من الدّين. لذلك فإنّ هذا الواقع هو بحاجة إلى الحوار الدّينيّ المدعوم بالحجج والبراهين السّاطعة لإثبات وجود الله تعالى ووحدانيّته. وهي حقيقة أشار إليها اسم (أحمد) وبصيغة تفضيل، للدّلالة على أنّ البعثة الثّانية الإسلاميّة ستحقّق التّوحيد بأفضل ما حقّقته البعثة المحمّديّة الأولى. وإلى هذه الحقيقة أشار قول الله تعالى في سورة الضّحى ﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ ۝ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ﴾ وهو القول الذي سآتي على شرحه في الوقت المناسب إن شاء الله العزيز.

ثمّ إنّنا حين نحاور تابعا للمسيح ابن مريم ونواجهه بهذه النّبوءة ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾، فسيجيبنا كيف تطبّقون هذه النّبوءة، إن صدقت، على محمّد؟ فمحمّد هو غير أحمد. أمّا إذا أخذنا بهذا الفهم الذي شرحته آنفاً، فلا يعود لهذا المعترض من مجال للطّعن والاحتجاج.

وأنا حين راجعت الأناجيل المعاصرة من زاوية النّظر التي أسلفت ذكرها. فقد تبيّن لي بأنّ المسيح قد أنبأ عن بعثة نبيٍّ مشرّعٍ من بعده مثيل موسى وبشريعة كاملة التّعاليم. كما أنبأ عن بعثة مثيلٍ للمسيح وأعطى علامات كثيرة تتعلّق بزمن بعثة هذا المثيل للمسيح أيضاً. وبما أنّ الذين كتبوا هذه الأناجيل، قد استندوا فيما كتبوه إلى روايات وصلتهم بعد أكثر من سبعة عقود من زمن بعثة المسيح النّاصريّ. فإنّ هؤلاء الكتّاب لم يتبيّنوا وجود هذين النّبأين اللّذين أنبأ عنهما المسيح النّاصري وبهذه الوضاحة التي فهمناها من قول الله تعالى ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن

بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ﴾ وقوله تعالى في سورة هود ﴿ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ ﴾. وهي الحقيقة التي سبق لي أن وضّحتها آنفا. وسأورد للقارئ العزيز النّصوص الإنجيليّة التي تؤكّد مصداقيّة ما ذكرته وذهبت إليه.

أولاً ـ فكاتب إنجيل يوحنّا أورد نبوءة للمسيح النّاصري تتعلّق ببعثة محمّد رسول الله ﷺ ويكون مثيل موسى عليه السّلام، أي يكون صاحب شريعة كاملة التّعاليم. فقد أورد كاتب إنجيل يوحنّا هذه النّبوءة بألفاظ واضحة جدّا. وقد صوّر لنا المسيح النّاصري وهو يمهد للإفصاح عن هذه النّبوءة بعد أن أطلعه ربّه عز وجلّ حول يهوذا الاسخريوطي الذي سيسلّمه إلى اليهود ليصلبوه. ففي الإصحاح 14 / 26 قال المسيح النّاصري وهو يشير إلى نهايته في الأرض المقدّسة قال (وأما المعزّي الروح القدس الذي سيرسله الآب باسمي فهو يعلّمكم كلّ شيء ويذكّركم بكلّ ما قلته لكم.) ومن ثم فقد راح المسيح النّاصري يقول في آخر الإصحاح الخامس عشر (ومتى جاء المعزّي الذي سأرسله أنا إليكم من الآب روح الحقّ الذي من عند الآب ينبثق فهو يشهدُ لي. وتشهدون أنتم أيضاً لأنّكم معي من الابتداء.). ومن ثمّ صرّح بهذه النّبوءة بألفاظ صريحة وذلك في الإصحاح 16 ابتداء من الآية الخامسة فقال: (وأمّا الآن فأنا ماضٍ إلى الذي أرسلني وليس أحد منكم يسألني أين تمضي. لكن لأنّي قلتُ لكم هذا قد ملأ الحزن قلوبكم. لكنّي أقول لكم الحقَّ إنّهُ خيرٌ لكم أن أنطلقَ. لأنّه إن لم أنطلق لا يأتيكم المعزّي. ولكن إن ذهبت أرسله إليكم. ومتى جاء ذاك يبكّتُ العالم على خطيّة وعلى برٍّ وعلى دينونة.

أما على خطيّة فلأنّهم لا يؤمنون بي. وأما على برٍّ فلأني ذاهبٌ إلى أبي ولا ترونني أيضاً. وأمّا على دينونة فلأنّ رئيس هذا العالم قد دين.). إنَّ لي أمورا كثيرةً أيضاً لأقول لكم ولكن لا تستطيعون أن تحتملوا الآن. وأمّا متى جاء ذاك روح الحقّ فهو يُرشدكم إلى جميع الحقّ لأنّه لا يتكلّم من نفسه بل كلّ ما يسمعُ يتكلّم به ويخبركم بأمور آتية. ذاك يمجّدني لأنّه يأخذ ممّا لي ويخبركم) وتتبيّن لنا من خلال هذه الاقتباسات الأمور التّالية: 1 ـ لنلاحظ كيف أنّ المسيح سمّى (المعزّي) تارة (الروح القدس) في الاقتباس الأول. وسمّاه تارة أخرى (روح الحقّ) في الاقتباس الثّاني. 2 ـ وأما في الاقتباس الثّالث فقد صرّح بأنّه سيمضي ويفارق تلاميذه من دون أن يبيّن صراحة إلى أين سيمضي. فأغفل ذلك بسبب أنّه سبق له في الإصحاح 10/ 16 أن بيّن ذلك حيث قال هناك: (ولي خرافٌ أُخَر ليست من هذه الحظيرة ينبغي أن آتي بتلك أيضاً فتسمع صوتي وتكون رعيّة واحدة وراع واحد لهذا يحبّني الآب لأني أضع نفسي لآخذها أيضاً. هذه الوصيّة قبلتها من أبي.). وهذا إشارة إلى أنّ الله تعالى سينجّي المسيح من الموت على الصّليب، ويدفعه ليهاجر لتبشير بقيّة أسباط إسرائيل الذين كان نبوخذ نصّر قد نفاهم من فلسطين وتشتّتوا في بقاع عديدة. 3 ـ ولنلاحظ أيضاً قول المسيح وهو ينبئ عن (المعزّي) أنّه (يُرشدكم إلى جميع الحقّ لأنّه لا يتكلّم من نفسه، بل كلّ ما يسمع يتكلّم به، ويخبركم بأمور آتية.) وكأنّه يقول بألفاظ أخرى بأنّ هذا المعزّي لا ينطق عن الهوى بل يبلّغ ما يوحى إليه.

ثانياً ـ وأمّا فيما يتعلّق بنبوءة المسيح النّاصري حول مثيله الذي سيبعثه ربّه بعد بعثة محمّد (المعزّي وروح الحق) ﷺ، تلك النّبوءة التي لم يتبنّاها كاتب إنجيل يوحنّا لمنافاتها للنّبوءة المتعلّقة بالمعزّي. فقد تبنّاها بقيّة كتبة الأناجيل من دون أن يدروا بأنّها نبوءة أخرى غير النّبوءة المتعلّقة ببعثة (المعزي).

فقد أورد كاتب إنجيل لوقا النّبوءة المتعلّقة ببعثة مثيل له من بعده وذلك في الإصحاح 21 وابتداء من الآية الخامسة التي أنبأ فيها عن أنّه ستأتي أيّامٌ على هيكل سليمان لا يُتركُ فيه حجرٌ على حجر إلا ويُنقض. وأقتبس للقارئ العزيز بعضا ممّا قاله المسيح بهذا الخصوص، قال: (فإنّ كثيرين سيأتون باسمي قائلين إني لأنا هو والزمان قد قرب. فلا تذهبوا وراءهم.). ثمّ قال لهم وهو يعطيهم علامات تحدّد زمن بعثة مثيله فقال: (تقوم أمّة على أمّة، ومملكة على مملكة. وتكون زلازل عظيمة في أماكن ومجاعات وأوبئة. وتكون مخاوف وعلامات عظيمة من السّماء. وقبل هذا كلّه يُلقون أيديهم عليكم ويطردونكم ويسلّمونكم إلى مجامع وسجونَ وتُساقون أمام ملوك وولاة لأجل اسمي.). وأضاف وقال (هكذا أنتم أيضاً متى رأيتم هذه الأشياء صائرة فاعلموا أنّ ملكوت الله قريب. الحقّ أقول لكم إنّه لا يمضي هذا الجيل حتّى يكون الكلّ. السّماء والأرض تزولان ولكنّ كلامي لا يزول. فاحترزوا لأنفسكم لئلاّ تثقُلَ قلوبكُم في خُمار وسكر وهموم الحياة فيصادفكم ذلك اليوم بغتة. لأنّه كالفخّ يأتي على جميع الجالسين

على وجه كلّ الأرض. اسهروا إذا وتضرّعوا في كلّ حين لكي تُحسبوا أهلا للنّجاة من جميع هذا المُزمع أن يكون وتقفوا قُدّام ابن الإنسان.).

وليلاحظ عزيزي القارئ كيف أنّ مضمون هذه النّبوءة تتعلّق ببعثة مثيلٍ المسيح النّاصري وبعد بعثته ﷺ بأربعة عشر قرن من الزمان أي بنفس المدّة التي انقضت ما بين بعثة موسى وبعثة عيسى عليهما السّلام. وهي حقيقة كانت قد أشارت إليها كاف التّشبيه من قبل هذا. وإنّ المسيحيّين بمختلف طوائفهم ينتظرون نزول المسيح على أجنحة الملائكة وفق هذه النّبوءة. وهم لا يعلمون بأنّ هذه النّبوءة تتعلّق ببعثة مثيل المسيح الذي يكون خادماً عظيماً من خدّام محمّد سيّد المرسلين ﷺ. وشاهداً على صدق نبوّته عليه السّلام، ووفق هذه النّبوءة التي أوردتها الآية من سورة هود التي نحن بصدد شرحها وتدبّرها. ويكون القرآن الكريم في الوقت نفسه قد صحّح للمسيحيّين حقيقة هذه النّبوءة.

والآن وبعد أن تدبّرت هذه الفقرة الثّانية من الآية من سورة هود وبيّنت دلالاتها، أنتقل خطوة أخرى لبيان الفقرة الثّالثة منها وهي قوله تعالى ﴿وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً﴾. فما هي دلالتها؟ أقول: إنّ الله تعالى قد قدّم دليلاً ثالثاً في هذه الفقرة على صدق نبوّة محمّد المصطفى ﷺ. فكلمة (الإمام) تعني المرشد (محيط المحيط). وعليه فإنّ الله عز وجلّ يُلفت أذهاننا إلى أنّ كتاب موسى يُرشدنا إلى صدق نبوّة هذا الرسول الصّادق الأمين. وذلك بما تضمّنه من نبوءات واضحة الدّلالات تشير بإصبعها إلى شخصيّة محمّد بن عبد الله ﷺ، وتنطبق عليها يقينا.

فمن أبرز تلك النّبوءات، نبوءة سفر التّثنية الإصحاح 18/ 18 والوارد فيه: (سأقيم لهم نبيّا من وَسط اخوتهم مثلُك، وأجعلُ كلامي في فمه، فيخاطبهم بكلّ ما آمره به. وأيَّ رجل لم يسمع كلامي الذي يتكلّمُ به باسمي، فإني أُحاسبه عليه. ولكنّ النّبيّ الذي اعتدّ بنفسه فقال باسمي قولاً لم آمره أن يقوله أو تكلّم باسم آلهة أخرى فليُقتل ذلك النّبيّ. فإن قُلتَ في قلبكَ: كيف نعرفُ القولَ الذي لم يقُلهُ الربّ؟ فإن تكلّم النّبيّ ولم يتمّ كلامه ولم يحدُث، فذلك الكلامُ لم يتكلّم به الربّ، بل للاعتداد بنفسه تكلّم به النّبيّ، فلا تَهبه.). والآن إن أنت عُدت بذهنك يا عزيزي القارئ إلى سيرة محمّد رسول الله ﷺ، يتبيّن لك بأنّ محمّداً لم ينطق عن هواه، بل نقل إلينا ما أوحي إليه. أي تكلّم عن الربّ وفق منطوق هذه النّبوءة، ولم يُقتل بالرغم من المحاولات الكثيرة التي حدثت لقتله. وبالإضافة إلى هذا كلّه فقد تحقّق جميع ما كان قد أنبأ به عن ربّه. وانطلاقاً من هذا الواقع الذي ذكرناه، فقد كان ﴿كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً﴾ للنّاس ليساعدهم على معرفة صدق نبوّة محمّد بن عبد الله صلّى الله عليه وسلّم. وعليه فقد كان كتاب موسى والذي تضمّن هذه النّبوءة ليس رحمة للنّاس بصورة عامّة وحسب. بل وكان (رحمة) للإسرائيليّن الذين اعتقدوا بموسى وكتابه، بل و (رحمة) للمسيحيّن أيضاً، وهم الذين ورد في إنجيلهم قول المسيح النّاصري: (ما جئت لأنقض النّاموس بل لأُكمل). وعلى هذه الصّورة أكون قد أطلعت القارئ المسلم على هذه النّبوءة المتعلّقة ببعثة

(شاهد منه) يشهد على صدق نبوّة محمّد سيّد المرسلين ﷺ ومن أمّته، وبعد بعثته بأربعة عشر قرن من الزمان وفق ما دلّت عليه (كاف التّشبيه) التي وردت ضمن قول الله تعالى في الآية 15 من سورة المزّمل: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ رَسُولاً شَٰهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولاً﴾. وهي الآية التي شرحتها في مقدّمة هذا الكتاب بإسهاب.

وقبل أن أنتقل للكلام عن نبوءة أخرى، كنت قد وعدت أن أوضّحت المناسبة التي جرّت إلى الإخبار عن هذه النّبوءة التي تكلّمنا عنها. فإن راجع القارئ الآية الثّانية عشرة والتي قال تعالى فيها ﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكٌۢ بَعْضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَضَآئِقٌۢ بِهِۦ صَدْرُكَ أَن يَقُولُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌ إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٌ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ﴾. هذه الآية التي وضّحت ضيق صدر محمّد رسول الله ﷺ من هذا الاستهزاء الذي قابله قومه به. فقد دفع ربُّ محمّد ليتحدّى قومه الذين استهزءوا به وزعموا أنّه افترى هذا القرآن العظيم. دفعه ليتحدّاهم في الآية الثّالثة عشرة وقال: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ فَأْتُواْ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُواْ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾. ومن ثمّ فقد راح الله عز وجلّ يقول في الآية الرابعة عشرة ﴿فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾. وقد أراد تعالى من قوله هنا ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾. أي إذا عجزتم عن مقابلة هذا التّحدّي فهل تسلّمون بعد ذلك بهذه الحقائق التي أوردناها لكم؟ ومن ثمّ فقد عرض تعالى قانوناً

قدرياً يهيمن على هذا العالم وهو ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ۝ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾. ولم يكتف الله عز وجلّ بهذا التّحدّي الذي زوّد به تعالى رسوله الكريم. بل وأتى بالهمزة التي تفيد التّصديق، وأورد هذه الآية السّابة عشرة التي اشتملت على هذه العناصر الثّلاثة التي شرحناها والتي تشكّل أدلّة قاطعة على أنّ محمّدا بن عبد الله الصّادق الأمين، هو نبيٌّ صادقٌ قد تحقّقت في شخصه نبوءات الكتب السّماويّة السّابقة. وأثبتت الأيام للذين اتّبعوه بأنّه على بيّنة من ربّه عز وجلّ. وأنّه سيبعث الله تعالى من أمّته في المستقبل، وحين تخلّف أمّته، سيبعث ﴿ شَاهِدٌ مِّنْهُ ﴾ يشهد هو أيضاً على صدق نبوّته.

وبذلك يكون الله جلّ شأنه قد بيّن بهذا الأسلوب البلاغيّ الصّياغة أنّ (للإسلام بعثتان) وليس بعثة واحدة. وأنّ البعثة الأولى هي (البعثة المحمّديّة). وأنّ البعثة الثّانية هي (البعثة الأحمديّة) التي بشّر بها المسيح النّاصري حين قال ﴿ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ﴾.

الفصل الثّاني:

نبوءة ﴿ وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُواْ بِهِمْ ﴾

وقد تبيّنت لي معالم نبوءة ثانية قد تضمّنتها آيات سورة الجمعة التي نودي فيها المسلمون للصّلاة جماعة من جديد تحت لواء مجدّد آخر الزمان والذي يمثّل بعثة الإسلام الثّانية التي توصّلنا إلى تسميتها بالبعثة (الأحمديّة) والتي أشارت إليها مُعطيات آيات سورة الصّفّ. وقبل الخوض في تفاصيل هذه النّبوءة، أدعو القارئ المسلم ليلاحظ كيف أنّ الله تعالى على حين قد استهلّ سورة الجمعة بفعل التّسبيح بصيغة الحاضر، وقال ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾ فإنّه سبحانه وتعالى كان قد استهلّ سورة الصّفّ التي قبلها بفعل التّسبيح بصيغة الماضي، وقال ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾. وكان من واجب كلّ من يتدبّر آيات سورتي الصّفّ والجمعة هاتين، أن يتساءل عن حكمة هذا التّبدل في صياغة فعل التّسبيح المستهلّ به كلّ من آيات سورتي الصّفّ والجمعة؟ إذ ليس من المعقول أن يُجري الله جلّ شأنه مثل هذا التّصرّف في مستهلّ سورتي الصّفّ والجمعة من دون أن يكون وراء هذا التّبديل حكمة بالغة.

وقد سبق لي أن وضّحت العلاقة الموضوعيّة الكائنة ما بين سورتي الصّف والجمعة في مؤلّفي (فنّ الاختزال في القرآن الكريم). فبيّنت هناك بأنّ الله تعالى كان قد خاطب في آيات سورة الصّفّ فئة مسلمي آخر الزمان المؤمنين بمحمّد ﷺ والمتخلّفين عن بقيّة أمم عصرهم قائلاً ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾. وهذا الخطاب الموجّه إلى مؤمني عصر التّخلّف والانحطاط الذي هو عصرنا، يعني بألفاظ أخرى أنّ هؤلاء الذين يدّعون الإسلام هم أبعد ما يكون عن تطبيق ما جاء به الإسلام من تعاليم وأحكام. وقد ذكّرهم ربّهم بفئة المؤمنين الأولى الذين كانوا يقولون ويفعلون ولذلك جذبوا محبّة ربّهم عز وجلّ، وقال ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ﴾ ملمّحاً جلّ شأنه من خلال قوله هذا إلى أنّ مسلمي آخر الزمان، قد خسروا محبّة ربّهم عز وجلّ بسبب أنّهم يقولون مالا يفعلون، وبسبب أنّهم متفرّقون إلى مذاهب ودول شتّى، وبذلك فلا يُشبهون بالتّالي فئة أولئك الذين آمنوا بمحمّد رسول الله في حياته وافتدوه بأموالهم وأرواحهم بصورة عمليّة. وأنّ مسلمي آخر الزمان هؤلاء قد عادوا من جرّاء ذلك كلّه يشبهون قوم موسى الذين زاغوا من بعده فأزاغ الله قلوبهم بعد أن عادوا من الفاسقين. وهي حقيقة تضمّنتها الآية الثّالثة من سورة الصّف التي قال تعالى فيها تعبيراً عن حال موسى نبيّ بني إسرائيل ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِى وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ ۖ فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾

ولذلك وتأكيداً للمعاني التي بيّنتها آنفا، فإنّ الله عز وجلّ انتقل بعد تلك الآيات التي أوردناها ليتكلّم عن نبي إسرائيل عيسى ابن مريم الذي بعثه الله تعالى بعد بعثة موسى بأربعة عشر قرن من الزمان لينهي بواسطته السّلسلة الموسويّة، فبعثه رسولاً إلى بني إسرائيل مصدّقا لما بين يديه من نبوءات التّوراة التي أنذرت الإسرائيليّين بأنهم إن هم زاغوا عن تعاليم نبيّهم موسى وعادوا قوما فاسقين، يقولون غير ما يفعلونه، أنّه جلّ شأنه سينهي سلسلتهم، ويبدأ من جديد سلسلة روحيّة جديدة كان تعالى قد أنبأ عن ظهورها في سفر التّثنية **18/ 18** من العهد القديم. وليجعل الله تعالى عيسى آية وعلامة على عمليّة الإنهاء لتلك السّلسلة من خلال توليد المسيح عيسى ابن مريم بدون أب إسرائيلي. وبذلك يكون عيسى ابن مريم مصدّقا لما بين يديه من تلك النّبوءة المذكورة. ولذلك فقد اختزل الله تعالى هذه الحقائق جميعها في الآية الخامسة وقال على لسان المسيح النّاصري ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ وقد قصد الله عز وجلّ من خلال قوله هذا في هذه الآية الكريمة ﴿ فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ﴾ قد قصد بقوله تعالى الإشارة إلى أنّ مسلمي آخر الزمان الذين شابهت أحداث أمّتهم، من حيث باتوا يقولون مالا يفعلون، قد شابهت أحداث أمّة موسى عليه السّلام الذين كانوا قد عادوا يقولون مالا يفعلون، واقتضى حالهم ظهور بعثة الإسلام الثّانية، والمتمثّلة (بالبعثة الأحمديّة) تلك التي أشار إليها قول

عيسى ابن مريم ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾. هذا القول الذي ألقيت عليه الضّوء وشرحته حين تعرّضت لذكر النّبوءة الأولى المتعلّقة بالإنباء عن شاهد منه، والإنباء عن وجود بعثتين للإسلام. فجميع هذه الحقائق التي أتيت على ذكرها أوردتها هذه الآيات الخمسة الأوائل من سورة الصّفّ والتي استُهلّت بفعل (التّسبيح) بصيغة الماضي (سبّح لله). وليلاحظ الباحث المتدبّر لآيات سورة الصّفّ، كيف أنّ الله عز وجلّ حين أراد إنهاء موضوع سورة الصّفّ، قد توجّه من جديد ليخاطب مسلمي عصرنا المتخلّفين من أولئك المسلمين الذين يقولون مالا يفعلون، وقال ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ فَآمَنَتْ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ﴾. وبذلك يكون الله تعالى قد وضّح في سورة الصّفّ لهذا المؤمن بأنّ لكلّ شيء نتائجه. وأنه إذا عمّت ظاهرة اختلاف أقوال المؤمنين عن أفعالهم، فمن نتيجته أن يبعث الله تعالى في أمّة محمّد من يشابه المسيح النّاصري، وليعود المسلمون بصورة عامّة طائفتان وليس طائفة واحدة، وأتباع بعثتين وليس أتباع بعثة واحدة. فيؤيّد الله جلّ شأنه الطّائفة التي تؤمن بمثيل المسيح إمام البعثة الثّانية التي سميناها (البعثة الأحمديّة) يؤيّدهم على الطّائفة التي كفرت به، وعلى شاكلة ما كان تعالى قد فعل مع أتباع المسيح ابن مريم عليه السّلام. وقد استنتجت من ذلك كلّه بأنّ الله تعالى يُخاطبُ في سورة الصّفّ مسلمي عصرنا بالذّات الذين انطبقت

عليهم ظاهرة اختلاف الأقوال عن الأفعال. هؤلاء الذين تخلّفوا عن بقيّة الأمم واتّصف سلوكهم بأنّهم عادوا ﴿تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾.

ثمّ إنّه في الآية الخامسة من سورة الصّفّ نفسها، وبعد أن ذمّ الله تعالى المؤمنين الذين يقولون ما لا يفعلون، فقد قدّم الله عز وجلّ لمسلمي عصرنا بالذّات مثال اليهود الذين زاغوا عن الحقّ من قوم موسى عليه السّلام والذي كان قد جاءهم في وقته بالبيّنات، وكيف أنّ الله تعالى ونتيجة لذلك قد أزاغ قلوبهم عن الحقّ. فلذلك فما أن بعث الله تعالى عيسى ابن مريم بالبيّنات، حتّى كفروا به وقالوا ﴿هَـٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ بمعنى أنّ الله تعالى حرم أتباع موسى من الإيمان بعيسى عليه السّلام، ولم يهدهم الله تعالى ليكونوا من أنصار عيسى عليه السّلام. وهذا من منطلق أنّ ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَـٰسِقِينَ﴾.

وبعد هذا البيان كلّه، ليلاحظ القارئ المسلم تلك الآية التي أنهى الله تعالى بها سورة الصّفّ والتي قال فيها ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّـۧنَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌ فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُواْ ظَـٰهِرِينَ﴾. فهذه آية مناشدة إلهيّة موجّهة إلى فئة الذي آمنوا بمحمّد رسول الله وبدينه الإسلاميّ الحنيف الذي اعتنقوه بالتّقليد لآبائهم، وبدون تحقيق ذاتيٍّ من جانبهم لهذا الموروث الدّيني. فالله عز وجلّ قد أورد في هذه الآية المذكورة حرف (كما) حين قال ﴿كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ

مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ وإنّ لـهذا الحـرف دلالتـه. فالكاف يغلب عليها أن ترد للتّشبيه. وقد وردت هنا في موضع نصب أيضاً. ولتعني بألفاظ أخرى بأنّ الله عز وجلّ يناشد الذين آمنوا من مسلمي عصر التّخلّف ويقول تعالى لهم ما تقديره: (يا أيها الذين آمنوا: آمنوا بمثيل المسيح كونوا أنصار الله وانصروه وذلك كيلا يشبه حالكم حال اليهود الذين لم يؤمنوا بالمسيح عيسى ابن مريم وظلّوا يقولون ما لا يفعلون) ومن ثمّ فقد وضّح الله تعالى لهؤلاء المسلمين كيف أنّه تعالى كان قد أيّد الطّائفة الذين آمنوا بعيسى ابن مريم على الذين عادَوهم من اليهود. وكان من نتيجة ذلك أن أصبح أتباع عيسى ابن مريم (ظاهرين) على أتباع موسى من اليهود. وكلمة (ظاهرين) هذه اشتُقّت من فعل ظهر الرجل كان قويّ الظّهر. ومن ظهر الشّيء تبيّن وبرز. وفي الكلّيات: الظّاهر هو ما انكشف واتّضح معناه للسّامع من غير تأمُّل وتفكُّر وضدّه الخفيّ. وقد أشار الله عز وجلّ من خلال قوله تعالى ﴿فَأَصْبَحُواْ ظَٰهِرِينَ﴾ إلى فئة حواريّ المسيح الذين كانوا قلّة مغمورة في مقابل مجموعة اليهود الذين عاصروهم. وكان قد هيّا الله عز وجلّ من الأسباب ما انقلب من جرّائها طرفا المعادلة التي كانت في بداية الأمر ما بين أتباع عيسى وما بين أتباع موسى عليهما السّلام. فأصبحت تلك الأقليّة المغمورة تشكّل الأكثريّة في مقابل أولئك اليهود الذين كذّبوا المسيح عيسى ابن مريم عليه السّلام.

فهذه الحقائق التي بيّنتها كانت سورة الصّفّ قد تضمّنتها في حينه. وإنّ الحقيقة التي أوردتها الآية الأخيرة من سورة الصّفّ قد شكّلت

الرابطة الموضوعيّة الكائنة ما بين سورتي الصّف والجمعة. وإنّ هذه الرابطة الموضوعيّة المشار إليها قد وضّحت لنا الحكمة الإلهيّة التي اقتضت من جانب الله عز وجلّ أن يستبدل صيغة (سبّح) بصيغة (يسبّح). أي بينما كان الكلام في سورة الصّفّ يدور عما كان قد حدث في الماضي. فقد انقلب الأمر في سورة الجمعة وعاد الكلام يتحدّث عن حاضر هذه الأمّة الإسلاميّة وعن مستقبلها الذي سيشابه حال ما كان قد حدث لأمّة موسى حين أتى عليها عصر التّخلّف والانحطاط أيّام بعثة المسيح النّاصري عليه السّلام. ففي سورة الجمعة عاد الله عز وجلّ يتحدّث عن عصرنا الحاضر الذي عاد المؤمنون فيه يقولون ما لا يفعلون والذين زاغت قلوبهم عن البيّنات التي جاءهم بها محمّد رسول الله ﷺ. ولذلك فقد عاد من الضّروري جدّاً أن يبعث الله عز وجلّ رجلا يكون مثيل المسيح عيسى ابن مريم إلى هؤلاء المؤمنين بمحمّد رسول الله، وليحدث بالتّالي على يديه ما كان قد حدث من قبل زمن بعثة المسيح عليه السّلام. وفي هذا إشارة إلى ظهور المسيح الموعود بظهوره في هذه الأمّة الإسلاميّة على لسان محمّد رسول الله ﷺ في آخر الزمان. وعليه فهذه هي حكمة الانتقال من صيغة الماضي (سبّح) في مستهلّ سورة الصّفّ إلى صيغة الحاضر (يسبّح) في أوّل آية من آيات سورة الجمعة. هذا الاستبدال الذي نبّهنا الله تعالى من خلاله إلى أن الخطاب في سورة الجمعة عاد يتعلّق بأحوال الأمة الإسلامية، وبكيفيّة معالجة أحوالها يوم تعود تنطبق عليها تلك الصّفات التي عدّدتها الآيات التي أوردتها من قبل من سورة الصّفّ والتي أتينا على ذكرها وبيانها بشرح تفصيلي.

واستناداً إلى هذا الفهم الذي بيّناه آنفاً، والذي استندنا فيه إلى تدبّرنا آيات سورتي الصّفّ والجمعة بمنهجيّة القرآن الكريم وأصول تفسيره، فلاحظ يا عزيزي القارئ كيف أنّ الله عز وجلّ راح يخاطب في الآية الأولى من سورة الجمعة هؤلاء المسلمين المعاصرين المتخلّفين من (الذين آمنوا) بمحمّد رسول الله ﷺ من مسلمي عصرنا من جديد، والذين أصبحوا يقولون ما لا يفعلون. أقول قد راح تعالى يخاطبهم مستهلاً آيات سورة الجمعة هذه بفعل (التّسبيح) بصيغة المضارع وقائلاً فيها ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾ فما هي دلالات هذه الآية الكريمة؟

ألا فاعلم يا أخي المسلم بأنّ قول الله تعالى ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ يفيد أنّ الله تعالى حين تجلّت أسماؤه الحسنى زمن البعثة المحمّديّة بأربع تجلّيات هي ﴿ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾ فقد أثمرت تلك التّجلّيات الإلهيّة بأن عاد ينزّه كلّ شيء كائن في هذه السّماوات والأرض، ينزّه الله عز وجلّ بصورة عمليّة. واستقرّ الأمر بالتّالي إلى هذا الإله ﴿ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾ نتيجة لذلك التّجلّي المذكور.

وهنا أرى أنّ من واجبي شرح دلالات هذه الأسماء الحسنى الأربعة التي تضمّنتها هذه الآية الأولى من سورة الجمعة للقارئ المسلم، وذلك ليحيط بها علما بشكلٍ موضوعيّ بادئ ذي بدء: فأقول إنّ صفة الله (الملك) قد تجلّى الله العزيز بها في عالمنا الدّنيويّ، وتختلف عن صفة

الله (المالك) تلك الصّفة التي سيتجلّى الله العزيز بها يوم البعث الأكبر وبجلالها وجمالها أيضاً. وإنّ صفة الله (المالك) هذه تعني أنّ الله تعالى يفعل يوم القيامة ما يريد فعله وبلا منازع. على حين أنّ تجلّيه تعالى بصفة (الملك) على محمدﷺ إنّما تعني أنّ الله تعالى الذي يحكم عالمنا الدّنيويّ يقترن حكمه بدستور شرعيٍّ وقوانين طبيعيّة. ومن باب أنّ الله عز وجلّ يحكم عالمنا الدّنيويّ هذا وفقا لما سنّه تعالى من قوانين طبيعيّة معروفة، وبما سنّه أيضاً من قوانين قدريّة بيّنها لنا هذا القرآن الكريم في مختلف الآيات من سور كتابه العزيز. علما بأنّي قد أتيت على شرح تلك القوانين القدريّة في مؤلّفي (القضاء والقدر حقيقة كونيّة ثابتة). هذا وإنّ هذه القوانين القدريّة وإن تكُن قد وُجدت في موازاة هذه القوانين الطّبيعيّة، إلاّ أنّها مهيمنة من حيث الواقع على هذه القوانين الطّبيعيّة. وبدليل جميع ما حدث في تاريخ البعثات السّماوية. فقد فعلت التّقادير السّماويّة العامة والخاصّة فعلها في توجيه الأحداث التّاريخيّة، وخلال تاريخ هذا الإنسان، ممّا لا مجال لبحثه في هذا المقام.

ثمّ إنّ صفة الله (القدّوس) التي تضمّنتها هذه الآية الأولى من سورة الجمعة تعني بأنّ الله الذي تجلّى بها هو الطّاهر المبارك، والمنزّه عن الصّفات المذمومة، فهو الله صاحب الأسماء الحسنى، وهو الله الطّاهر والمنزّه عن كلّ فعلٍ يشينه. وأنّ تعاليم هذا القرآن المقدّس قد اشتملت على التّعاليم التي أنزلها الله القدّوس على نبيّه محمّد الصّادق الأمين ﷺ. فهي أقدس التّعاليم المطهّرة.

وأمّا صفة الله (العزيز) التي تضمّنتها الآية الأولى من سورة الجمعة فتعني أنّ الله الشّريف والقويّ والقليل النّادر الذي لا يكاد يوجد، والمكرّم، فهو الله المنيع الذي لا يُنال ولا يُغالبُ ولا يُعجزه شيء في هذا الكون ولا مثل له أيضاً. وقد تجلّى الله العزيز على نبيّه محمّد الصّادق الأمين ﷺ ووعده أن يعصمه من أذى أعدائه من النّاس وذلك من خلال قوله تعالى ﴿وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾. وقد وفى الله العزيز بوعده المذكور، فعصم نبيّه محمّدا ﷺ من أذى جميع الذين تآمروا على قتله من جميع أتباع الأديان وجميع أتباع الجنسيات المختلفة. ولذلك فقد لاحظ العالم كيف أنّ محمّدا رسول الله ﷺ لم يُقتل وقد مات على فراشه فمات ميتة طبيعيّة مصداق الوعد المذكور.

وأما تجلّي الله تعالى بصفة الله (الحكيم) في الآية الأولى من سورة الجمعة فتعني أنّ الله تعالى هو صاحب علم الحكمة وصاحب الحجّة القطعيّة المسماة بالبرهان. وأنّه هو الله المُتقنُ للأمور والجامع ما بين العلم والعمل. وقد تجلّى الله الحكيم على نبيّه محمّد رسول الله ﷺ بهذه الصّفة (الحكيم). ولذلك فقد سارت أمور الدّعوة الإسلاميّة على يديه صلّى الله عليه وسلّم بحكمة بالغة. فلم يحدث على يديه أيّة انتكاسات في أي مجال من مجالاتها، مع طول المدّة التي قضاها محمّد رسول الله ﷺ بين أفراد قومه بعد إعلانه دعوته وإعلانه أنّه رسول ربّ العالمين.

فهذه هي دلالات هذه الصّفات الأربعة الواردة في الآية الأولى من سورة الجمعة، والتي افتتح بها هذه السّورة وقال وعزّ من قائل:

﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾. فاستناداً إلى هذه المعاني والدّلالات التي أتيت على ذكرها، يصبح معنى هذه الآية الأولى من سورة الجمعة أنّ تجلّياتها قد أسهمت في عمليّة بعث هذا النّبيّ الأمّي رسولاً حاملاً تعاليم هذا الدّين الإسلامي الحنيف، وفي أمّة أمّية لا تكتب ولا تحسب. فتلقّى محمّد رسول الله من لدن ربّه عز وجلّ بركات تلك التّجلّيات الأربعة الإلهيّة، وعمد بالتّالي إلى تربية الذين آمنوا به من قومه ومن غيره من الأقوام بمعطيات تلك التّجلّيات الأربعة الإلهية. فطوّرهم محمّد رسول الله على ضوئها وأنقذهم من ضلالتهم، وهم الذين كانوا من قبل في ضلال مبين. فهذا هو معنى الآية الثّانية التي ورد فيها قوله تعالى ﴿هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾. بالإضافة إلى ما سبق أن بيّناه من دلالات الآية الأولى.

ولم يكتف الله عز وجلّ بهذا التّقديم الذي قدّمه في هاتين الآيتين من سورة الجمعة. بل وراح الله جلّ شأنه يربط موضوع سورة الجمعة بموضوع سورة الصّف التي سبقتها ولينبئنا عن تجلّيات أخرى يتجلاها زمن البعثة الثّانية للإسلام والتي تعاصر زمن انحطاط المسلمين وتخلّفهم عن باقي أمم الأرض يوم عادوا يقولون ما لا يفعلون. ليتكلّم عن التّجلّيات الإلهيّة المتعلّقة بمثيل المسيح والموعود ببعثته في آخر الزمان. ذاك الذي كانت سورة الصّفّ قد أنبأت عن بعثته، وكان الله تعالى قد أوصى فيها هؤلاء المتخلّفين من المؤمنين بمحمّد رسول الله،

أوصاهم أن يكونوا من أنصار مثيل المسيح المشار إليه. وكان الغرض من هذه البعثة الثّانية معالجة حال مسلمي عصر الانحطاط. ولهذا السّبب فقد راح تعالى يقول في الآية الثّالثة من سورة الجمعة مشيرا بذلك إلى جماعة مثيل المسيح ابن مريم، قال: ﴿وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾. ويكون الله تعالى من خلال قوله هذا قد أورد نبوءة ثانيةً، قد تنبّأ بواسطتها عن وجود بعثة إسلاميّة ثانية. فما هي حقيقة هذه النّبوءة القرآنيّة الثّانية؟ وما هو مضمونها؟

ونبدأ أوّلا بتدبّر مضمون هذه الآية الثّالثة من سورة الجمعة بمنهجيّة القرآن الكريم وأصول تفسيره. وأوّل ما نسأل عنه هو هذه الواو ومتعلّقها. فنلاحظ وجود تقابل كلاميٍّ ما بين هذه الآية وما بين الآية الأولى المعطوف عليها قوله تعالى ﴿وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾. ففي الشّطر الأول من الآية الأولى قال تعالى ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولاً مِّنْهُمْ﴾ وهذا يعني أنّ كلمة ﴿وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ﴾ محذوف منها فعلها، وتقديره وهو الذي سيبعث في آخرين رسولاً منهم أيضاً. وتأكيداً لهذا التّقدير في المعنى الذي قدّرناه لإظهار هذا التّقابل الكلامي ما بين الآية الأولى وهذه الآية الكريمة. فقد أتى تعالى بحرف (لمّا) الذي يرد على ثلاثة أوجه: الأول أن تأتي تختصّ بالمضارع فتجزمه وتنفيه وتقلبه ماضيا كحرف (لم) إلا أنّها تفارق هذا الحرف (لم) في خمسة أمور. أحدها أنّها لا تقترن بأداة شرط، فلا يقال (إن لما تقم). والثّاني أنّ منفيّ حرف (لما) مستمرّ النّفي إلى الحال. ولم يحتمل الانفصال نحو ﴿وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾. ولا يحتمل الانقطاع نحو ﴿لَمْ يَكُن

شَيْئًا مَّذْكُورًا﴾. والثّالث أنّ الغالب في منفيّ (لما) أن يكون قريبا من الحال، وذلك بخلاف منفيّ (لم) فتقول: لم يكن زيد في العام الماضي مقيما. ولا يجوز لك أن تقول: لمّا يكن زيد في العام الماضي مقيما. والرابع أنّ منفيّ (لمّا) متوقّعٌ ثبوته، وذلك بخلاف منفي حرف (لم). ألا ترى أنّ معنى قوله تعالى ﴿لَّمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ﴾ أنّهم لم يذوقوا عذاب النّار إلى الآن. وأنّ ذوقهم النّار متوقّع. وهذا الفرق حادث بالنّسبة إلى المستقبل. وأما بالنّسبة إلى الماضي فهما سيّان في نفي المتوقّع وغيره. والوجه الخامس أنّ منفي (لما) جائز الحذف. ومن أوجه (لما) أن تختصّ بالماضي فتقتضي جملتين وُجدت ثانيتهما عن وجود أولاهما، نحو لما جاءني أكرمته. وحينئذ تكون (لما) حرف وجود لوجود أو حرف وجوب لوجوب. . إلى آخره. وبالنّظر إلى هذه الأوجه التي يستعمل فيها حرف (لمّا)، فلا ينطبق على حرف (لمّا) الوارد هنا في قوله تعالى (وآخرين منهم لمّا يلحقوا بهم) إلا الوجه الرابع. بسبب أنّ حرف (لمّا) دخل هنا على الفعل المضارع (يلحقوا) فجزمه بحذف النّون. إلى جانب أنّه متوقّعٌ ثبوت لحاق الآخرين بالأمّيين. ولا يجوز حذف حرف (لمّا) هنا على الإطلاق أيضاً. وهكذا يكون قد تبيّن لنا وجه التّقابل الكلامي الكائن ما بين مضمون الآية الأولى، وما بين مضمون هذه الآية الثّالثة من سورة الجمعة. وكأنّ الله جلّ شأنه قد قال: إنّه تعالى كان قد بعث في الأميين رسولاً أمّيا من أمّة أمّية. وسيبعث في المستقبل أيضاً رسولاً غير أمّي من (آخرين) في المستقبل، علما بأنّه لمّا يلحق هؤلاء الآخرون بالأمّيين زمن نزول هذا القرآن المجيد.

وبعد أن توصّلنا إلى ما توصّلنا إليه، برز هنا سؤال قد طرح نفسه، وهو ضرورة معرفة من هم هؤلاء (الآخرين) المقصودين في هذا الشّطر من هذه الآية الثّالثة من سورة الجمعة؟ وبما أنّ منهجي في البحث ينحصر ضمن نطاق آيات هذا القرآن المجيد، ولا يتعدّاه إلى الحديث الشّريف إلا في حالة محاولتي الاستئناس بالحديث. وذلك وفقا لتوجيه محمّد رسول الله ﷺ نفسه إيّانا فقد ورد قوله ﷺ (توضع لكم الأحاديث من بعدي فاعرضوها على كتاب الله فما وافق خذوه وما خالف ردّوه) فأنا أحاول تفسير كلمة ﴿وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ﴾ في هذا المقام بآيات القرآن الكريم نفسه، وليس بالأحاديث، وإن كنت سأستأنس بها من بعد أن أجد تفسيرا لهذه الكلمة (آخرين) من آيات القرآن المجيد نفسه. وهذا من باب أنّ من خصوصيّات آيات هذا القرآن الكريم أنّ الآيات يفسّر بعضها، البعض الآخر منها. وهذه هي إحدى مسلّمات المفسّرين القدماء أيضاً.

فإن نحن استعرضنا سور القرآن المجيد وبحثنا عن الآيات القرآنيّة التي تفسّر كلمة (آخرين). نعثر على نوعين من تلك الآيات القرآنيّة. فالنّوع الأوّل يختصّ استعمالها بالأمم التي جاءت قبل ظهور هذا الدّين المتين. وأما النّوع الثّاني فيختصّ استعمالها بفئات المؤمنين (الآخرين) المذكورين في هذه الآية الثّالثة من سورة الجمعة. وإلى القارئ المسلم تفصيل ما ذكرته له:

أمّا ما تعلّق بالنّوع الأوّل من الآيات المشار إليها. فأكتفي بإيراد ثلاثة منها للتّدليل من خلالها على ما ذكرته له.

فالله عز وجلّ قد راح يهدّد النّاس الذين يتناسون المقصد من حياتهم، وذلك في الآيتين 132 / 133 من سورة النّساء وقال:

﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٣٢﴾ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا ٱلنَّاسُ وَيَأْتِ بِـَٔاخَرِينَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرًا﴾.

فالخطاب في هاتين الآيتين موجّه إلى النّاس جميعا بدليل تعريف النّاس بأداة تعريف تفيد هنا الاستغراق. وإنّ كلمة (بآخرين) جمع استُعملت في مقابل كلمة (أوّلين). ومفردها (آخر) مقابل كلمة (أول). وهو اسمٌ لفرد لاحق لمن تقدّمه ولم يتعقّبه مثله. (معجم محيط المحيط). فالله عز وجلّ أنذر النّاس الذين التفتوا للتّنعّم بما في هذه الحياة الدّنيا، وتناسوا ربّهم والمقصد من وجودهم في هذه الدّنيا، أنذرهم بأنّه في غنى عنهم فيذهبهم ويأت ببديل عنهم ومن منطلق أنّ كلّ ما في هذه السّماوات والأرض يعمل لخدمته تعالى، وأنّ قدرة الله تعالى لا حدود لها فهو على فعل ذلك قديراً.

كذلك فقد راح الله تعالى يذكّر هؤلاء النّاس بمظاهر قدرته التي أظهرها من قبل هذا الخطاب المذكور. والذي استبدل من خلالها أقواماً آخرين بأقوام سبقوهم ممن تناسوا المقصد من حياتهم وكانوا فاسقين. فذكّر الله تعالى هؤلاء في الآية السّادسة من سورة الأنعام وقال: ﴿أَلَمْ يَرَوْا۟ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّٰهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا ٱلسَّمَآءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا ٱلْأَنْهَٰرَ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ﴾. بمعنى أنّ الله تعالى لم يقصّر في العطاء لهؤلاء الذين أشار إليهم، ومع ذلك فقد

تناسوا المقصد من حياتهم وأكثروا من ارتكاب الذّنوب والآثام التي استوجبت إهلاكهم، وإنشاء مؤمنين آخرين بديلا عنهم.

ومن جهة ثالثة فقد نبّه الله تعالى هؤلاء النّاس إلى أنّ ما يتنعّمون به لا يدوم لهم فيما إذا أهلكهم ربّهم من جرّاء عصيانهم لأوامره عز وجلّ. وقد أورد تعالى هذا التّنبيه في الآيات 25 ـ 29 من سورة الدّخان، فهو تعالى قال: ﴿كَمْ تَرَكُوا مِن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ ﴿٢٧﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ ﴿٢٨﴾ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ﴾. وليلاحظ القارئ كيف أنّها وردت إشارة وقف بعد كلمة (كذلك). والقصد من إشارة الوقف هذه أن يتأمّل القارئ ما ترك هؤلاء المجرمين وراءهم ممّا حُرموا منه من ﴿وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ﴾ نتيجة هلاكهم. ونبّه تعالى ذهن النّاس إلى أنّه تعالى أورث ما تركه أولئك المجرمون من نعماء ﴿قَوْمًا آخَرِينَ﴾. وأنّه ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ﴾ وهذه كناية عن أهل السّماء والأرض أنّهم لم يأسفوا على فراقهم، بسبب ما كانوا عليه من فسق وإجرام. وبالإضافة إلى هذا التّنبيه وذاك فإنّ الله عز وجلّ قد نبّه ذهن القارئ من خلال ما أنهى به هذه الآية الأخيرة وقال ﴿وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ﴾، بأنّه إذا طفح الكيل في السّماء فينزل العذاب بالمجرمين بدون إنذار، ولا يتسع لهم المجال.

والمهمّ في هذا النّوع الأوّل من الآيات ورود كلمة (آخرين) بمعنى جماعة من المؤمنين في مقابل قومٍ سبقوهم وكانوا فاسقين يقولون ما لا يفعلون.

وننتقل من ذلك إلى النّوع الثّاني من الآيات، والذي أورد الله عز وجلّ فيها كلمة (آخرين) تتعلّق بفئتين من المؤمنين المقرّبين من ربّهم جلّ شأنه. ففي سورة الواقعة التي تعتبر تابعة للسّورة المستهلّة بالحرف (ق) والذي معناه الله القدير. فقد بيّنت في مؤلّفي (فن الاختزال في القرآن الكريم) بأنّ كلمة (الواقعة) تعني (المصادمة والحرب والنّازلة الشّديدة) وأنّ هذه السّورة تُنبئ عن العذاب والدّمار الذي أنبأت عنه سورة الرحمن والمتعلّق بالأمم الغربيّة الذين نسوا المقصد من حياتهم، وجعلوا حياتهم لعبا ولهوا ومحاولة لنهب خيرات غيرهم من الأمم واستعمار بلادهم والتّنعّم بما جمعوه من تلك البلاد. فقد راح الله جلّ شأنه يُنبئ في سورة الواقعة هذه عن الحال الذي سينتج عن تلك الواقعة المقدّرة في السّماء بحقّ المشار إليهم فقال تعالى في الآيات 7 ـ 14 من سورة الواقعة المذكورة: ﴿وَكُنتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَٰثَةً ۝٧ فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ۝٨ وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ۝٩ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ۝١٠ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۝١١ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ۝١٢ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ۝١٣ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْـَٔاخِرِينَ ۝١٤ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ﴾. فهو تعالى أورد في هذه الآيات قوله ﴿وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْـَٔاخِرِينَ﴾ وذلك إشارة إلى أنّ الله تعالى سينجّي المؤمنين من شرّ هذه الواقعة فلا يُقتل فيها منهم إلا قليل من السّابقين في الإيمان بالمبعوث في آخر الزمان والذي يمثّل البعثة الإسلاميّة الثّانية، والذي يوضّح للنّاس مصير الأمم الغربيّة المقدّر إهلاكها.

ولنلاحظ أيضاً ما ذكره الله تعالى في الآيات 35 وما بعدها بما أعدّه من خير في الدّار الآخرة للسّابقين في الإيمان وقال ﴿إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ

إِنشَآءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾ لِّأَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٨﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٤٠﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِى سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾ لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ ﴿٤٥﴾ وَكَانُوا۟ يُصِرُّونَ عَلَى ٱلْحِنثِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤٦﴾ وَكَانُوا۟ يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٤٧﴾ أَوَءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٤٨﴾ قُلْ إِنَّ ٱلْأَوَّلِينَ وَٱلْءَاخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾.

والمهمّ من جميع ما أوردناه من آيات قرآنيّة، أنّها أوردت كلمة (آخرين) بدلالتها اللّغويّة التي تعني فئة المؤمنين الذين ينشئهم ربّهم بديلا عن فئة مؤمنين عادوا يقولون ما لا يفعلون فأغضبوا ربّهم وبالتّالي فقد استحقّوا عذابه واستبدالهم بفئة مؤمنة جديدة تسابق في عمل الخيرات. وهو المعنى الذي يفسّر كلمة ﴿وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ﴾ الواردة في هذا الشّطر الأوّل من الآية الثّالثة من آيات سورة الجمعة التي راح الله عز وجلّ يُنبئ فيها عما قدّر فعله بعد أن عاد المسلمون من مسلمي عصر الانحطاط والتّخلّف يقولون مالا يفعلون. والذين تكلّمت عنهم آيات سورة الصّفّ. وبألفاظ أخرى فقد أنبأ الله عز وجلّ من خلال قوله تعالى ﴿وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا۟ بِهِمْ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾. أقول بأنّه تعالى قد أنبأ فيه بأنّه سيبعث رسولاً من بعد محمّد ﷺ في الزمان الذي يصبح المسلمون فيه يقولون مالا يفعلون، ويبدأ هذا المبعوث بتأسيس بعثة إسلاميّة ثانية تحمل رسالة الإسلام بمفاهيمه الحقيقيّة إلى النّاس

كافة. ولا يكون أفراد هذه البعثة الإسلاميّة الثّانية على نمط مسلمي عصر التّخلّف والانحطاط. بل يكونون على مستوى عصرهم من الفهم الإسلاميّ الحقيقيّ والمتحرّر من جمود الفكر التّقليديّ الذي وقع فيه المسلمون المذكورون. وهي حقيقة أشار إليها قوله تعالى ﴿لَمَّا يَلْحَقُواْ بِهِمْ﴾ والذي تضمّنه حرف (لمّا) الذي وضّحت من قبل أوجه استعمالاته، والذي استعمل هنا في هذا القول بالوجه الرابع من أوجه استعمالاته لجزمه فعل المضارع (يلحقوا) والذي لا يجوز حذفه بشكل من الأشكال. ونكون بذلك قد فسّرنا القرآن بالقرآن.

فإن نحن تناولنا الشّطر الأخير من هذه الآية الثّالثة من آيات سورة الجمعة، والذي قال تعالى فيه ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾. يكون الله عز وجلّ قد نبّه أذهاننا إلى أنّه على حين تجلّى بأربعة تجلّيات في البعثة الإسلاميّة الأولى، وهي ﴿ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾. فإنّه سبحانه وتعالى سيتجلّى في البعثة الثّانية البعثة الثّانية المُنبأ عنها بصفتين فقط هما ﴿ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾ بسبب أنّ أصحاب هذه البعثة الثّانية ليسوا بأصحاب دين جديد، وإنّما هم على دين محمّد المصطفى سيّد المرسلين وكتابهم نفس كتابه المقدّس القرآن الكريم الذي كان تعالى قد أنزله على محمّد الصّادق الأمين. علماً بأني سبق لي أن بيّنت معاني هاتين الصّفتين ﴿ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾.

وليلاحظ القارئ المسلم كيف أنّ الله عز وجلّ قد راح يؤكّد مصداقيّة ما ذهبت إليه من معنى، ومبيّنا أنّ تقدير حدوث هذه البعثة

الإسلاميّة الثّانية إنّما يشكّل فضلاً كبيراً اختص تعالى بـه أمّـة محمّـد ﷺ وقال ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾. وقبل أن أستمرّ في بيان دلالات الآيات التي أعقبت هذه الآيات الأربعـة التـي أوردتها من سورة الجمعة. أرى أن أستأنس للقارئ بما أوردتـه التّفاسير القديمـة من حديث مرويّ عن محمّد رسـول الله ﷺ وقـد أجـاب بـه صحابته بعد أن سـألوه عمّـن يكـون هـؤلاء (الآخريـن) فـي قولـه تعـالى ﴿وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا۟ بِهِمْ﴾. فقد أورد تفسير ابن كثير فـي تفسير هذا الشّطر من الآيـة أنّـه: (قـال الإمـام أبـو عبـد الله البخـاري رحمـه الله تعالى، حدّثنا عبد العزيز بن عبد الله، حدّثنا سليمان بـن بـلال عـن ثـور عن أبي الغيث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كنّا جلوسـا عنـد النّبـيّ صلّى الله عليه وسلم فأنزلت عليه آيات سـورة الجمعـة ﴿وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا۟ بِهِمْ﴾ قالوا من هم يا رسـول الله؟ فلـم يراجعهـم حتّـى سُئل ثلاثاً، وفينا سلمان الفارسي. فوضع رسـول الله صلّـى الله عليـه وسـلّم يده على سلمان الفارسي ثم قال "لو كان الإيمان عند الثّريّا لناله رجـال ـ أو رجل ـ من هؤلاء". ورواه مسلم والتّرمذي والنّسائي وابـن أبـي حـاتم وابن جرير من طرق عن ثور بن يزيد الدّيلي عـن سـالم أبـي الغيـث عـن أبـي هريـرة بـه. فـإن نحـن أخذنـا بـهذا الحديـث الشّـريف، نسـتنتج منـه مُعطياته الأمور التّالية:

أولاً: أنّه يـأتي علـى أمّتـه صلّـى الله عليـه وسـلّم زمـان يرتفـع فيـه الإيمان من قلوبهم لذلك يعود إسلامهم صوريا، يقولون ما لا يفعلـون. علما بأنّ الإيمان يزداد وينقص، حسب التّعاليم الإسلاميّة.

ثانياً ـ والأمر الثّاني الذي يفيده مضمون الحديث الشّريف، هو أنّ ﴿وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ﴾ والمقصودين في هذا الشّطر من الآية، لن يكونوا من قوم محمّد العرب. بل يكونون من الأعاجم، وخاصّة منهم أنّ من يبعثه الله تعالى لتأدية مهمّة إرجاع الإيمان إلى قلوب المسلمين لن يكون عربيّا، بل يكون من أصلٍ فارسيّ. فإلى هذه الحقيقة أشار وضع محمّد رسول الله ﷺ يده على كتف سلمان الفارسي رضي الله عنه عند تلفّظه بكلمات هذا الحديث.

ثالثاً ـ والذي يدلّ على صحّة رواية هذا الحديث في نظري يعود إلى موافقة مضمونه مع ما كنّا قد توصّلنا إليه من معنى من خلال تفسير كلمة ﴿وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ﴾ بمختلف معطيات آيات هذا القرآن المجيد. ومن باب أنّ القرآن يفسّر بعضه بعضا. ولا قيمة بعد هذا لورود أيّة أقوال وتفسيرات تخالف ما أفادته معطيات الآيات القرآنية من تفسير ودلالات.

وعلى هذه الصّورة ومن خلال ما أتيت على بيانه تحت عنوان هذه النّبوءة الثّانية المتعلّقة بوجود البعثة الإسلاميّة الثّانية والتي توصّلنا إلى تسميتها باسم (البعثة الأحمديّة) المنبأ عنها في الآيات من سورة الصّف. فقد عاد من الواجب البحث عن هذا الموعود الذي هو من أصل فارسيّ، والمقدّر على يديه إحياء الإسلام وإعادة وجه تعاليمه الحقيقية إلى معرض الوجود. وبعد مضيّ أربعة عشر قرن من الزمان على زمن البعثة المحمّدية التي جاءت بهذا الدّين الإسلاميّ الحنيف. وأترك بيان ذلك إلى مقام آخر غير هذا المقام.

الفصل الثّالث:

نبوءة ﴿ وَمَثَلُهُمْ فِي ٱلْإِنجِيلِ ﴾

كذلك تبيّنت لي معالم نبوءة ثالثة قد لفت الله عز وجلّ أنظارنا إليها، ليس دفعةً واحدةً، بل تدرّج في لفت أنظارنا إليها وأوردها بصورة تدريجيّة، وذلك ابتداء ممّا أورده الله تعالى في سورة (الزخرف) المنزلة في مكّة المكرّمة، وانتهاء بما أورده تعالى في سورة (الفتح) المنزلة في المدينة المنوّرة. وقبل تناول الكلام عن مضمون هذه النّبوءة الثّالثة، فقد كان من المناسب التّمهيد لذكرها وبيان معالمها، لتمكين هذا القارئ المسلم من الإحاطة بهذا الجوّ القرآني الذي تضمّنه الإنباء عن هذه النّبوءة الثّالثة التي أشرت إلى وجودها ضمن هذا القرآن المجيد. فما هي معالمه؟

فالذي نلاحظه هو أنّ الله عز وجلّ قد أورد سورة ص مستهلّةً بالآية ﴿ صٓ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ ﴾ هذه الآية التي استُهلّت بالحرف المقطّع ص والذي معناه وعلى حسب ما أثبتّ ذلك في (فنّ الاختزال في القرآن الكريم: أن الله الذي أنزل هذا ﴿ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ ﴾ هو صادق فيما بيّنه في هذه السّورة من حقائق ومعلومات، وفيما وعد فيها من وعود تتعلّق بمستقبل هذا الدّين الإسلاميّ الحنيف. ومن جهة ثانية

فقد ختم الله جلّ شأنه سورة ص هذه بقوله تعالى ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ۝٨٧ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍۭ﴾. ومُعلنا من خلال ما أنهى تعالى به سورة ص هذه، بأنّ هذا القرآن ذي الذّكر يخاطب النّاس أجمعين. ويحمل رسالة سماويّة إلى النّاس قاطبة. وقد أشار في الوقت نفسه من خلال قوله تعالى هنا ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍۭ﴾ بأنّ هذا القرآن الذّكر، وإن لم تكتمل معالمه في هذه السّنوات الأولى من البعثة الإسلاميّة فإنّ معالمه ستكتمل على مرّ السّنوات، وتتّضح معالم الحقائق والنّبوءات المستقبليّة التي جاء بها هذا القرآن الذّكر بعد (حين). فما هو المقصود من كلمة (حين)؟ ألا إنّ كلمة (حين) هذه تعني، وعلى حسب ما بيّنه معجم (محيط المحيط) أنّها تعني وقتا مُبهما غير محدّد ويصلح لجميع الأزمان طال الزمن أو قصُر. وعليه يكون الله جلّ شأنه قد هيّأ أذهاننا من خلال قوله هذا الأخير الذي أنهى به سورة ص قد هيّأها لتتقبّل ما سيُنبئ الله تعالى عنه في السّور القادمة من حقائق ونبوءات مستقبليّة وترد هذه السّور بترتيب التّلاوة بعد سورة ص هذه وفي الوقت المناسب. ولتؤكّد من خلال ظهور معالمها بأنّ هذا القرآن ﴿ذِى ٱلذِّكْرِ﴾ قد أنزله الله تعالى ليصلح أحوال النّاس أجمعين وفي كلّ زمان ومكان. علما بأنّ قوله تعالى ﴿ذِى ٱلذِّكْرِ﴾ معناه صاحب الذّكر. فحرف (ذي) هو اسم إشارة للقريب فقط. فهي لا تثنّى ولا تُجمَع. وأما كلمة (الذّكر) فمعناه حفظ الشّيء ومحاولة التّفوّه به، ويعني في الوقت نفسه الشّرف والصّيت والثّناء والصّلاة لله تعالى والدّعاء، كذلك يعني هذا الكتاب الذي فيه تفصيل الدّين ووضع الملل والأقوام (محيط

المحيط). وقد ورد في الكلّيات: الذّكر له معنيان: فالمعنى الأول هو التّلفّظ بالشّيء. والمعنى الثّاني إحضار الشّيء في الذّهن بحيث لا يغيب عنه وهو ضدّ النّسيان. علما بأنّ الله تعالى قد أورد بعد هذه السّورة، سورة (الزمر) غير مستهلّة بحرف مقطّع، وذلك، ووفقا لقوانين فنّ الاختزال القرآني من أجل أن تكون تابعة في مضمونها لمضمون هذه السّورة ص ولتبحث أحد جوانب موضوع هذه السّورة ص.

فأقول وانطلاقا من يقيننا بأنّ تلك السّور التي سترد بعد سورتي ص والزمر بترتيب تلاوتهما، تكون متضمّنة حقائق ونبوءات مستقبليّة وذلك وفقا لما نبّهت إليه سورة ص. وأنّ تلك الحقائق والنّبوءات لن تتحقّق في أوقات قريبة من زمن نزول سورتي (ص والزمر) هاتين المنزلتين في مكّة المكرّمة، ولكنّ تلك الحقائق والنّبوءات ستتحقّق ﴿بَعْدَ حِينٍ﴾، أي بعد أزمنة طالت أو قصُرت في المستقبل غير المنظور. وبعد أن أحطنا علما بما بيّناه وذكرناه، فالذي نلاحظه هو أنّ الله عز وجلّ قد شرع يورد بعد سورتي (ص والزمر) هاتين سوراً مُستهلّةً بحرفي ﴿حمٓ﴾ المختزلين من اسمين من أسماء الله الحسنى هما (الحميد المجيد). فصفة (الحميد) هي صيغة مبالغة من الحمد، وقد ضمّت سائر أنواع المحامد في ذات الله تعالى. وأما صفة الله (المجيد) فهي صيغة مبالغة أيضاً من المجد، وتعني أنّ الله تعالى قد جمع في ذاته تعالى شريف الخصال والفعال وواسع الكرم (محيط المحيط). وعليه، وبدافعٍ من هذا المنطلق ومن هذا الفهم، فقد رحت أبحث في السّور التي وردت

بترتيب التّلاوة بعد سورتي (ص والزمر) هاتين عن نبوءة ثالثة تتعلّق بمضمون مؤلّفنا هذا. وهو هذا المؤلّف الذي أسعى فيه لإثبات وجود بعثتين للإسلام. لذا نتساءل عن معالم تلك النّبوءة الثّالثة التي تبيّنت لي معالمها ضمن تلك السّور التي وردت بعد سورتي (ص والزمر) هاتين وبترتيب تلاوتهما؟

فأقول: لقد تبيّن لي بأنّ الله عز وجلّ قد أورد سورة الزخرف وهي تتضمّن معالم هذه النّبوءة الثّالثة المتعلّقة بوجود بعثتين في الإسلام، لكنّه تعالى قد أتى على ذكر هذه النّبوءة الثّالثة بصيغة مُجملة في سورة الزخرف هذه. ومن ثمّ راح الله تعالى يوضّح معالم هذه النّبوءة بالتّدريج فيما بعد إلى أن نبّه إلى وجودها بصورة جليّة وبألفاظ واضحة في سورة (الفتح) مما لا يترك للقارئ هناك من مجال لإنكار وجود تلك النّبوءة الثّالثة المشار إليها. وعليه أبدأ ببيان ما أورده الله تعالى من معالم هذه النّبوءة الثّالثة في سورة (الزخرف) حين نبّه وقال ببيان إجماليٍّ ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ﴾. ومن ثم فقد راح الله تعالى يوضّح معالم هذه النّبوءة الثّالثة وذلك في سورة (الفتح) حين قال الله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٢٨﴾ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ

فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴾.

وأحاول الآن أن أشرح للقارئ المسلم مضامين ما ذكرته من هذه الآيات جميعها ولكن بشيءٍ من التّفصيل، وبتأييد الله المستعان.

فأبدأ بالكلام عما ورد في سورة الزخرف مكّية النّزول وبيان ما تضمّنته من نبأ مجملٍ متعلّق بالنّبوءة الثّالثة التي أنبأ القرآن الكريم من خلالها عن بعثة ثانية في الإسلام. فأقول: إنّ الله عز وجلّ قد استهلّ سورة الزخرف هذه بقوله تعالى: ﴿ حمٓ ۝ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴾ أي حميدٌ هذا الإله وجامع أنواع المحامد والمجد. ومجيد هذا الإله المتّصف بكونه شريف الخصال والفعال وواسع الكرم. وقد أورد تعالى واو القسم فأقسم وقال ﴿ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴾ أي أنّ الله الحميد المجيد يقدّم هذا القرآن المشتمل على بيان كلّ شيء كشهادة على كونه تعالى متّصفا بصفتي الله (الحميد المجيد). ومن ثم قال الله تعالى ﴿ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ أي وأنّ الله الذي أنزل هذا الكتاب، قد أنزله بلسان عربيٍّ مبين، لعلّكم يا من تُطالعون آيات سورة الزخرف هذه أن تستعملوا عقولكم وتتدبّرون ما بينه لكم ربّكم جلّ شأنه في هذه السّورة من حقائق ونبوءات مستقبليّة بلغة عربيّة واسعة الدّلالات. ومن ثمّ أضاف الله تعالى وقال ﴿ وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴾ أي وأنّ هذا القرآن من حيث كلّ ما تضمّنه من أمور فلم يسبقه فيها أحد من الكتب السّابقة، وإنّ ما تضمّنه من علوم حكمية ليستحقّ عليها في نظر الله الذي أنزله كلّ احترام وتقديس. ومن ثم قال محذّرا الذين

يخاطبهم الله تعالى في سورة الزخرف هذه قائلاً ﴿أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكْرَ صَفْحًا أَن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ﴾ والملاحظ أنّه تعالى قد حذف هنا مضاف كلمة (مسرفين) ولتصريف دلالة هذه الكلمة (مسرفين) إلى معاني كثيرة، منها أن لا تظنّوا أن تُسرفوا في مخالفة تعاليم هذا الكتاب، وأضرب عن مخالفتكم لتعاليمه صفحاً. ولا تظنوا أن تُسرفوا في اللهو واللّعب وتغفلوا عن تحقيق المقصد من حياتكم وأضرب بالتّالي عنكم صفحا. ولا تظنوا أن تُسيئوا سمعة هذا الدّين الحنيف في أعين أعدائه، وأضرب بالتّالي عنكم صفحا فلا أستبدلكم ولا أُنزل بكم العذاب المهين الذي تستحقّونه. فمن أجل بيان هذه الدّلالات كلّها قد أحدث الله تعالى هذا الحذف البلاغي لمضاف كلمة (مسرفين). ومن ثم فقد راح الله عز وجلّ يذكّر الذين يخاطبهم بتاريخ هذا الإنسان، وكيف أنّ الله تعالى الذي خلقه لم يتركه عبثا، بل بعث أنبياء لتهذيبه ولإصلاح أحواله وقال: ﴿وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِيٍّ فِى ٱلْأَوَّلِينَ ۝ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ أي أننا نذكّركم يا من نخاطبكم، نذكّركم كيف أنّ كلّ قوم مُسرف من الأقوام الذين سبقوكم كانوا إذا جاءهم نبيٌّ لإصلاح أحوالهم كانوا به يستهزئون، بدلا من أن يؤمنوا به ويستجيبوا له ويعملوا على كلّ ما أتاهم به لإصلاح أحوالهم ولتخليصهم من ضلالتهم. ومن ثمّ لفت الله تعالى أذهان هؤلاء الذين يخاطبهم إلى النّتائج التي كانت مترتّبة على تكذيب الأنبياء والمرسلين وقال ﴿فَأَهْلَكْنَآ أَشَدَّ مِنْهُم بَطْشًا وَمَضَىٰ مَثَلُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ أي وكانت نتيجة تكذيبهم رسلهم أننا قمنا بإهلاك تلك الأمم المسرفة وإهلاك كلّ

من كان أشدّ منهم بطشا. وكأنّ الله تعالى، ومن خلال قوله هذا قد نبّه إلى أنّ القوم المسرف، مهما علا في الأرض، فليس من العسير على خالقه أن يقضي عليه ويستبدله بقوم آخر سواه. لذلك فإنّ من واجب هؤلاء الذي يخاطبهم ربّهم أن يعتبروا بما حاق بالأوّلين بالنّسبة لهم، وكان من واجبهم أن يعتبروا ممّا أحدث الأوّلون من إسراف وممّا صار حالهم إليه من مصير.

وهكذا يكون الله عز وجلّ قد مهّد من خلال ما أتينا على ذكره من آيات من سورة الزخرف، يكون قد مهّد لبيان ما أراد الإنباء عنه. ولم يتناول هذا النّبأ بالبيان مباشرة. ولكنّه سبحانه وتعالى قد راح يذكّر الذين يخاطبهم بما سخّر لهم في عالم الدّنيا من نعمٍ تذكّرهم بالله خالقهم والذي أنزلها مُسخّرةً لصالحهم. ومع ذلك فلم يشكروا نعمَ ربّهم عليهم ومتغافلين عن تلك الحقيقة الواضحة المعالم. وكفروا بأنعم الله تعالى وأسرفوا فيما آتاهم ربّهم من نعمٍ وأهملوا ما أنزله ربّهم من أجلهم من تعاليم سماويّة تعينهم على معرفة خالقهم ومواصلته للتّقرّب منه، وعبدوا المخلوق فكفروا بأنعُمه. وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمان إناثا، ففعلوا ذلك كلّه من دون تقديم أيّ دليل أو برهان إلا قولهم وجدنا آباءنا على أمّة وعلى آثار آبائنا سائرون بعقول تقليديّة لا تقبل أيّ حوار ولا تبديل. وبهذه المناسبة فلا ينبغي أن يفتن القارئ قوله تعالى في الآية 15 ﴿وَجَعَلُواْ لَهُۥ مِنْ عِبَادِهِۦ جُزْءًا ۚ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ﴾ بأن الله يتكلّم عن الذين اتّخذوا لله ولدا. كلا بل يتكلم عن الذين اتّخذوا مشايخهم أربابا من دون الله لا يراجعونهم في كلّ ما

يعظونهم به. ومن ثمّ، وبعد هذا البيان كله، فقد ضرب الله عز وجلّ لهؤلاء المخاطَبين مثال ما جرى مع أبو الأنبياء إبراهيم عليه السّلام، وكيف أنّه تبرأ من أبيه وقومه ومما كانوا يعبدونه، من بعد ان تبيّن له الحقّ. وليكون إبراهيم مثلاً يُحتذي به جميع مّن يخلفونه. وقد نبّه تعالى في الوقت نفسه كيف أنّ النّاس تناسوا مثال إبراهيم يوم بعث الله تعالى لهم (رسولٌ مبين) هو محمّد المصطفى سيّد المرسلين. فكفروا به وقالوا أنّ ما جاءهم به هو من قبيل السّحر. وهنا ذكّر الله تعالى هؤلاء المخاطبين قائلاً ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ﴾. ومن خلال قوله تعالى هذا في هذه الآية 36 والوارد فيه كلمة (الذّكر) والتي هي في حقيقة أمرها صفة معروفة من صفات هذا القرآن الكريم المنزل على محمّد المصطفى الذي آمن به المسلمون ومع ذلك فقد أصبحوا من المسرفين. فقد بدأ الله جلّ شأنه يكشف الوجه عمّن كان يخاطبهم حتّى الآن فيما سبق من آيات سورة الزخرف هذه. وذلك من خلال قوله تعالى ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ ولا يعشُ عن ذكر الرحمان إلا المسرف الذي تناسى الانضباط بتعاليم خالقه عز وجل. وبعد أن ألقى تعالى الضّوء على حال الذين يعشون عن ذكر ربّهم وعن ذكر الذين يضلّونهم، وبأسلوب بلاغيٍّ معجز. فقد توجّه الله عز وجلّ بخطابه إلى رسوله الصّادق الأمين ﷺ قائلاً في الآيات 40 ـ 44 ﴿أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ أَوْ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَمَن كَانَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٤٠﴾ فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ ﴿٤١﴾ أَوْ نُرِيَنَّكَ ٱلَّذِى وَعَدْنَٰهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ ﴿٤٢﴾ فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ

مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ﴾. وبذلك يكون الله عز وجلّ قد أخبر رسوله الأمين بما سيصير إليه حال أمّته في يوم من الأيام. وأوصاه ألاّ يضطرب لما أطلعه ربّه عليه. ومنبّها إياه بأنّه صلّى الله عليه وسلّم ﴿عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾. وأضاف تعالى وقال ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ﴾. بمعنى أنّ أمّة محمّد مسؤولة عن حمل الدّعوة الإسلاميّة بنفس المسؤوليّة التي حملها محمّد سيّد المرسلين ﷺ. ولذلك فإن أصبحت أمّة محمّد في يوم من الأيام غافلة عن حمل هذه المسؤوليّة، ينطبق عليهم هذا الإنذار الذي تضمّنه قول ربّهم عز وجل في هذه الآية الأخيرة ﴿وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ﴾. وهنا كان من واجبي توضيح قوله تعالى هذا ﴿وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ﴾ وهو المصاغ صياغة بلاغيّة معجزة. فالحرف (سوف) يفيد لغةً زمن المستقبل البعيد. وأما فعل (تُسألون) فهو يفيد هنا معنى التّبكيت والمطالبة بما أوجب الله على المؤمنين من إيمان وعمل. والملاحظ هو أنّ الله تعالى قد حذف هنا مُضاف فعل (تُسألون). فلم يبيّن عمّا سيطالب أمّة محمّد باعتقاده والعمل عليه. وكان القصد من هذا الحذف البلاغيّ أن يصرّف الله تعالى هذه المطالبة إلى معاني عديدة. وليصبح معنى قوله تعالى ﴿وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ﴾. أي يا أمّة محمّد ستطالبون يوم تصبحون من (المسرفين) بالابتعاد عن إسرافكم في الابتعاد عن معتقداتكم التي أوجبها عليكم دينكم. وتُطالبون بالعودة إلى العمل على ما اعتقدتموه بصورة فعليّة. كما ستطالبون به بالقيام بالتّبشير بتعاليم الإسلام في كلّ مكان حللتم فيه. فإن لم تفعلوا فسوف تُسألون عن هذا التّقصير

وتعذّبون. كذلك ستطالبون بالرجوع إلى تعاليم الإسلام الحقيقيّة والابتعاد عن حال التّقليد الأعمى لكلّ ما ورثتموه عن آبائكم الأوّلين. كذلك ستطالبون وتُسألون عن نُسيانكم تحقيق المقصد من حياتكم. فجميع هذه المعاني قد تضمّنها قول الله تعالى فيما أنهى به هذه الآية 44 من سورة الزخرف وهو قوله تعالى فيها ﴿وَسَوْفَ تُسْئَلُونَ﴾. وعن طريق هذه المطالبة المذكورة يكون الله عز وجلّ قد بدأ يكشف للقارئ عن جزء أخير من القناع عن وجه الذين ما يزال يخاطبهم منذ ابتداء آيات هذه السّورة. وبذلك يكون جلّ شأنه قد حدّد أنّ هؤلاء الذين يخاطبهم منذ أوّل آية من آيات سورة الزخرف وإلى هذه الآية 44 هم من قوم محمّد المصطفى صلّى الله عليه وسلّم. هؤلاء المسلمون الذين ابتعدوا في زماننا هذا عن اتّخاذ هذا القرآن (ذكرا لهم) وابتعادهم عن تبنّي تعاليم هذا القرآن الكريم بصورة عمليّة في حياتهم اليوميّة. وتركهم الدّعوة إلى سبيل الله تعالى بتعاليم هذا الدّين. وقد فعلوا هذا في وقت ينسبون أنفسهم إلى محمّد المصطفى الذي أنزل الله تعالى عليه هذا (الذّكر) ليكون شرفا لقومه صلّى الله عليه وسلّم. وكأنّه تعالى قد قال بألفاظ أخرى وهو يخاطب هؤلاء المسلمين المسرفين المعاصرين، بأنّكم عُدتم ﴿تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ وعلى حسب ما بيّنه تعالى في الآيات من سورة الصّفّ التي تكلّمنا عنها حين كلامنا عن النّبوءة الثّانية من قبل. ومن ثمّ عاد الله تعالى فذكّر هؤلاء المسلمين بقصّة موسى مع فرعون، وكيف أنّ الله تعالى انتقم من فرعون وقومه الذين أطاعوه وأغرقهم أجمعين. وانتهى من ذلك ليقول في الآيتين 55/ 56 ﴿فَلَمَّآ

ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْءَاخِرِينَ ﴾ . فقوله تعالى هنا ﴿ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ﴾ معناه فلما أغاظونا بعصيانهم أوامرنا، انتقمنا منهم. وأما قول الله تعالى في الآية 56 التي أتى في أوّلها بفاء الاستئناف وأضاف وقال ﴿ فَجَعَلْنَٰهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْءَاخِرِينَ ﴾. فقد صاغ الله تعالى هذه الآية صياغة بلاغيّةً معجزةً، لذلك فهي بحاجة لأن نتدبّرها بمنهجيّة القرآن الكريم وأصول تفسيره، وذلك قبل أن ننتقل منها إلى الآية التي بعدها.

ألا إنّ قوله تعالى ﴿ فَجَعَلْنَٰهُمْ ﴾ معناه أننا صيّرناهم بسبب حالة التّخلّف والانحطاط التي وصلوا إليها والتي تناسوا فيها ما حلّ بالأقوام الماضية التي لم تؤمن برسل الله تعالى والتي قاومت رسل الله تعالى واتّهمتهم بشتّى أنواع الاتّهامات. ولتوضيح ما صار إليه القوم المشار إليه. قال تعالى ﴿ فَجَعَلْنَٰهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْءَاخِرِينَ ﴾. أي صيّرناهم سلفا وعبرةً للآخرين. وهذا القول يحمل في طيّاته تهديداً مبطّناً موجّهاً من قبل الله تعالى إلى المسرفين من مسلمي عصر التّخلّف والانحطاط المعاصرين. ومضمونه هو أنّ الله عز وجلّ يهدّد هؤلاء المسلمين المتخلّفين الذين تناسوا الإنذار الوارد في الآية 44 من هذه السّورة، قوله تعالى ﴿ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴾. فالله يهدّد هؤلاء الذين تناسوا ذاك التّهديد المذكور في الآية آنفة الذّكر، يهدّد بأنّه تعالى سيستبدلهم بالآخرين الذين كان الله تعالى قد أنبأ عنهم في سورة الجمعة، وليجعل هؤلاء المسلمين المسرفين بمثابة سلف للآخرين وعبرةً لهم أيضاً، ليعتبروا بهم على الدّوام. وهذا من باب أنّ كلمة (سلفا)

اشتُقّت من سلف أي سبق عصره فهو سالف ومتقدّمٌ على غيره. ثمّ إنّ كلمة (مثلا) تعني لغةً المثل والنّظير للشّبه، معجم (محيط المحيط). وأمّا كلمة (الآخرين) فقد وضّحنا دلالتها وذلك حين تكلّمنا عن النّبوءة الثّانية المتعلّقة بجماعة الآخرين المُنبأ عن ظهورهم زمن انحطاط وتخلّف المسلمين الذين يتواجدون بعد أربعة عشر قرن من زمن البعثة الإسلاميّة الأولى. وهكذا وعلى هذه الصّورة، ومن خلال تدبّرنا قول الله تعالى في هذه الآية 56 من سورة الزخرف، نكون قد اتّضح لنا بأنّ الله عز وجلّ كان قد قدّر أن يستبدل هؤلاء المسلمين المتخلّفين المعاصرين بفئة (الآخرين) المنبأ عنهم في سورة الجمعة، ومن أجل أن يجعلهم سلفا ومثلا أي عبرة تعتبر بها جماعة الآخرين المنبأ عنها آنفاً.

وهنا يطرح سؤال نفسه، فالسّؤال هنا: ما هي ظواهر عمليّة استبدال المسلمين المعاصرين بفئة الآخرين المشار إليها في الآية التي تدبّرناها آنفا؟ فالملاحظ هو أنّ الله تعالى قد أجاب على هذا السّؤال بإجابة مصاغة صياغة بلاغيّة معجزة هي أيضاً وقال وعزّ من قائل: ﴿ وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾ وَقَالُوٓاْ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ ۚ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًۢا ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَٰهُ مَثَلًا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَٰٓئِكَةً فِى ٱلْأَرْضِ يَخْلُفُونَ ﴿٦٠﴾ وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَٱتَّبِعُونِ ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴾. ولنتدبّر أوّل آية من هذه الآيات والتي قال تعالى فيها ﴿ وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴾.

وأوّل ما نلاحظه هو ورود حرف (لمّا) في مستهلّ هذه الآية الكريمة. ويذكر القارئ الأوجه الخمسة لاستعمالات هذا الحرف (لمّا). لذلك فلا حاجة بي لتكرارها. ويكفي هنا أن نلاحظ بأنّ الله عز وجلّ قد أورد هذا الحرف (لمّا) هنا ليفيد معنى حرف وجود لوجود. بسبب أنّ جواب حرف (لما) قد ورد جملةً اسميّة مقروناً بحرف إذا الفجائيّة الغالب عليه أن يكون ظرفا للمستقبل متضمّنا معنى الشّرط، والذي يختصّ بالدّخول على الجملة الفعليّة. وهو لا يجزم إلا عند الضّرورة. ومحلّه النّصب على الظّرفيّة. وأما (إذا) الفجائيّة فتأتي في درج الكلام متأخّرة. ثمّ إنّ قوله تعالى ﴿ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلاً﴾ ففعل ضُربَ هذا هو فعل مبني للمجهول، معناه قدّم وبيّن وبسط نظيراً هو ﴿ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلاً﴾ للمسلمين من عصر التّخلّف والانحطاط. علما بأنّ كلمة (مثلا) تعني شبيها ونظيرا ويكون ما بعدها بيانا لها. فالمثل أو المَثَلُ في اللّغة العربيّة يستعمل للشّبه والنّظير، ويُجمعُ على أمثال. ثمّ إنّ قوله تعالى ﴿إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ﴾ معناه أنّ هؤلاء المسلمين المتخلفين من عصر الانحطاط من قوم محمّد ﷺ يُعرضون عن قبول هذا النّظير لابن مريم ويميلون بعيدا عن تصديقه وقبول ما جاءهم به، ويضجّون من دعوته إيّاهم (محيط المحيط). وبألفاظ أخرى فإنّ الله تعالى يكون من خلال هذه الآية قد أنبأ بصورة جليّة ومجملة عن بعثة نظير لعيسى ابن مريم من بين مسلمي عصر التّخلّف والانحطاط وليشكّل فئة (الآخرين) المؤمنين. تلك الفئة المؤمنة التي آمنت بمثيل ابن مريم، والتي ورد ذكرهم في الآية 56 السّابقة والتي قال تعالى فيها بصورة واضحة

﴿ فَجَعَلْنَٰهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْءَاخِرِينَ ﴾ أي فجعلنا هؤلاء المسلمين الذين عادوا يقولون ما لا يفعلون، جعلناهم (سلفا) أي مثلا وعبرة للآخرين.

وعلى هذه الصّورة يكون الله (الحميد المجيد) الذي أنزل سورة الزخرف هذه، قد أنذر فيها من خلال ما مهّد به فأنذر المسرفين من أمّة محمّد يوم يصير حالهم كحال من سبقهم من الأمم الغابرة بصورة عمليّة، ومقلّدين تقليدا أعمى لكلّ موروث، وبعيدين عن فهم الحقائق القرآنيّة وغير عاملين عليها بصورة فعليّة. يكون الله تعالى قد أنذرهم وأنبأهم عن عمليّة استبدالهم بالفئة المؤمنة من (الآخرين) أولئك الذين كان قد أنبأ عنهم في الآيات الأوائل من سورة الجمعة، أولئك (الآخرين) الذين يتقبّلون نظير ابن مريم الذي هو مثيله ونظيره، وهو المبعوث من قبل الله عز وجلّ لإعادة الوجه الحقيقي للإسلام ولتصحيح ما انحرف فيه المسلمون عن جادّة الصّواب، وليكون هذا (حكماً عدلاً) يفصل فيما حدث بين مختلف مذاهب المسلمين، من اختلافات فقهيّة أبعدتهم عن وحدتهم التي أوصاهم ربّهم أن يعتصموا بها في حياتهم العمليّة على الدّوام. هذا وإنّ الذي لاحظناه أيضاً هو أنّ مضمون آيات سورة الزخرف لم يتمكّن من فهمه المفسّرون القدماء رحمهم الله تعالى على حقيقته، هذا المضمون الذي خاطب ربّنا عز وجلّ من خلاله هؤلاء المتخلّفين من المسلمين المعاصرين. وبدليل أنّ المفسرين ذهبوا في تفسير هذه الآيات مذاهب شتّى. كذلك قد لاحظنا بأنّ الله تعالى أخفى حقيقة الذين كان يخاطبهم في الآيات الأوائل من سورة الزخرف، وليكشف اللّثام عنهم بالتّدريج. وهو أسلوبُ بيان متميّزٍ امتاز به هذا

القرآن المجيد. فالله عز وجلّ قد كشف الغطاء عن حقيقة هؤلاء الذين يخاطبهم من أمّة محمّد ﷺ بصورة تدريجيّة. ومن ثمّ كشف اللّثام عن وجه الذين ما زال يخاطبهم منذ الآية الأولى من آيات سورة الزخرف. وانتهى من ذلك كلّه إلى الإتيان بهذه النّبوءة الثّالثة المتعلّقة بوجود بعثة إسلاميّة ثانية، وقد أوردها بألفاظ عامّة الدّلالات ومجملة، وغير مقترنة بتفاصيل تحدّدُ معانيها. وبحيث لا يحدّد معانيها إلا الذي يتدبّر آيات سورة الزخرف هذه بمنهجيّة القرآن الكريم وأصول تفسيره. وفي وقت أذن الله تعالى فيه أن يكشف اللّثام عن معانيها.

ولنلاحظ كيف أنّ الله عز وجلّ ما إن فرغ من قوله تعالى ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ﴾ إلا وأتى تعالى بواو العطف، ليعطف مواقف أخرى يقفها قوم محمّد من مثيل (ابن مريم) الذي ضجّوا منه ورفضوا الإيمان به. فقال: ﴿وَقَالُوٓاْ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًۢا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾. ففعل (وقالوا) ضمير القول يعود إلى (قومك) الذين يضجّون لسماعهم ببعثة مثيل ابن مريم. وليس معنى (قالوا) هو مجرّد التّلفّظ، بل ورد فعل (القول) هنا بمعنى الاعتقاد. وعليه يكون معنى ﴿وَقَالُوٓاْ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ﴾ معناه أنّ قومك يا محمّد أولئك الذين يضجّون حين يسمعون ببعثة مثيل ابن مريم، فلا يكتفون بالضّجيج والتّذمّر من سماعهم ببعثة مثيل ابن مريم. بل ويكون فيهم علماء بارزون يحملون الأفكار الإسلاميّة الموروثة على أنّها تمثّل تعاليم الإسلام الحقيقيّة. فيحاول هؤلاء المشار إليهم الموازنة ما بين ما عندهم من علماء مشهورين يحترمونهم

ويحبّونهم حبّا جمّا، وهو المعنى الذي أفاده لفظ (آلهتنا) الدّالّ على المحبّة المفرطة، والمشتقّ من (الوَله) أي (المحبّة) (محيط المحيط). فلا ينبغي أن نفهم من كلمة (آلهتنا) الوارد في هذه الآية معنى الآلهة الأصنام التي كان عرب الجاهليّة يعبدونهم. بل ورد لفظ (آلهتنا) هنا على شاكلة قول الله تعالى بحقّ أهل الكتاب ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾. هذا القول الذي لا يعني إلا أنّ العامة من أهل الكتاب كانوا يرجعون في كلّ أمر دينيٍّ إلى ما يفتي به علماؤهم، عوضا عن أن يرجعوا بأنفسهم إلى ما أنزل الله على أنبيائهم. وإنّ الله عز وجلّ ينبّه عقولنا من خلال قوله تعالى ﴿وَقَالُوٓاْ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيۡرٌ أَمۡ هُوَ﴾ إلى أنّ قومك يا محمّد سيقعون في نفس الخطأ الذي كان قد وقع فيه أهل الكتاب من قبلك، وإلاّ فلا يُعقل أن يدلّ لفظ (آلهتنا) في هذا المقام على أنّ قوم محمّد الذي جاء دينهم بالتّوحيد الكامل، سيتّخذون آلهة من دون الله تعالى، ويعبدون الأصنام. وعلى أساس من هذا الفهم يكون معنى ﴿وَقَالُوٓاْ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيۡرٌ أَمۡ هُوَ﴾ يعني موازنة قومك يا محمد ما بين علمائهم، وما بين (مثيل ابن مريم) العائد إليه ضمير (أم هو) وهو المبعوث الذي يكون من أصل فارسيّ، وذلك وفق ما أفادته الآيات الأوائل من سورة الجمعة، وبتفسير من رسول الله ﷺ نفسه. وقد أضاف الله تعالى يقرّع عمليّة المقارنة التي يقوم بها المتخلّفون من مسلمي عصر الانحطاط ما بين علمائهم وما بين مثيل ابن مريم. عوضا عن أن يلبّوا صوت السّماء بلا تردّد. وقال ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلَۢاۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٌ خَصِمُونَ﴾. أي أنّ حال هؤلاء لا يشبه حال

من يبحث عن الحقيقة، ولكنّ موقفهم المشار إليه نابعٌ من كونهم جبلوا على الخصام ليس إلا. وليس المقصود من الجار والمجرور (لك) في هذا المقام، هو محمّد رسول الله ﷺ. بل المقصود من هذا الجار والمجرور (مثيل ابن مريم) المبعوث في عصر انحطاط المسلمين. ومن باب أنّ الضّمير يعود إلى أقرب الأسماء منه. وإنّ أقرب الأسماء إلى هذا الضّمير هو (مثيل ابن مريم) يقينا المذكور في سياق هذا الضّمير المذكور.

وهنا فقد شاء الله عز وجلّ توضيح حقيقة (ابن مريم) الأصليّ، وناحية التّشابه، فقال بعد ذلك ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَٰهُ مَثَلًا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾. أي وكما أننا كنّا قد جعلنا (ابن مريم) مثلاً وعبرةً في بعثته من دون أب للدّلالة على سدّ باب الروحانيّة في وجوه بني إسرائيل. فقد جعلنا (مثيل ابن مريم) هذا الذي نرسله في عصر انحطاط وتخلّف أمّة محمّد، قد جعلناه على شاكلته، فلن يبعث الله مجدّدا من بعده إلا الذي يكون من جماعته، وعلى شاكلة سدّنا باب النّبوّة في بني إسرائيل من بعد بعث المسيح ابن مريم بدون أب. ومن ثمّ أضاف تعالى يقول مخاطبا مسلمي عصر الانحطاط ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَٰٓئِكَةً فِى ٱلْأَرْضِ يَخْلُفُونَ﴾. أي يا من تنسبون أنفسكم إلى محمّد وقومه اعلموا أننا قد نزعنا من بينكم فضيلة الخلافة، واستخلفنا من بني فارس مثيلا لابن مريم. بسبب وقوعكم في مستنقع معصيتكم لإلهكم الذي جعلكم خير أمّة أُخرجت للنّاس، وإلاّ فلو أنّكم بقيتم متمسّكين بحبل الوحدة وتقوى الله تعالى ﴿لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَٰٓئِكَةً فِى ٱلْأَرْضِ يَخْلُفُونَ﴾.

ومن ثمّ أتى الله تعالى بواو العطف وأضاف وقال ﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَٱتَّبِعُونِ ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾. وقد اختلف المفسّرون في موضوع ضمير (وإنّه) من قوله تعالى ﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ﴾. فمن المفسرين من أعادوا ضمير (وإنّه) إلى هذا القرآن الكريم، وعلى تقدير أنّ هذا الكتاب المبين فيه علم السّاعة أي علم وجود الدّار الآخرة. ومنهم من أعاد ضمير (وإنّه) إلى عيسى ابن مريم من أنّه شرط تُعلمُ به السّاعة فسمّى الشّرط الدّالّ على الشّيء علماً لحصول العلم به. أقول: إنّ هذا الاختلاف المشار إليه والواقع بين المفسّرين يرجع سببه في نظري واجتهادي لعدم انتباههم رحمهم الله تعالى إلى ما انتبهت إليه من أنّ المخاطبين في سورة الزخرف هم قوم محمّد صلى الله عليه وسلّم أنفسهم ممّن يصبحون بعد أربعة عشر قرن من زمن البعثة المحمّديّة عاصين لتعاليم دينهم ومن (المسرفين) في المعاصي، ومن الذين (يقولون ما لا يفعلون). وقد احتاج حالهم الذي وصلوا إليه إلى ظهور (البعثة الأحمديّة) التي أنبأت عن ظهورها سورة (الصّف). تلك البعثة الإسلاميّة الثّانية التي نبّهنا الله عز وجلّ إليها من خلال قوله تعالى في سورة الزخرف ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ﴾ وهي الآية التي أتيت على تفسيرها على وقتها من قبل. وكأنّ الله عز وجلّ يبيّن لنا من خلال قوله تعالى ﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ﴾ بأنّ مثيل المسيح عيسى ابن مريم يكون واسطة علمِ ساعة إنزال العذاب بأمّة المسيح الدّجّال، ووفقاً لما صرّحت به آيات سورة الكهف، بما يتعلّق

بنهضة المسيحيّة الثّانية التي لا تمثّل المسيح وتعاليمه، ولذلك سُمّيت بأمّة المسيح الدّجّال في أحاديث رسول الله ﷺ. ومما لا مجال هنا للتّوسّع فيه في هذا المقام. وبإمكان القارئ الإحاطة بتفاصيله عند مراجعته لتفسير (في ظلال تفسير سورة الكهف).

والمهمّ في الأمر هو أنّ تسلسل الآيات الموضوعي يفرض علينا إعادة ضمير (وإنّه) إلى اسم (ابن مريم) وهو أقرب الأسماء إلى هذا الضّمير. ثمّ إنّ كلمة (السّاعة) وردت معرّفة بأداة تعريف تفيد المعهود الذّهني. ولا معهود ذهنيٌّ للسّاعة قبل سورة الزخرف بما يتعلّق بابن مريم إلا ما أنبأت عنه سورة الكهف. علما بأنّ القرآن الكريم يفسّر بعضه بعضا، وكما هو معروف. واستنادا إلى هذا المعنى الذي أتيت على ذكره يصبح معنى قول الله تعالى ﴿وَٱتَّبِعُونِ ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ أنّ مثيل ابن مريم هذا يطالب مسلمي زمانه أن يتّبعوه وأن يهجروا ما توارثوه من مفاهيم لا تتفق مع هذا الصّراط المستقيم الذي أتى به محمّد رسول الله ﷺ. وإن ما يؤكّد هذا المعنى الذي ذهبت إليه، هو أنّ (مثيل ابن مريم) قد قال بشأن نبأ (السّاعة) الذي يُعلم مسلمي عصر الانحطاط بدنوّ وقت وقوعها، قال ﴿فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا﴾، بمعنى إياكم أن تشكّوا في خبر دنوّ زمن (ساعة) هلاك أمة المسيح الدّجال الذي أخبرتكم عنه.

ومن ثمّ أتى تعالى بواو العطف وأضاف يأمر على لسان (مثيل ابن مريم) ويقول: ﴿وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾. فضمير المتكلّم هنا هو مثيل ابن مريم. وضمير الذين يخاطبهم هم

المسلمون الذين يعاصرونه. بمعنى إيّاكم أن تدَعوا هذا الشّيطان الذي هو المسيح الدّجال الذي دنت ساعة القضاء عليه أن تدعوه يُغريكم بما أتى به من عجائب دنيويّة، فتتّبعونه، وفي وقت يكون فيه هذا المسيح الدّجال ﴿لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾.

وهنا، وبعد أن أنبأ الله عز وجلّ عن بعثة مثيل ابن مريم في الآيات السّابقة من سورة الزخرف هذه، فقد اغتنم تعالى هذه المناسبة ليطلع مسلمي عصر التّخلّف على ما كان قد جرى بعد بعثة عيسى ابن مريم من قبل. ومن أجل إعطاء هؤلاء المسلمين المتخلّفين فكرة مشابهة عمّا يمرّون به من دور عند بعثة مثيل ابن مريم الذي أتينا على ذكره. واستمرّ في هذا البيان إلى آخر هذه السّورة، ممّا لا مجال لتفسيره في هذا المقام.

فإلى هنا يكون الله عز وجلّ قد أنبأ عن البعثة الإسلاميّة الثّانية التي سيمثّلها مثيل ابن مريم المشار إليه في سورة الزخرف ولكن بصيغة مجملة. ولمّا كان هذا الإجمال بحاجة للتّفصيل والكلام عن معالم الجماعة التي ستقوم على يدي مثيل ابن مريم لإحياء الإسلام. فقد راح الله جلّ شأنه يورد بعد سورة الزخرف عدّة سور مستهلّة بحرفي ﴿حمَ﴾. فأورد تعالى سورة الدّخان، مبيّنا فيها أنّ الله تعالى قد أخذ على نفسه إنذار الظّالمين بالعذاب إن هم تمادوا فيه، رحمة من ربّك، ومن منطلق أنّ بيده إحياء النّفوس وإماتتها، ولإثبات أنّه تعالى هو الله (الحميد المجيد). وكانت الحكمة من إنذار الظّالمين بالعذاب في هذه السّورة بقصد توعية أمّة محمّد، لعلّها تعتبر بهذه الحقيقة، فلا تصبح من

(الظّالمين). ومن ثمّ أتى تعالى بسورة (الجاثية) فوضّح للعقلاء من النّاس ظواهر قدرات الله تعالى المتجلية في خلق هذا الكون، واستحقاق كلّ مستكبر في هذه الأرض يستكبر عن الإيمان بالله الخالق وعبادته فردا كان أو جماعة أو أقواماً، استحقاقهم إنزال عذاب الله تعالى بهم، إثباتا من جانبه تعالى بأنّه هو الحميد المجيد. وكانت الحكمة من بحث هذا الموضوع في هذه السّورة، لعلّ أمّة محمّد تظلّ مثابرة على عبادة الله وخدمة دينه ونشر دعوته إلى أقاصي الأرض. ومن ثم أتى تعالى بسورة الأحقاف ليثبت بأنّ الله الحميد المجيد لم يعمد إلى خلق هذا الإنسان وهذا الكون عبثاً من دون مقصد وغاية محدّدة. بل قد جعل له غاية ومقصداً. وقدّم الأدلّة التي تثبت ذلك كلّه في هذه السّورة.

لعلّ أمّة محمّد لا تغفل عن تحقيق هذا المقصد من خلق كلّ فردمن أفرادها. وأنهى الله جلّ شأنه سورة الأحقاف هذه مخاطبا رسوله الكريم وقائلاً ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ ۚ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ ۚ بَلَٰغٌ ۚ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ وكان المقصد من هذا الخطاب الإلهيّ وما حمله من بلاغ موجّه إلى النّاس بصورة عامة وإلى مسلمي عصر الانحطاط بصورة خاصّة، ومن أجل أن يهدّئ من ألم رسوله الكريم من جرّاء المصاب الذي سينزل بأمّته أيام بعثة مثيل ابن مريم. وكانت الحكمة من كلمة (بلاغ) ضرورة أن يقوم محمّد بتبليغ هذه الحقائق التي اشتملت عليها سور (المؤمن، فصّلت، الشّورى، الدّخان، الجاثية، والأحقاف) من وصايا ونصائح وتعاليم وإنذارات ونبوءات، موجّهة

إلى النّاس قاطبة وإلى المسلمين خاصّة. وذلك لإبلاغهم وتبشيرهم بأنّ خالقهم هو الله الحميد المجيد الجامع للمحامد كلّها ونبيل الذّات والصّفات. فلما فرغ الله تعالى من سورة الأحقاف هذه، والتي أوصى في نهايتها رسوله الكريم بالصّبر وعدم استعجال تحقّق جميع ما أورده ربّه في السّور آنفة الذّكر، وبعد أن حمّله مسؤوليّة تبليغ هؤلاء المنذرين بما أورده في السّور المذكورة. فقد أورد تعالى من بعدها ثلاث سور هي سور (محمّد والفتح والحجرات) غير مفتتحة بحرفي ﴿ حمٓ ﴾ وذلك من أجل أن تكون تابعة في مضامينها لمضمون سورة الأحقاف، وفقا لقوانين الاختزال القرآني. ولتكون شارحة مضامينُ هذه السّور الثّلاثة بعض جوانب موضوع سورة الأحقاف.

وهكذا ومن هذا المنطلق فقد خصّص الله تعالى سورة (محمّد) لإلقاء الضّوء على الموقف الذي ينبغي أن يقفه محمّد رسول الله ﷺ من مشركي مكة المكرّمة. ومن ثمّ فقد خصّص تعالى سورة (الفتح) لتبشير رسوله الأمين والمؤمنين الذي يأتون من بعد بعثة مثيل ابن مريم، لتبشيرهم بما خبّأه لهم ربُّهم من فتح مبين يتجلّى من بعد البعثة الأولى، وهو الفتح الذي عبّر تعالى عنه في آخر الآية 27 بقوله تعالى ﴿ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾ والتّبشير بفتح ثان يتجلّى من بعد البعثة الثّانية وعبّر تعالى عنه في الآية التي بعد الآية المذكورة وقال ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴾ ولم يكتف الله جلّ شأنه بما بشّر به المؤمنين من فتح يحدث عقب البعثة المحمّديّة، وبفتح يحدث عقب البعثة الثّانية

الأحمديّة التي تتحقّق على أيدي مثيل ابن مريم. بل راح جلّ شأنه يعطي القارئ فكرة عمّا تتصف به تلك الجماعة المؤمنة التي تتشكّل على أيدي محمّد رسول الله صاحب البعثة الإسلاميّة الأولى من صفات متميّزة. وعمّا تتصف به الجماعة المؤمنة التي تتشكّل على أيدي مثيل ابن مريم صاحب البعثة الإسلاميّة الثّانية من صفات متميّزة هي أيضاً. فراح الله جلّ شأنه يقول: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا﴾. وبهذا الوصف يكون الله تعالى قد أنهى آيات سورة الفتح. وهو ما نريد بيانه. وهنا كان من واجبنا أن نتساءل عن ظواهر صفات الجماعة المؤمنة التي تتشكّل على أيدي مثيل ابن مريم، والتي ورد ذكرها هنا في هذه الآية الأخيرة من سورة الفتح. ولتشكّل هذه الجماعة المؤمنة الأساس لتحقّق الفتح الإسلامي الثّاني المبشّر به وهو: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾. لذلك أحاول تدبّر ما ورد بشأن هذه الفئة المؤمنة الثّانية المبشّر بها في هذه الآية الأخيرة من سورة الفتح والتي ورد اسمها في سورة الجمعة (الآخرين) وفق منهجيّة القرآن الكريم وأصول تفسيره. فأتناول الفقرة الأولى من هذه النّبوءة، وهي قول الله تعالى ﴿وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ﴾. وهذه الفقرة وردت في مقابل ﴿ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ﴾. وبما أننا كنا قد علمنا من معجم (محيط

المحيط) أنّ معنى كلمة (مثل) يعني (النّظير). يصبح معنى ﴿ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ﴾ أنّ محمّداً رسول الله والذين معه، هم نظير ما ورد في التّوراة عن موسى رسول الله وعن الذين كانوا معه. وناحية التّشابه تأتّت من كون موسى ومحمد رسولان مشرّعان. وكون كلّ منهما كان قد تلقّى تشريعا سماويا. وأنّ جماعتيهما المؤمنتين كانتا قد اضطرتا إلى خوض حروب مع أعدائهما، وقد نصرهم ربّهم في نهاية المطاف.

وأما قوله تعالى (ومثلهم في الإنجيل) فيعني ونظيرهم في الإنجيل. والذي نلاحظه بأنّ المسيح رسول الله ما كان رسولاً مشرّعاً. ولا كانت جماعته المؤمنة قد اضطرّت إلى خوض حروب مع أعدائها. فمن حيث هذه الحقائق التي لاحظناها فلا يجوز التّسليم بأنّ قوله تعالى ﴿وَمَثَلُهُمْ فِي ٱلْإِنجِيلِ﴾ ينطبق على محمّد رسول الله وعلى الذين معه. بل ينطبق على فئة مؤمنة أخرى غير فئة صحابة محمّد رسول الله ﷺ. على حين أنّ المفسّر المعروف الفخر الرازي رحمه الله كتب يفسّر قوله تعالى ﴿وَمَثَلُهُمْ فِي ٱلْإِنجِيلِ﴾ وقال: ((أي وُصفوا ـ ويقصد صحابة محمّد رسول الله أنّهم وُصِفوا ـ في الكتابين به ومثّلوا بذلك وإنّما جُعلوا كالزرع لأنّه أوّل ما يخرج يكون ضعيفا وله نموّ إلى حدّ الكمال، فكذلك المؤمنون، والشّطأ الفرخ. و (فآزره) يُحتمل أن يكون المراد أخرج الشّطأ وآزر الشّطأ، وهو أقوى وأظهر والكلام يتمّ عند قوله "يُعجب الزرّاع"). ولا شكّ أنّ ما ذكره رحمه الله لا يدلّ على أنّه استوعب دلالة هذين المثالين.

ولمّا كان الله عز وجلّ قد أنبأ في سورة الزخرف عن بعثة نظير لابن مريم لإصلاح حال الإسلام في عصر تخلّف المسلمين، وأنّ بعثته تحدث بعد أربعة عشر قرن من الزمان من زمن البعثة المحمّديّة. وبما أنّ عيسى ابن مريم كان قد بعثه ربّه بعد البعثة الموسويّة بأربعة عشر قرن من الزمان وآتاه (الإنجيل) علما بأنّ كلمة الإنجيل تعني البشارة. فإنّ قول الله تعالى هنا في سورة الفتح ﴿وَمَثَلُهُمْ فِي ٱلْإِنجِيلِ﴾ يشير بالضّرورة إلى تلك البشارة التي بشّرت بها سورة الزخرف، والمتعلّقة بالبعثة الثّانية للإسلام والتي تحدث على أيدي نظير ابن مريم أي مثيله، والذي يظهر بعد أربعة عشر قرن من زمن البعثة المحمّديّة. واستنادا إلى هذا الفهم نكون قد أمسكنا بطرف الخيط الذي يوصلنا إلى معرفة ما كان مقدّرا حدوثه على طريق تحقيق البعثة الثّانية للإسلام. خصوصا وأنّه توجد إشارة (وقف) بعد قوله تعالى ﴿وَمَثَلُهُمْ فِي ٱلْإِنجِيلِ﴾ وإنّ إشارة الوقف هذه قد وردت تدعونا للتّوقّف هناك لمحاكمة الأمور على شاكلة ما فعلناه آنفاً.

وعليه نتقدّم خطوة ثانية ونتدبّر الفقرة الثّانية وهي قوله تعالى ﴿كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ﴾. فهذه الفقرة مستهلّةٌ بحرف تشبيه الأمر الذي يعني بأنّ الله عز وجلّ قد شبّه ما يُحدثهُ المسلمون في عصر التّخلّف والانحطاط، كالذي اجتثّ زرعا كان الله جلّ شأنه قد أنبته على أيدي محمّد رسول الله زمن البعثة الإسلاميّة الأولى. فأعمال هؤلاء المسلمين (المسرفين) هم من السّوء إلى درجة كنّى الله تعالى عنها أنها بمثابة قطع ساق شجرة نابتة من فوق الأرض، لكنّ جذور هذه النّبتة ظلّت موجودة

تحت الأرض فيها حياة وتُخرج شطأ. وفي هذه الكناية إشارة إلى القرآن الكريم وإلى وعد الله تعالى بالمحافظة على هذا القرآن الذّكر مصونا من كلّ تحريف على مدى الدّهر ووفق وعد الله تعالى ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾. فأنت تقول شطأ الزرع معناه أخرج الشّطأ. والشّطأ معناه فراخ الزرع، وفراخ النّخل، والشّطأ من الشّجر ما خرج حول أصوله من فراخ هذا الشّجر (محيط المحيط). وعليه يصبح معنى قوله تعالى ﴿كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ﴾ أنّ هيبة الإسلام ستتلاشى جذوتها في زمن عصر الانحطاط ويزول نظام الخلافة الإسلاميّة من بين المسلمين. ومن ثمّ يعود نظام الخلافة الإسلاميّ على منهاج النّبوّة من جديد على أيدي (مثيل ابن مريم) الموعود ببعثته في سورة الزخرف. ولكنّ الذي سيحدث لا يحدث على شاكلة ما حدث زمن البعثة الإسلاميّة الأولى ولكنّه سيحدث عن طريق التّبشير بهذا القرآن وبتعاليمه المحفوظة إلى زمن (مثيل ابن مريم). وسيؤسّس مثيل ابن مريم جماعة مؤمنة ملتزمة بتعاليم هذا القرآن المجيد، وتتأسّس لهذه الجماعة فروع في كلّ دولة يصل إليها صوت هذا المثيل ويؤمن ببعثته أفراد من تلك الدّولة أيضاً. وتنشأ هذه المراكز في تلك الحالة ضعيفة كضعف الشّطأ الذي تُخلفه شجرة كبيرة مقطوعة السّاق. فهذا هو معنى النّبأ ﴿كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ﴾.

وقد أتى تعالى بفاء الاستئناف، ليشير إلى مرحلة أخرى تمرّ منها تلك الجماعة التي آمنت بمثيل ابن مريم وقال ﴿فَـَٔازَرَهُۥ﴾. من فعل أزرَ اللازم الذي لا يحتاج إلى مفعول، ومعناه النّباتُ الذي التفّ واشتدّ. وأمّا فعل (آزره) فهو متعدّي. ومعناه أنّ جماعات المؤمنين التي نشأت

هنا وهناك تتوجّه لتتقوّى بالتّعاون بعضها مع بعضها الآخر. فهذا هو معنى نبأ ﴿ فَـَٔازَرَهُۥ ﴾.

ومن ثمّ فقد أتى الله تعالى بفاء الاستئناف للمرّة الثّانية، وأضاف وقال ﴿ فَٱسْتَغْلَظَ ﴾. فأنت تقول: استغلظ الشّطأ معناه قوي واشتدّ وبدأ يُثمر. وفي هذا إشارة إلى أنّ تلك الجماعات المؤمنة سيزداد أعداد أفرادها شيئاً فشيئاً. وتتّخذ بالتّالي كياناً مستقلاً فاعلاً حيث وُجدت. فهذه هي دلالة نبأ المرحلة الثّالثة التي تمرّ منها جماعة مثيل ابن مريم، والتي تضمّنها قوله تعالى ﴿ فَٱسْتَغْلَظَ ﴾.

ومن ثمّ أتى تعالى بفاء الاستئناف للمرّة الثّالثة وقال ﴿ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ ﴾. فضمير فعل (استوى) يعود إلى (الشّطأ) الذي تآزر فيما بين مختلف فروعه ومن ثمّ استغلظ فأصبح كلّ فرع من ذاك الشّطأ شجرةً بحدّ ذاتها. أما فعل (استوى) معناه اعتدل واستقام من اعوجاج. فإذا أضفت صلة حرف (على) على هذا الفعل وقلت (استوى على سوقه) وكما هو في هذه الفقرة من الآية فمعناه استقرّ وظهر (محيط المحيط). وعليه يصبح معنى قوله تعالى ﴿ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ ﴾ أنّ (شطأ) شجرة الإسلام التي نمت على أيدي مثيل ابن مريم، والتي تآزرت فيما بينها واستغلظت. يأتي عليها زمان تكون فيه قد استقرّت وظهرت كأشجار بديلة عن شجرة الإسلام التي أضاعها المسلمون زمن تخلّفهم بسبب (إسرافهم) في عصيان أوامر ربّهم عز وجلّ. وبألفاظ أخرى فإنّ شجرة الإسلام العظيمة التي زرعها محمّد رسول الله صاحب البعثة الإسلاميّة الأولى، قد أصبحت على أيدي مثيل ابن مريم صاحب البعثة الإسلاميّة

الثّانية ليس شجرة عظيمة واحدة، بل عادت أشجارا بعدد فروعها التي تأسّست في كلّ مكان من هذا العالم. وهنا فقد راح الله تعالى يقول متباهيا بما أحدثه: ﴿يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ﴾. أي أنّه جلّ شأنه أتى بفعل (يُعجبُ) المشتقّ من عجبَ من كذا معناه أخذه العجب منه. والعجبُ من الله تعالى معناه الرضى. ولنلاحظ بأنّ الله عز وجلّ لم يقل هنا (يعجب الزارع) ولينسب زرع شجرة الإسلام إلى ذاته وحده. بل قال ﴿يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ﴾ وبصيغة الجمع. تلك الصّيغة الدّالّة على أكثر من اثنين هما الله جلّ شأنه ورسوله الكريم محمّد بن عبد الله ﷺ. وليشير الله تعالى من خلال صيغة الجمع هذه إلى اشتراك مثيل ابن مريم في عمليّة الزّرع المقصودة. ولتشكّل صيغة الجمع هذه الدّليل القاطع على أنّ للإسلام بُعثتان، وليس بعثة إسلاميّة واحدة. ومن ثمّ أتى تعالى بفعل ﴿لِيَغِيظَ﴾ المستهلّ بلام التّعليل. والمشتق من قولك: غاظه أي حمله على الغيظ، فهو غائظ وذاك مغيظ. وقال ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ﴾ أي أنّ الله عز وجلّ قد بعث مثيل ابن مريم المنبأ عنه ليعيد للإسلام كيانه وبأقوى ممّا كان من قبل. وليغتاظ من جرّائه الذين كفروا بمصداقيّة هذا الدّين الإسلاميّ الحنيف، أولئك الذين سعوا على الدّوام للقضاء عليه وحرمان البشريّة من بركاته التي بدونها لن يستقرّ السّلام في العالم ولن يعيش البشر بطمأنينة وأمان، وبرعاية ربّ العالمين.

فلمّا فرغ الله عز وجلّ من وصف حال الجماعة المؤمنة التي تتشكّل على أيدي مثيل ابن مريم، ومصداقا لقول الله عز وجلّ: ﴿وَمَثَلُهُمْ فِي ٱلْإِنجِيلِ﴾. فقد ختم سبحانه وتعالى هذه الآية الأخيرة من سورة (الفتح) بقوله تعالى ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا

عَظِيمًا﴾. فضمير ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ لا يُقصد به الذين آمنوا بمحمّد رسول الله ﷺ. وإنّما يُقصدُ به الذين آمنوا بمثيل ابن مريم، وهم هذا الشّطأ الذي نبت من شجرة الإسلام العظيمة. وهذا من باب أنّ ضمير (الذين) يعود إلى كلمة (الشّطأ) وهو أقرب الأسماء إليه. فالله عز وجلّ قد وعد هؤلاء الذين آمنوا بمثيل ابن مريم وكلّ من عمل الصّالحات منهم، فقد وعدهم ربّهم عز وجلّ ﴿مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾. فكلمة (مغفرة) مصدر واسمٌ من غفر. وقال في الكلّيات: المغفرة هي صيانة العبد عمّا استحقّه من العقاب وذلك بالتّجاوز عن ذنوبه، وهي مشتقّة من الغفر وهو إلباس الشّيء ما يصونه من الدّنس. وأما قوله ﴿وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ فالواو للإضافة وقوله (أجرا) اشتقّ من قولك أجر فلانا، معناه جزاه على قدر عمله. وقد وصف الله تعالى هذا الجزاء الموعود به للجماعة التي تؤمن بمثيل ابن مريم بأنّ أجرهم الذي أعدّه ربّهم لهم سيكون (عظيما). والملاحظ بأنّه تعالى لم يقل (وأجرا كبيرا)، بل قال ﴿وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ ومن باب أنّ الأجر الموعود به يكون فوق الكبير، وفيه دلالة أيضاً على القرب من الله تعالى (محيط المحيط). فلفظ (عظيم) يضيف إلى دلالة لفظ (كبير) زيادة عن دلالة كبير، كما يحمل في طيّاته معنى القرب من الله عز وجل. وعلى هذه الصّورة تكون يا عزيزي القارئ المسلم قد تبيّنت من خلال جميع ما أتينا على بيانه معالم (نبوءة ثالثة) اشتملت عليها السّور التي أتينا على ذكرها، والدّالة على وجود بعثة إسلاميّة ثانية يعاصر وجودها زمن تخلّف المسلمين وانحطاط أخلاقهم، وإسرافهم في معصية ربّهم عز وجلّ الأمر الذي استدعى لاستبدالهم بآخرين. وهي الحقيقة التي كنا قد قصدنا بيانها في هذا الفصل وبأدلّة مُقنعة.

الفصل الرابع:

نبوءة ﴿ ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ﴾

وقد تبيّنت لي معالم نبوءة رابعة تضمّنتها آيات سورة الكهف التي لم يفهم المفسّرون القدماء مضمونها على حقيقته. ولم يحيطوا علماً بما تضمّنته من حقائق تاريخيّة وأنباء مستقبليّة. ففهموها وفق ما تبادر من آياتها لأذهانهم من دلالات. على حين أنّي أثبتّ في (منهجيّة القرآن الكريم وأصول تفسيره) بأنّ من أصول تفسير هذا الكتاب المقدّس أنّ ما يتبادر لذهن المرء من الآية لا يكون هو المعنى المقصود منها. ولذلك جاء تفسيرهم لها وكأنّها سورة أعاجيب. على حين أنّ الله عز وجلّ قد نبّه أذهاننا في الآيات الأربعة الأوائل من هذه السّورة إلى أنّ محمّداً ﷺ كان مكلّفا من جانب ربّه عز وجلّ أن يُنذر المسيحيّين وخاصة منهم من اعتقد بأنّ لله ولدا. وهذا الإنذار قد تضمّنه قوله تعالى ﴿ وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ﴾. وهو إنذار متعلّقٌ بنهضة المسيحيّة الثّانية التي أنبأت عنها آيات سورة الكهف. هؤلاء المسيحيّون الذي وضّحت لنا آيات سورة الكهف بأنّهم سيعلون في الأرض علواً كبيراً. وإلى درجة تضجّ منها شعوب الأرض كلّها. وفي وقت لا يكونون يمثّلون من خلال تصرّفاتهم حضارة مسيحيّة، ولكن حضارة علمانيّة بعيدة عن

أخلاق المسيح عيسى ابن مريم وتهذيبه والذي تكلّمت عنه الأناجيل الحاضرة. وبما أنّ نهضة العالم المسيحي الثّانية هذه ورد الإخبار عن ظهورها في هذا القرآن المجيد يوم لم يكن لها في الأرض من علامة تُذكر. وبما أنّ المسلمين يكونون زمن نشأتها في دور تنزّل وانحطاط وبعد عن تقوى الله تعالى من الوجهة العمليّة. فإنّ محمّدا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قد حذّر مسلمي عصر الانحطاط المشار إليهم عدّة تحذيرات من أجل أن يعرفوا أسباب تخلّفهم، ووسائل ترقّيهم من جديد، وليعصموا أنفسهم من طغيان نهضة المسيحيّة الثّانية التي أشارت إليها سورة الكهف. ومن هذه التّحذيرات التي نقلتها إلينا كتب أحاديثه صلّى الله عيه وسلّم، ما أورده (مسلم والنّسائي والتّرمذي) من حديث يقول ﷺ فيه محذّراً (**مَن حفظ عشرَ آيات من أوّل سورة الكهف عُصِمَ من الدَجّال**). ويقول ﷺ في مسلم والنّسائي (**من قرأ العشر الأواخر من سورة الكهف عُصِمَ من فتنة الدَجّال**). حتّى أنّ مفسّر تفسير (ابن كثير) عنون تفسيره لآيات سورة الكهف وقال (**ذكر ما ورد من فضلها والعشر الآيات من أوّلها وآخرها وأنّها عصمة من الدّجّال**). فالأحاديث المذكورة، والعنوان المشار إليه فيهم كلّ الدّلالة على تحذيرات محمد رسول الله أمّته من الشّرور تلك التي ستُسفر عنها نهضة المسيحيّة الثّانية التي أنبأت عنها سورة الكهف. وفي حال وجود هذه التّحذيرات المشار إليها فقد كان من واجب علماء عصرنا أن يهتمّوا بمضمون سورة الكهف والقيام بمراجعة ما أورده المفسّرون القدماء من مضامينها. لكنّي أقول، والألم يعتصر فؤادي، إنّ علماء عصر التّنزّل والتّخلّف الدين

يعاصروننا لم يعطوا موضوع سورة الكهف وما أوردته من حقائق تاريخيّة وأنباء مستقبليّة أيّ اهتمام يُذكر. بل ظلوا يفهمونها وكأنّها سورة أعاجيب لا يقبلها عقل عاقلٍ ولا علم عالم بتاريخ هذه البشرية.

وإنّه بسبب هذه الخصوصيّة التي اكتسبتها سورة الكهف من خلال ما أوردناه من أحاديث رسول الله وما تضمّنته تلك الأحاديث من إنذار موجّه إلى مسلمي عصر الانحطاط وتضمّنه قول الله عز وجلّ في الآية الرابعة من سورة الكهف ﴿وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا﴾، فإنّ ذلك كلّه شدّني للبحث عن نبوءة رابعة لا بدّ من وجودها ضمن آيات سورة الكهف هذه وسأحاول عرض ما توصّلت إليه من حقيقة تتعلّق بهذه النّبوءة الرابعة على القارئ المسلم الذي يبحث عن الحقيقة، ولا أوجّه حصيلة تحقيقي هذا إلى أصحاب العقول التّقليديّة الذين تُبهرهم أعاجيب سورة الكهف، وعلى حسب ما فهمه منها المفسّرون القدماء الذين ما وصل إلى علمهم بأنّ للقرآن الكريم منهجيّة وأصول تفسير امتاز بها عن سائر ما عرفه الأدباء والكتّاب.

فقد بيّنت في (في ظلال تفسير سورة الكهف) أنّ الله عز وجلّ، وبعد أن بيّن لنا أنّ من مسؤوليات محمّد رسول الله إنذار المسيحيّين الذين اعتقدوا بأنّ لله ولد. فقد استعرض لنا تعالى تاريخ المسيحيّة قبل الإسلام، وقدّم الأدلّة الملموسة على مصداقيّة ما أطلعنا عليه من تاريخها. وبيّن بأنّ تعاليم المسيح قامت على التّوحيد الخالص من شوائب الشّرك. وأنّ عقائد الشّرك قد تسرّبت إلى معتقدات المسيحيين بعد مرور ثلاثمائة وتسع سنين من بعثة المسيح النّاصري أي بعد اعتناق

الملك قسطنطين أفكار المسيحيّين وخاصّة منهم أفكار (بولس الرسول) الذي حرف تعاليم المسيح عن مسارها الصّحيح، ممّا لا مجال هنا للكلام عنه، وبإمكان القارئ مراجعة (هل مات المسيح على الصّليب؟) للإحاطة بمصداقيّة ما ذكرت.

والمهمّ في الأمر هو أنّ الله تعالى قد أنبأ عن مصير الذين يصرّون من المسيحيّين على الاعتقاد بأنّ لله ولد. والذين يعمدون إلى الكيد لهذا الدّين الإسلاميّ الحنيف بمختلف وسائل الكيد والتّضليل. قد أنبأ الله تعالى بأنّه قدّر (ساعة) لإنزال العذاب بهم ولإهلاكهم. وأنّ هذه (السّاعة) المنبأ عنها آتية (لا ريب فيها) (ولا مبدّل لكلماته). أي ولا مبدّل لما قدّر سبحانه وتعالى. وأنبأ الله سبحانه في الوقت نفسه بأنّه سيفسح المجال لهؤلاء المسيحيين أن ينهضوا بعد ظهور الإسلام ليمتحنهم ربّهم فيما آتاهم، رحمة بهم من جانبه عز وجلّ. وأخبر تعالى في الوقت نفسه بأنّ حال المسلمين يوم ينهض المسيحيون النّهضة الثّانية المنبأ عنها، فلن يكون حالهم مشابها لحال مسلمي زمن البعثة المحمّديّة. بل يكونون مسرفين في ارتكاب المعاصي ومتخلّفين عن ركب الحضارة. ولذلك فقد قدّر الله جلّ شأنه إحداث بعثة ثانية للإسلام. من أجل إعادة الوجه الحقيقي لتعاليم الدّين الإسلاميّ.

وبعد أن أعطيت القارئ المسلم فكرة ولو موجزة عما تضمّنته سورة الكهف. وأنّ سورة الكهف قد أنبأت عن بعثة إسلاميّة ثانية. فقد عاد من واجبي التّدليل على مصداقيّة وجود هذا النّبأ الذي أشرت إليه آنفا، وهو وجود بعثة ثانية للإسلام. في محاذاة نهضة المسيحيّين

العالميّة. وهي هذه النّهضة المسيحيّة التي نعاصرها في هذه الأيام. والتي حدثت مصداقا للنّبأ المشار إليه.

فإن عاد القارئ إلى الآية 21 من سورة الكهف يلاحظ بأنّ الله عز وجلّ قال ﴿وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَآ إِذْ يَتَنَٰزَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ ۖ فَقَالُوا۟ ٱبْنُوا۟ عَلَيْهِم بُنْيَٰنًا ۖ رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾. وخلاصة مضمون هذه الآية الكريمة، وهو ما بيّنته بالتّفصيل في تفسير سورة الكهف، وهو أنّ المسيحيين أنفسهم قد أعثرهم ربّهم على آثار أصحاب الكهف والرقيم من أجل أن يعلموا بأنفسهم بأنّ المسيحيين الأوائل كانوا موحّدين مصداق ما بيّنه هذا القرآن العظيم. وقد اختلفت مختلف طوائف المسيحيين عمّا ينبغي أن يفعلوه للاحتفاظ بتلك الآثار. وهي حقيقة تاريخيّة معروفة لدى العالم المسيحي.

وأما في الآية 22 فقد حثّ الله عز وجلّ كلّ باحث مسلم يبحث عن حقيقة أصحاب الكهف والرقيم، فقد حثّه وقال في آخر الآية المذكورة قائلاً ﴿وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا﴾ أي لا تستفت بشأن أصحاب الكهف والرقيم أحدا من المفسّرين المسلمين القدماء الذين صوّروا أصحاب الكهف وكأنّهم إحدى الأعاجيب. بل إن شئت أيّها القارئ أن تعرف حقيقتهم فابحث عنهم بحثا تاريخيّا وبأسلوب علميّ.

ومن ثمّ فقد عاود الله عز وجلّ يخبر عن نهضة المسيحيّين المنبأ عنها، والذين قال بأنّه تعالى قد أعثرهم على آثار المسيحيّين الأوائل من أصحاب الكهف والرقيم الموحّدين. فنبّه بصورة غير مباشرة إلى أنّهم

سيكونون في نهضتهم المنبأ عنها من القوّة بمكان وأنّهم سيحاولون الهيمنة على المسلمين. فقال في الآيتين 23/ 24 من هذه السّورة: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّى لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا﴾. وإنّ تسلسل الآيات الموضوعي يجبرنا أن نفهم من هاتين الآيتين أنّ الله تعالى قد راح يخاطب المسلمين الذين يعاصرون نهضة المسيحيين المنبأ عنها، ويعظ هؤلاء الذين يتأذّون منهم ويسعون بالتّالي للخلاص من سلطانهم وهيمنتهم فالله تعالى يعظهم ألا يعمدوا إلى التّهديد والمقاومة واستخدام العنف كوسيلة لهم على هذا الطّريق. فهذا هو معنى قوله تعالى هنا: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا﴾. ولما كان المسلمون سيتساءلون حينئذ: فما هو الموقف الذي ينبغي علينا أن نقفه؟ وقد أجاب الله تعالى على سؤالهم المذكور في الآية التّالية التي استهلّها بحرف الاستثناء (إلا) وقال ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾. بمعنى أنّ من واجبكم الالتزام بمضمون هذه الموعظة، وأنتم متيقّنين أنّه من غير المعقول أن يذركم ربّكم وحدكم، وهو الذي كان قد توعّد هؤلاء الذين اتّخذوا لله ولدا بإنزال عذابه بهم في الآيات الأربعة الأولى من سورة الكهف، وأنّ عليكم انتظار ما يشاء الله فعله. ومن ثمّ أتى تعالى بواو العطف وأضاف يأمر ويقول ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾. أي واذكر أيها المسلم الصّادق في إيمانه بأنّك مشمول برعاية ربّك. وما دام تعالى قد حذّرك من خطر فتنة هذا المسيح الدّجّال، فإنّ من واجبك تقديم مشيئة ربّك على مشيئتك. ومن ثمّ أتى الله تعالى بواو العطف للمرّة الثّانية، وأضاف وقال ﴿وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّى لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا﴾.

أي وليكن ظنّك بربّك عظيماً، فهو القادر أن يهديك طريق النّجاة، ويرشدك إلى طريق الانتصار على هذا العدوّ اللّدود. ومن ثم أوصى الله عز وجلّ في الآيتين 27/ 28 وقال ﴿ وَٱتْلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٧﴾ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴾. أي أنّ الله عز وجلّ أوصى المسلم أن يثابر أيّام نهضة المسيحيين وطغيانهم، أوصاه أن يثابر على تلاوة آيات كتاب ربّه، ومتيقّنا بأنّ ما توعّد الله تعالى به هؤلاء الذين اتخذوا الله ولدا واقع لا محالة. فإلى هذه الحقيقة أشار قوله تعالى ﴿ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ﴾ ومُتْبعاً إياه بإشارة وقف لتأكيد هذا الوعد. وقد أضاف جلّ شأنه وقال ﴿ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴾ أي ولن تجد أيها المسلم الصّادق في ايمانه يومئذ ملجأ يأويك ويصونك من ويلات هؤلاء الجبابرة الظّالمين. كما أوصاه أن يلتزم جانب الذين يدعون ربّهم بالغداة والعشيّ ليجنّبهم ويلاته، وأمره ألا يُطِع من أغفل الله عز وجلّ قلبه عن تذكّر هذا الوعيد المشار إليه، بسبب أنّ حاله أمسى اتّباع هوى نفسه، ﴿ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴾. أي عاد ينتهج سبيل العنف وحبّ زينة الحياة الدّنيا، وبذلك يضيع جهوده وحياته بلا جدوى ولا طائل تحتها.

وانتهى الله جلّ شأنه من بعد ما أوصى به ليقول في الآية 29: ﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّآ أَعْتَدْنَا

لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴾. فهو أتى بواو العطف وقال ﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ﴾ ووضع تعالى إشارة وقف بعد قوله المذكور، ليتوقّف القارئ المسلم عن التّلاوة وليمعن فكره في مضمون هذه الفقرة التي تعني أنّ جميع ما أنبأ تعالى به وجميع ما أوصى به هو قول ثابت وصدق وعدل. لذلك أتى تعالى بفاء الاستئناف وقال ﴿ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾. أي فمن شاء منكم معشر المسلمين الذين تعاصرون زمن نهضة المسيحيّة الثّانية أن يؤمن بهذا الكلام فليؤمن. ومن شاء منكم أن يكفر بحقيقة هذا الكلام، فليكفر به ولينكر صدقه. ويكفي أن نقول له ﴿ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ ﴾. بمعنى أننا هيّأنا لهؤلاء الظّالمين الذي يسعون إلى بسط نفوذهم على شعوب الأرض ظلما وتجاوزا، قد هيّأنا لهم (نارا) أي حربا جهنّميّة (محيط المحيط) قادمة تحيطهم بنارها وغبارها السّاطع ودخانها المرتفع من كلّ جانب. وبحيث تقضي على جميع زعاماتهم وساءت مرتفقا. وهنا وبعد هذا الوعيد الموجّه إلى كلّ من يكفر به وبحقيقته وبالحرب الجهنّميّة القادمة. فقد راح الله جلّ شأنه يبشّر الذين يؤمنون بجميع هذه الحقائق ويعملون الصّالحات وقال ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴾. وراح تعالى يعدّد ما أعدّ لهؤلاء المؤمنين من خير، ومعبّراً جلّ شأنه عمّا أعدّه للمؤمنين بأسلوب الكنايات والاستعارات، خلاصته أنّ الله تعالى

سيورثهم ممالك أعدائهم ويجعلهم حكّاما لتلك الأقطار، ويوفّقهم لإقامة نظام اجتماعيٍّ قائم على أسس قانونيّة مثاليّة وسطا ما بين الاشتراكيّة والرأسماليّة، وليشكّل هذا النّظام نظاما عالميّا جديدا قائما على العدالة والمساواة، وليحقّق الطّمأنينة والأمن والسّلام في العالم. وقد أنهى تعالى ما بشّر به هؤلاء المؤمنين وقال ﴿ نِعْمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴾. قال هذا في مقابل ما كان قد أنهى به وعيده الموجّه إلى الظّالمين وقال هناك ﴿ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴾.

فإلى هنا يكون الله عز وجلّ قد أنبأ عن نهضة مسيحيّة ثانية وعمّا سيؤول إليه حالها من مصير. كما يكون الله تعالى قد أنبأ عن نشوء جماعة مؤمنة تتشكّل زمن النّهضة المسيحيّة المشار إليها، وتكون مؤمنة بما أوردته آيات سورة الكهف من حقائق وأنباء، بعيداً عن المفاهيم المغلوطة التي توارثها المسلمون والواردة في التّفاسير القديمة تلك التي فسّرت سورة الكهف وكأنّها سورة أعاجيب. وأنّ المسلمين الذين يبتعدون عن مفاهيمها، يقعون فيما تأمره أهواؤهم ويكون الله عز وجلّ قد أغفل قلوبهم عن ذكره تعالى وذكر أنبائه المستقبليّة، ولذلك يميلون لاستعمال العنف أداة في سبيل مقاومة طغيان أصحاب النّهضة المسيحيّة المنبأ عنها، وأنّ الله عز وجلّ لا يوفّقهم فيما اختاروه من سبيل، بل يجعل أمرهم فُرطا، أي بذل جهود طائلة، ولكن بدون جدوى ولا طائل تحتها. وإننا، واستنادا لهذا الفهم الذي بيّناه من قبل، نكون قد أمسكنا بطرف الخيط الذي يؤدّي بنا إلى الكشف عن النّبوءة الرابعة المتوخّاة والتي يثبت من خلالها الإنباء عن بُعثتين للإسلام، وهو ما نسعى لإثباته فيما نبحثه في

مؤلّفنا هذا. ولذلك نتقدّم خطوة أخرى بعد الذي علمناه، ولنلاحظ ما أورده الله تعالى بعد ذلك من حقائق وبيّنات وأنباء مستقبليّة.

فالذي نلاحظه هو أنّ الله جلّ شأنه قد قدّم في الآية 32 من سورة الكهف هذه للمسيحيّين وللمسلمين الذين تكلّم عنهم فيما مضى، وفي آن واحد، مثالا جنّتين من الأعناب مزروعتين ومحفوفتين بنخل لصدّ الأذى عنهما. وأنّ كلا الجنّتين ﴿ءَاتَتْ أُكُلَهَا﴾. فهذا المثال الوارد ضمن هذا التّسلسل الموضوعي لما أتى الله عز وجلّ على ذكره، هو مثال يستوقفنا لنحيط بدلالاته علما. فالمعلوم هو أنّ الله تعالى، وبعد أن أخبرنا عن نشوء نهضة المسيحيين الثّانية، وعن حال تخلّف المسلمين في تلك الفترة من الزمان، والوصايا الموجّهة إليهم ليلتزموا بها في تلك الأيّام. فقد أورد الله تعالى هناك مثلا وذلك في الآيات 32 ـ 34 التي قال فيها ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَٰهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴿٣٢﴾ كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْـًٔا ۙ وَفَجَّرْنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرًا ﴿٣٣﴾ وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾. علما بأنّ كلمة (مثلا) تعني شيها ونظيرا ويُجمع على أمثال (محيط المحيط). وإنّ الله تعالى في هذا المثال الذي ضربه قد شبّه حال نهضتي المسيحيّة قبل الإسلام وبعده بجنّتين من أعناب محفوفتين بنخل. وأنّ كلتا الجنّتين قد آتت أُكُلها. وهو تشبيه بليغ حقّا. فالمسيحيّة قبل ظهور الدّين الإسلاميّ الحنيف كانت لها دول ذوات نظام سياسيّ معيّن وذوات جيوش قويّة تحمي حدودها. فكانت أشبه بالجنّة المزروعة أعنابا ومحفوفة بنخيل أيضاً يحمي حدودها من اجتياح العواصف إيّاها. ثم إنّ المسيحيّة في

نهضتها المعاصرة مؤلّفة هي أيضاً من مجموعة دول ذوات نظام سياسيٍّ معيّن. وذوات جيوش قويّة تحمي حدودها. فهي أشبه بالجنّة المزروعة أعنابا ومحفوفة بنخيل يحمي حدودها. وعليه فإنّه تعالى قد شبّه نهضتي المسيحيّة بجنّتين لرجل يحاور رجلا آخر له زرع ما بين هاتين الجنّتين. وقد شبّه تعالى الزرع الكائن ما بين هاتين الجنّتين والذي يعود إلى رجل آخر غير صاحب الجنّتين، قد شبّهه بتفجير نهر ما بين هاتين الجنّتين. وأنّ هذا النّهر المشار إليه كان له ثمرٌ أيضاً. وهذا التّشبيه الأخير فهو يشير إلى ظهور الدّين الإسلامي الحنيف ما بين جنّتي المسيحيّة هاتين

وما دمنا قد أحطنا علما بدلالات هذا التّشبيه البليغ وبمراميه التي قصد تعالى أن ينبّه أذهاننا من خلاله إلى تلك الدّلالات. فحريٌّ بنا أن نقف عند هذا التّشبيه الذي أورده تعالى في هذا المقام لنقلّبه على أوجهه ولنعتبر بما وراءه من حقائق ودلالات.

فالملاحظ هو أنّ الله عز وجلّ كان قد وعظ جماعة المؤمنين أن يلتزموا جانب المسالمة مع أصحاب النّهضة المسيحيّة الثّانية، وأن يبتعدوا عن وسيلة العنف التي لن تجديهم نفعاً، وأن يلتفتوا إلى ذكر ربّهم وانتظار ظهور آثار مشيئة ربّهم عز وجلّ. وأنّه تعالى أوصاهم في الآيتين 37/ 38 بالدّأب على تلاوة كتاب ربّهم، وبالصّبر مع الذين يدعون ربّهم بالغداة والعشيّ يريدون وجه ربّهم. وأن يعتزلوا الذين أغفل الله قلوبهم عن ذكره ممّن اتّبعوا أهواءهم. وإنّ هذه الوصايا والمواعظ تدلّ دلالة واضحة على أنّ مسلمي عصر التّخلّف الذين يعاصرون نهضة المسيحيّة الثّانية يكونون متطرّفين في فهمهم لتعاليم

الإسلام وبعيدين عن حقائق هذه المواعظ المشار إليها في الآيات التي سبقت هذا التّشبيه البليغ الذي أوردناه.

وبألفاظ أخرى فكأنّ الله عز وجلّ قد أراد أن يشير من خلال مواعظه المشار إليها، إلى نشوء جماعة مؤمنة في تلك الفترة الزمنيّة وقد تأسّست مستقلّة، وبعيدة عن منهج العنف، وموقنةً بكلّ ما أنبأ الله تعالى عنه من حقائق وأنباء مستقبليّة تخصّ أصحاب النّهضة المسيحيّة الثّانية. ومن ثمّ وفي الآيات التي بعدها فقد نبّهنا ربّنا جلّ شأنه إلى أنّ صاحب الجنة المسيحيّة راح يقول في نفسه ومعتقداً عدّة اعتقادات، **فأوّل هذه الاعتقادات** هو ما عبّر تعالى عنه ﴿مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا﴾. **وثاني** الاعتقادات عبّر تعالى عنه ﴿وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً﴾. وثالث الاعتقادات التي اعتقدها المسيحيّون، قد عبّر تعالى عنه قولهم ﴿وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا﴾. ومن ثمّ بيّن الله عز وجلّ معتقد جماعة المؤمنين من أصحاب النّهر الإسلامي الذي فجّره تعالى على حدود الجنّتين، منبّها إلى أنّهم بعيدون عن الشّرك بأنواعه، ومعتقدين بأنّه لا يجري شيء في هذا الكون بغير أمر الله تعالى، ومعترفين بأنّهم يمثّلون أقلّية في المال والولد، لكنّهم آملين من الله ربّهم أن يُرسلَ على جنّة هؤلاء المتجبّرين ﴿حُسْبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا﴾ أي عذابا ونارا وذلك مصداقا للوعيد الذي توعّدهم به خالقهم في الآية الرابعة من سورة الكهف. وقد أخبر تعالى في الآيتين 42/ 43 كيف ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ﴾ و ﴿وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا﴾. وانتهى تعالى من ذلك ليقول في الآية 44 وما بعدها ﴿هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا﴾.

و﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴾. وأنّ ﴿ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴾. وراح تعالى في الآية 49 يصف الحال الذي آل إليه من تبقّى من أصحاب الجنّة الثّانية المجرمين، ﴿ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾. ومن ثمّ ذكّر الله جلّ شأنه هؤلاء المجرمين بإبليس الذي كان قد فسق عن أمر ربّه وبالعاقبة التي آل إليها. وكيف أنّهم أيقنوا بأنّ النّار واقعة بهم ولم يجدوا عنها مَصرفا. وانتهى تعالى ليقول في الآية 54 ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴾. وأما في الآية 56 قال: ﴿ وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۚ وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ وَٱتَّخَذُوٓا۟ ءَايَٰتِى وَمَآ أُنذِرُوا۟ هُزُوًا ﴾. فصرّح تعالى من خلال مضمون هذه الآية الكريمة ومن طرف خفيٍّ إلى أنّ الذي أسّس الجماعة المؤمنة بقدرات الله تعالى ومصداقيّة إنذاراته وأنبائه سبحانه والمذكورة من قبل، أنّها تأسّست على أيدي مُرسل من الله تعالى، الذي هو واحد من (المرسلين المبشّرين والمُنذرين)، وأنّ هذا المُرسل قد ذكّر المسلمين وغيرهم بما تضمّنتها آيات ربّهم من إنذارات وتوعّدات وأنباء، ولذلك قال تعالى في الآية 57 ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِىَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ۚ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۖ وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا ﴾. وهكذا يكون الله عز وجلّ، ومن خلال هاتين الآيتين الأخيرتين قد كشف اللّثام عن وجه بعثة إسلاميّة ثانية تأسّست على أيدي مُرسل ربّاني، وتعاصر زمن نهضة المسيحيّة الثّانية التي نُعاصرها جميعاً. وهو ما سعينا لإثباته في هذا

الفصل من الكتاب. وهنا فقد كان من واجب القارئ المسلم أن يُطالع ما ورد في (في ظلال تفسير سورة الكهف) ما أورده الله جلّ شأنه من حقائق تُثبت مصداقيّة وجود بعثة إسلاميّة ثانية في الإسلام. وذلك ابتداء من تفسير الآية **61** وانتهاء بالآية **82** تلك الآيات التي تكلّمت عن إسراء موسى عليه السّلام، وما تضمّنه من أسرار غيبيّة، كما أوّلت تلك الآيات ما ورد في الإسراء المذكور.

ومن ثمّ وابتداء من الآية **83** وحتّى الآية **98** ليلاحظ هذا القارئ كيف أنّ الله تعالى قد صاغ كلامه عما يحدث على أيدي صاحب البعثة الإسلاميّة الثّانية من أمور هي في صالح الإسلام. وقد صاغ تعالى ذلك كلّه صياغة بلاغيّة معجزة. ولكنّه استهلّها بما ينبّه من خلاله إلى حقيقة ما يقوله، فقال ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا﴾. وقد راح تعالى يخبرنا عمّا يواجهه (ذو القرنين) من أمور غربا وشرقا والذي تبادر من مضمون هذه الآية إلى ذهن المفسّرين منه أنّ الله تعالى تكلّم عن الاسكندر المقدوني. على حين أنّ الله جلّ شأنه قد راح يتكلّم عن صاحب البعثة الإسلاميّة الثّانية. وبدليل مصطلح ﴿ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ﴾، الذي قد أشار تعالى من خلاله إلى حديث رسول الله القائل (إنّ الله يبعث لهذه الأمّة على رأس كل مائة سنة مَن يُجدّد لها دينها). وهو حديثٌ متّفقٌ عليه. وفي الآيتين **93/ 94** أخبر تعالى وقال ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾ قَالُوا۟ يَـٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴾. ومن ثمّ بيّن تعالى ما قام به

ذو القرنين. فمن شاء فهم هذه الحقائق بالتّفصيل، فليراجع (في ظلال تفسير سورة الكهف) فهو كتاب وضّح ذلك كلّه قدر الإمكان.

وبعد أن أثبتُّ وجود هذه النّبوءة الرابعة التي يثبت من خلالها وجود بعثتين في الإسلام. فقد سمّى الله عز وجلّ صاحب البعثة الإسلاميّة الثّانية هذا باسم (ذو القرنين). إشارة إلى أنّ هذا المبعوث هو في حقيقة أمره أحد مجدّدي الأمة الإسلاميّة، لكنّه لا يظهر على رأس القرن الهجري الذي يعاصره وحسب، بل يكون على رأس كلّ تقويم معاصر له أيضاً. وأنّ الله عز وجلّ كان قد قدّر أن يكون هذا المجدّد نفسه مجدّد قرنين لعظم مهمّته. وأنّ هذه النّبوءة الرابعة مستقاة من آيات سورة الكهف التي أنبأت عن نهضة ثانية للمسيحية تحدث من بعد ظهور الدّين الإسلاميّ. وأنّ أصحاب هذه النّهضة المسيحيّة الثّانية، لن يستفيدوا من نهضتهم هذه ليعودوا عن زعمهم بأنّ لله ولد، ولا يستفيدون من هذه الرحمة الإلهيّة التي أحاطت بهم، بل يتجاوزون قدرهم ويطغون ويظلمون ويسعون للهيمنة على العالم كلّه. وبحيث استحقّوا أن يُطلق عليهم محمّد رسول الله صلى الله عليه وسلم في أحاديث كثيرة اسم (الدّجّال) وفي أحاديث أخرى (فتنة الدّجّال)، وعلى حسب ما ورد في حديث شريف عنون به ابن كثير تفسيره المسمّى بتفسير ابن كثير عنون به سورة الكهف وهو حديث نقله ابن كثير عن كتاب مسلم والنّسائي والتّرمذي للأحاديث، وهو (مُن حفظَ عشر آيات من أوّل سورة الكهف عُصِمَ من الدّجّال) وحديث (مَن قرأ العشر الأواخر من سورة الكهف عُصِمَ من فتنة الدّجّال).

الفصل الخامس:

دلالات مصطلحات سورة الكهف

ولا ينبغي أن نمرّ على هذه التّسميات والمصطلحات التي ذكرناها والواردة في آيات سورة الكهف مرور الكرام. بل إنّ من واجبنا أن نحيط علماً بدلالاتها وعلى وجهها الحقيقيّ. كذلك ينبغي أن نحيط علماً بالاصطلاح الوارد في حديثي رسول الله، خصوصاً وأنّ محمّداً ﷺ قد آتاه ربّه جوامع الكلم. فمن هنا فلا يُعقل بأنّه ﷺ قد أورد كلمة (الدّجّال) و (فتنة الدّجال) إلا بدلالاتها اللّغوية العريقة. ومن هذا المنطلق كان من واجبي توضيح دلالات مصطلحات (يأجوج ومأجوج) و (وذو القرنين) و (الدّجّال، وفتنة الدّجّال).

وأحاول بدايةً توضيح دلالة هذا المصطلح المحمّدي وهو كلمة (الدّجّال) التي اصطلحها ﷺ كاسم من جانبه أطلقه على أصحاب هذه النّهضة المسيحيّة الثّانية المعاصرة. فهذه الكلمة المذكورة اشتُقّت من قولك: 1ـ دجلَ فلانٌ معناه كذب. 2ـ فإن قلتَ: دجل فلانٌ الأرضَ معناه قطع نواحيها سيرا. 3ـ أو قلت: دجلَ فلانٌ الشّيء معناه غطّاه. 4ـ والدّجّال على وزن فعّال صيغة مبالغة وتعني الرفقة العظيمة.

5 ـ والدّجّال لقبُ المسيح الكذّاب الذي يظهر في آخر الزمان. وقيل اشتقّ اسم الدّجّال من دجل لأنّه يعمُّ الأرض ولكذبه ولقطعه نواحي الأرض. كما اشتقّ من التّدجيل لتمويهه الحقّ بالباطل. أو اشتقّ من الدُّجال أي الذّهب لأنّ كنوز الأرض تتبعُه. أو من الدّجّالة وهي الرفقة العظيمة. أو من دُجَّل النّاس لأنّ النّاس يتبعونه. ويُجمع على دجاجلة ودجّالون، بمعنى أنّهم كذّابون مموّهون (محيط المحيط).

واستناداً إلى هذه المعاني والدّلالات، يكون محمّد رسول الله ﷺ حين سمّى أصحاب النّهضة المسيحيّة الثّانية باسم (الدّجّال) فقد قصد من هذه التّسمية أنّ روّاد النّهضة المذكورة قد استحقّوا هذه التّسمية من باب أنّهم *أولاً* ـ يشتهرون بالكذب. وأنّهم *ثانياً* ـ يقطعون وجه هذه الكرة الأرضيّة من جميع نواحيها. و أنّهم *ثالثاً* ـ يموّهون الحقّ بالباطل. *ورابعاً* ـ أنّهم يشكّلون رفقةً عظيمة تضمّ أقطارا عديدة من سكّان الكرة الأرضيّة. وأنّهم *خامساً* ـ يستقطبون النّاس وإلى درجة يُصبح هؤلاء المستقطبين من أتباعهم ومن عملائهم بصورة فعليّة.

وانطلاقاً من هذه المعاني والدّلالات الخمسة التي تضمّنتها كلمة (الدّجّال) والمعرّفة بأداة تعريف تفيد معهودا ذهنيّا هو أصحاب النّهضة المسيحيّة المعاصرة، فقد لزم من ذلك أن نفهم من مضامين جميع الأحاديث الشّريفة التي أخبرتنا عن (الدّجّال) وأفعاله، أن نفهمها على ضوء مُعطيات هذه المعاني الخمسة التي أسلفنا ذكرها، وليس أن نفهمها على أنّها تشير إلى شخص بعينه. وعليه فإنّ الذين يفهمون أنّ اسم

(الدّجّال) يشير إلى شخص بعينه، لا يكونون قد أعطوا هذه التّسمية حقّها من الدّلالة. وبالتّالي يُسيئون إلى محمّد رسول الله ﷺ نفسه الذي اصطلح هذه الكلمة في أحاديثه التي أفادت أنّ من حفظ الآيات العشرة الأوائل من سورة الكهف يُعصمون من الدّجّال.

وهنا يعرض سؤال يطرح نفسه، وهو: كيف نطبّق وصف كلمة (الدّجّال) بمعانيها الخمسة التي أتينا على ذكرها وذلك على أصحاب النّهضة المسيحيّة المعاصرة المنبأ عنها في سورة الكهف؟وكيف نفهمها على صورة تتّفق في وصفها ودلالاتها مع هؤلاء الذين نعاصرهم من الأوروبّيين والأمريكيّين خاصّة؟

فأقول: أما **المعنى الأوّل** لهذه الكلمة (الدّجّال) المشتق من دجلَ بمعنى كذب. فهو معنى قد أثبتت الوقائع التّاريخيّة بأنّه انطبق على شعوب الغرب الأوروبيّة والأمريكيّة. إذ أنّهم كانوا قد وعدوا زعماء الأمّة العربيّة قبل الحرب العالميّة الأولى بأنّهم سيمنحونهم استقلالهم ويدَعونهم يحكمون بلادهم بأنفسهم مستقلين، إن هم تمرّدوا على الحكم العثماني. لكنّ التّاريخ قد أثبت بأنّهم كذبوا على زعمائنا وغدروا بهم، وتقاسموا بلاد العرب خفية بينهم، وجعلوها مناطق نفوذ لهم، واستعمروهم أيضاً. وهي حقيقة قد تكرّرت في شبه القارة الهنديّة وغيرها من مناطق الأرض ممّا لا حاجة بي للتّفصيل فيها. هذا وإنّ أيامنا هذه قد أثبتت هذه الحقيقة من جديد. فأصحاب هذه النّهضة الحديثة يزنون الأمور بميزانين وبمعيارين. فهم يغتصبون حقوق الشّعوب

من جهة وينادون بالدّيموقراطيّة والعدالة من جهة أخرى. وكأنّهم يمثّلون الدّيموقراطيّة والعدالة في العالم. وعليه فإنّ زعماء النّهضة المسيحيّة المعاصرة قد اتّصفوا بصفة الكذب يقينا.

وأما اتّصافهم **بالمعنى الثّاني** لكلمة (الدّجّال) وهو أنهم يقطعون وجه الأرض. فهذا المعنى أمسى من المسلّمات لدى النّاس قاطبة. وذلك بسبب أنّ الثّورة الصّناعيّة قد أسفرت عن اختراع وسائل نقلٍ متنوّعة من جانب شعوب قارتي أوروبة وأمريكة كالطّائرات والسّيارات والبواخر والقطارات. وإنّ وسائل النّقل هذه قد ساعدتهم بصورة عمليّة على الوصول إلى أقاصي الأرض وفي مختلف الاتّجاهات.

وأما اتّصافهم **بالمعنى الثّالث** لكلمة (الدّجّال) وهو عمليّة تمويه الحقّ بالباطل. فحدّث عن هذا ولا حرج. فأصحاب هذه النّهضة المسيحيّة الثّانية قد قاموا بعمليّة تمويه الحقّ بباطل، على مختلف صعد الحياة. فقد سرقوا علوم مخطوطات الأمّة العربيّة في الأندلس وغيرها من البلدان فاستفادوا منها، وموّهوا سرقاتهم تلك بأنّهم قد نسبوا كلّ شيء سرقوه منها من حقائق علميّة إلى أنفسهم. وهذه حقيقة باتت معروفة لدى جميع الباحثين المحايدين الشّرفاء. ونفس هذا الشّيء فعلوه على بقيّة صُعد الحياة وفي كلّ مكان وصلوا إليه. فحكوماتهم تدّعي الإنسانيّة، على حين تدعم الصّهيونيّة في فلسطين وتتستّر على مجازرها. وها أنّهم قد خرقوا الشّرائع والقوانين الدّوليّة، واحتلّوا العراق، بحجّة أنّهم تارة يريدون القضاء على سلاح الدّمار الشّامل

الذي لدى صدّام. وتارة بحجّة أنّهم يسعون لنشر روح الدّيموقراطيّة في العراق. ونفس هذا فعلوه في أفغانستان.

وأمّا اتّصافهم **بالمعنى الرابع** لكلمة (الدّجّال)، ودلالتها على الرفقةٌ العظيمة. فهذه حقيقة واقعة. إذ أنَّ أجداد شعوب الأمريكتين كانوا هاجروا من القارة الأوروبيّة، ولذلك فأصولهم واحدة. ولهذا السّبب فإنّهم يتفاخرون جميعا بحضارة واحدة. وهم يشكّلون (رفقة عظيمة) وعليه فإنّه يصحّ أن تقول عنهم بأنّهم (رفقةٌ عظيمة) فهم جميعهم رفاق درب واحد، ورفاق دين واحد، ورفاق تهذيب واحد.

وأما اتّصاف أصحاب النّهضة المسيحيّة الثّانية **بالصّفة الخامسة** التي هي من صفات (الدّجّال)، والتي تعني عمليّة استقطاب النّاس ليُصبحوا عملاء لهم وأتباعاً. فهي صفةٌ باتت معروفة لدى شعوب الأرض كلّها أيضاً. فعملاء دوائر مخابرات الأمم الغربيّة منتشرين في كلّ قطر من أقطار العالم بقصد التّجسّس على تلك الأقطار، وبقصد شراء العملاء والأتباع بالأموال وبشتّى أنواع الإغراء المشروعة وغير المشروعة. وخاصّة قيام هؤلاء باستقطاب حكّام كلّ قطر يصلون إليه سرّا أو علانية. حتى بات الأخ في البيت الواحد من جرّاء ذلك يخشى أن يكون أخوه عميلاً.

وعلى هذه الصّورة أكون قد أجبت على السّؤال الذي طرح نفسه آنفا وذلك من بعد اطّلاعنا على معاني ودلالات كلمة (الدّجّال) معرّفة بأداة المعهود الذّهني، وهو أنّ هذه المعاني والدّلالات تنطبق يقينا وجميعها

على أصحاب هذه النّهضة الغربيّة المعاصرة. وهنا كان لابدّ من التّنويه إلى أنّ المسيح وتعاليمه الإنسانيّة والسّلميّة والأخلاقيّة بريئة من تعاليم هذه الحضارة المسيحيّة المعاصرة التي تقشعرّ منها أبدان الملايين من البشر، من أفعالها المقزّزة والتي هي بعيدة عن مفاهيم الإنسانيّة. تلك التي لا تمتّ إلى مجموعة أخلاق المسيح النّاصريّ عليه السّلام التي نقلها إلينا كُتّاب الأناجيل المعاصرة بصلة من الصّلات يقينا. ويكفي أنّنا نسمع بين الحين والآخر أنّ البابويّة ومختلف كنائس بلداننا العربيّة تذمُّ أفعال هذه (الرفقة العظيمة) التي تشكّلها دول أمريكا وبعض دول أوروبة، والتي تسعى حثيثا إلى الهيمنة على العالم. واستقطاب أموال العالم قاطبة بين يديها. كما يذمون أخلاقها وبُعدها عن أخلاق المسيح عليه السّلام.

وقبل أن أنتقل لشرح مصطلح (يأجوج ومأجوج). أذكّر القارئ المسلم بنقطة اختلاف وردت ما بين الحديثين الشّريفين المتعلّقين بسورة الكهف. فالحديث الأول ورد فيه أنّ (مَن حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عُصمَ من الدّجّال) على حين أنّ الحديث الآخر ورد فيه (من قرأ العشر الأواخر من سورة الكهف عُصم من فتنة الدّجّال) فعصمة المرء في الحديث الأوّل كانت من الدّجّال لقوله ﷺ (عُصم من الدّجّال) على حين أنّه ﷺ قال إنّ عصمة المرء في الحديث الثّاني ليست من الدّجّال، بل من فتنة الدّجّال. لقوله (عُصم من فتنة الدّجّال). وهذا الاختلاف الذي، لا ينتبه إليه إلاّ الباحث المدقّقُ، يدعونا لمراجعة دلالات كلمة (فتنة) في معاجم اللّغويّين، ومن منطلق أنَّ محمّدا رسول الله ﷺ قد آتاه ربّه جوامع

الكلم. فقد أورد صاحب معجم (مقاييس اللّغة) يقول: (الفاء والتّاء والنّون أصلٌ صحيحٌ يدلّ على ابتلاء واختبار من ذلك الفتنة. يقال فتنته إذا امتحنته. وهو مفتون. والفتّان: الشّيطان). وورد في معجم (محيط المحيط) قوله: فتنه معناه أعجبه. وفتن المال النّاس معناه استمالهم. وفتنت المرأة فلانا معناه دلّهته. وفُتن الرجل على المجهول في دينه معناه مال عنه. وفتن (الدّجال) فلانا معناه أضلّه. والفاتن معناه اللّص والمضلُّ عن الحقّ والشّيطان. والفتنة مصدر ومعناه الخبرة والابتلاء والضّلال، الإثم، الكفر، الفضيحة، العذاب، المرض، الجنون، المحنة، العبرة المال والأولاد. والفتنة أيضاً تعني اختلاف النّاس في الآراء، وما يقع بينهم من القتال. وقال في التّعريفات: الفتنة ما يبيّن به حال الإنسان من الخير والشّرّ يُجمع على فتن.

واستناداً إلى دلالات كلمة فتنة الواردة في الحديث الثّاني، نضطرّ إلى مراجعة الآيات العشرة الأخيرة من سورة الكهف. فإن نحن راجعناها يتبيّن لنا أنّه ما إن فرغ الله عز وجلّ من الكلام عمّا يصفه (ذو القرنين) من وصفة ناجعة للخلاص من شرور أقوام (يأجوج ومأجوج) والتي هي أقوام شرقي أوروبة وغربيها والمهاجرين منها إلى القارة الأمريكيّة، وعلى حسب ما أثبتناه سابقا، نلاحظ بأنّ الله عز وجلّ يقول في الآيات العشرة الأخيرة من سورة الكهف: ﴿وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَافِرِينَ عَرْضًا ۝ الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَن ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ۝ أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن يَتَّخِذُوا

عِبَادِي مِن دُونِيٓ أَوْلِيَآءَ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ نُزُلًا ﴿١٠٢﴾ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا۟ وَٱتَّخَذُوٓا۟ ءَايَٰتِى وَرُسُلِى هُزُوًا ﴿١٠٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾ قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴾.

ويستوقفنا قول الله تعالى ضمن هذه الآيات العشرة الأواخر من سورة الكهف، قوله ﴿ أَفَحَسِبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن يَتَّخِذُوا۟ عِبَادِى مِن دُونِيٓ أَوْلِيَآءَ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ نُزُلًا ﴾. والذي يتبادر لذهن القارئ من قوله تعالى ﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ ﴾ ولأوّل وهلة أنّ الله تعالى يقصد الذين اتّخذوا لله ولدا. علما بأنّه لو كان يقصد ذلك، لكان الأحرى أن يقول تعالى (الذين أشركوا) وليس أن يقول ﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ ﴾. فالذين كفروا من المسيحيّين لم يتّخذوا المسيح وليّا من دون الله بل ولدا لله تعالى. ثمّ إنّ المسيح اسم مفرد بينما كلمة (أولياء) وردت بصيغة الجمع. ولهذين السّببين فلا ينبغي أن نصرف ضمير ﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ ﴾ إلى المسيحيّين في هذه الآية الكريمة. بل أن نصرفه إلى المسلمين المسرفين في المعاصي زمن تخلّف المجتمعات الإسلاميّة. هؤلاء الذين صدّوا وضجّوا من سماعهم

ببعثة المجدّد (ذو القرنين) الذي هو مثيل ابن مريم والذي بعثه الله تعالى من أجل إعادة الوجه الحقيقي لتعاليم الإسلام، ولتأليف جماعة إسلاميّة مؤمنة جديدة تعي بصورة يقينيّة بأنّ محمّدا رسول الله ﷺ عندما حذّر من (فتنة الدّجال)، فقد قصد أنّ أصحاب النّهضة المسيحيّة الثّانية يشكّلون (فتنة) للمسلمين بسبب مدى إعجاب المسلمين المتخلّفين بما وصل إليه هؤلاء من قوّة وحضارة ورقيٍّ علميّ. وأنّ أصحاب هذه النّهضة المسيحيّة الثّانية يمتحنون هؤلاء المسلمين في مدى إيمانهم بدينهم، ويستميلونهم إليهم ويضلّونهم، ويعود هؤلاء المسلمين بالتّالي أتباعا لهم ويتّخذونهم أولياء لهم من دون الله تعالى بصورة عمليّة. فهذا هو حال أكثريّة مسلمي عصرنا الحاضر المعاصرون. فإلى هذه المعاني والدّلالات وردت كلمة (فتنة) في الحديث الثّاني المتعلّق بالآيات العشرة الأواخر من سورة الكهف. وبالتّالي فإنَّ محمّدا رسول الله ﷺ يكون قد حذّر أمّته من أن تُبهرها حضارة هذه النّهضة المسيحيّة الثّانية. كما حذّر أمّته من أن تصبح حكوماتهم أعواناً وأتباعا لها. وعليه يتبيّن للباحث المحقّق كم أنّ محمّدا صلّى الله عليه وسلّم كان دقيقا في انتخابه لكلمة (فتنة) في حديثه المذكور وبعيدا عن أيّة كلمة أخرى بديلة، لا تؤدّي هذه المعاني التي دلّت عليها كلمتا (فتنة الدّجّال). لكن الأسف على مسلمي عصر التّخلّف أن يكفروا بهذا المجدّد الذي قد جعل الله عز وجلّ في الإيمان به رفعتهم ورقيهم وخلاصهم من تخلّفهم، وبالتّالي ظهور دينهم على الدّين كلّه.

وبعد أن شرحت للقارئ المسلم دلالة كلمة (دجّال) ودلالة كلمة (فتنة) وأسقطت المعاني على هؤلاء الذين أنذرتهم آيات سورة الكهف.

أنتقل من ذلك لأشرح للقارئ المسلم أيضاً دلالة هذا المصطلح القرآني (يأجوج ومأجوج)، فأقول: إنّ مؤرّخي أصحاب هذه النّهضة المسيحيّة المعاصرة يعلمون بصورة يقينيّة بأنّ شعوبهم هي شعوب آسيويّة الأصل، كان قد قهرهم كورش وهو ملك فارس وميديا في يوم من الأيام فهاجروا باتّجاه الشّمال وتوزّعوا شرقا وغربا وشكّلوا شعوب روسيا وأوروبة. وإنّ كلّ من يزور متحف لندن يلاحظ وجود تمثالين في أحد أجنحته كتبوا تحتها كلمتي **yagog and magog** وعلى أنّهما الرئيسان للقبائل الآسيويّة التي هاجرت إلى أوروبة وانتشرت فيها شرقاً وغرباً. وبألفاظ أخرى فإنّ شعوب القارة الأوروبيّة والأمريكية هي التي أورد القرآن الكريم لها اسم (يأجوج وأجوج). وهنا لزم أن نتعرف إلى الدّلالة اللّغويّة لكلمتي (يأجوج ومأجوج) على أنّهما مصطلحات قرآنيّة. وعليه فإن نحن قمنا بمراجعة المعاجم العربيّة نلاحظ بأنّ هاتين الكلمتين قد اشتُقا من قولك: أجّجَ فلانٌ النّار معناه ألهبها. وقولك: أجّج فلانٌ الفتنة معناه أثارها وحرّكها. من هنا ندرك بأنّ اختيار الله عز وجلّ تسمية أصحاب هذه النّهضة المسيحيّة المعاصرة بنفس تسميتهم التّاريخيّة القديمة المحتفظين هم أنفسهم بها في أحد أجنحة متحف لندن الحالي، إنّما هي تسمية تنطبق عليهم وعلى ما يصدر عنهم من أفعال في زماننا هذا بالذّات. فالعِرق دسّاس وعلى حسب قول المثل العامي في بلدنا.

فإن نحن حاولنا الآن معرفة مدى انطباق دلالة كلمتي (يأجوج ومأجوج) على هذه (الرفقة العظيمة) من أصحاب هذه الحضارة الغربيّة المعاصرة. يتبادر لأذهاننا فوراً تحقّق ظاهرتين على أيديهم:

فالظّاهرة الأولى تمثّلت في أنّ تلك الشّعوب قد تمكّنت من اختراع آلات حرب ودمار ما سبق للبشريّة أن عرفتها. وإنّ جميع آلات الحرب هذه مؤلّفة من معدن النّحاس والبارود. فمن صواريخ مختلفة المدى، إلى قنابل مختلفة الأوزان، إلى اختراع القنبلة الذّريّة والهيدروجينيّة ذواتا الدّمار الهائل، إلى مختلف أنواع المدافع الخفيفة والثّقيلة. وإنّ جميع هذه الأسلحة هي في حقيقتها وسائل تأجيج النّار في كلّ مكان استُعملت فيه. فمن هذه الجهة تصحّ تسمية أصحاب هذه الحضارة الغربيّة باسم (يأجوج ومأجوج). وأمّا **الظّاهرة الثّانية** فهي أنّ أيدي زعماء تلك الشّعوب التي تقطن في أمريكة وأوروبة، لها يدٌ طولى في إثارة جميع الفتن التي تحدث في مختلف أنحاء المعمورة. هذا وإنّ قيادات الشّعوب المشار إليها قد أثارت حتى الآن حربين عالميّتين أزهقت فيهما من النّفوس ما يزيد عدده عمّا أزهقت مختلف الحروب من النّفوس البشريّة والتي حدثت هنا وهناك على مدى تاريخ البشريّة.

واستناداً إلى وجود هاتين الظّاهرتين فمن المنطقيّ جدّاً أن نقول بانطباق دلالات كلمتي (يأجوج ومأجوج) على أصحاب هذه النّهضة المسيحيّة المعاصرة وذلك من الوجهتين التّاريخيّة واللّغويّة. وعلى أساس انطباق هذه التّسمية عليهم، يعود من السّهل على كل باحث ومفسّر الإحاطة بدلالة قول الله تعالى في الآية **94** من سورة الكهف والمتعلّقة بمهمّة المجدّد الإسلامي المكلّفة جهوده بالتّجديد على مدى قرنين من الزمان، والذي يستنجد به فئة طلاّب الحق للخلاص ممّا خيّم

على العالم من سحابة مفعمة بالفساد المنتشر في البرّ والبحر بما كسبت أيدي النّاس، أقصد قول الله تعالى في الآية المذكورة: ﴿قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴾. هذا القول الوارد في هذه الآية، والذي يتوق القارئ إلى فهم مضمونه ومضمون ما بعده من آيات، فأقول: ليس هذا المقام مناسبا لشرح جميع تلك الآيات الكريمة. ومن المناسب أن يراجع القارئ الكريم مؤلّفي (في ظلال تفسير سورة الكهف) ليجد تفصيل ما أراد الاطّلاع عليه من شرح لتلك الآيات. ومع ذلك أختصر له شرحها وأقول: إنّ الله عز وجلّ قد طالب الذين يؤمنون بهذا المجدّد (ذو القرنين) بالأمور التّالية:

أولاً ـ طالب الله تعالى المؤمنين بدعم وتأييد ما أتى به هذا المجدّد دعماً قويّاً.

ثانياً ـ كما طالبهم أن يتمسّكوا بالعمل على تعاليم الإسلام إلى درجة يصبحون معها كقطع من الحديد بين يديه.

ثالثاً ـ أن يتوجّهوا إلى التّقرّب من ربّهم بكلّ قوّة ووفق توجيه هذا المجدّد ليصبحوا رجالاً ربّانيّين.

فهذه هي الأمور الثّلاثة المطالب بها كل من يؤمن بهذا المجدّد (ذو القرنين)، ووفق منطوق تلك الآيات التي أشرت إليها. وبألفاظ أخرى فإنّ الله عز وجلّ يطالب هذه الفئة المؤمنة الجديدة أن تتحلّى بتعاليم الدّين الإسلاميّ الحنيف تحلّيا قوامه تقوى الله عز وجلّ.

الفصل السّادس:

خلاصة مضامين النّبوءات الأربعة

وبما أني قد عوّدت قارئ كتبي أن ألخّص له ما أكتبه. فكان لزاما عليّ هنا أن ألخّص له جميع ما تضمّنته هذه النّبوءات الأربعة سالفة الذّكر والتي أنبأت في نظري واجتهادي عن بعثة ثانية للإسلام، وتتعلّق بما يجري في زماننا الحاضر بالذّات. هذا الزمان الذي ضاعت فيه الخلافة الإسلاميّة. وتشتّت فيه المسلمون من جرّاء ذلك تحت عشرات الأسقف التي لا تردّ عنهم ما حملته رياح زماننا من أعاصير ومختلف أنواع المحن.

هذه النّبوءات الأربعة التي لم يحط بها علما أولئك الذين جهلوا منهجيّة القرآن الكريم وأصول تفسيره. ولا يتدبّرون الآيات القرآنيّة على ضوء المعطيات التّاريخيّة أيضاً. فلا يُعقل أن يقول الله عز وجلّ من جهة ﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ﴾. ويعد ويقول ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ ومع ذلك فلا يكون هذا القرآن العظيم قد اشتمل على أخبار كلّ شيء يجري في هذا الزمن الذي تغيّرت فيه خارطة العالم. فعلى حين كان علَمُ الإسلام يرفرف في يوم من الأيام على جنوب فرنسا وعلى الهند وغيرها من الأقطار. فقد عاد الكيان

الإسلاميّ محدودا في أقطار معدودة ولا تمثّل في الوقت نفسه تعاليم الإسلام وأخلاقه ونظامه.

ولقد كانت **النّبوءة الأولى** التي اشتملت عليها آيات سورة (هود) قد أنبأت عن ظهور ﴿شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾. وذلك من خلال مضمون الآية 17 التي قدّم الله عز وجلّ من خلالها الدّليل على مصداقيّة النّبوّة المحمديّة والتي قال تعالى فيها ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ ۚ فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ ۚ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾. وكنت أتيت على شرحها في حينه.

فالله جلّ شأنه قد نبّه أذهاننا من خلال مضمون الآية المذكورة إلى أنّ كلّ نبيٍّ قد جعله الله تعالى يُنبئ عن النّبيِّ الذي يأتي من بعده. ليكون هذا النّبيّ المُنبأ عن بعثته شاهدا على صدق النّبيّ الذي أتى من قبله. فانطلاقا من هذه الحقيقة فقد قدّر الله عز وجلّ أن يبعث الله تعالى من بعد محمّد رسول الله ﷺ ﴿شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾ أي من أمّته، وليكون مجدّد زمانه. فيشهد هذا المجدّد على صدق نبوّة محمّد ﷺ من منطلق أنّه قد أتى مصداقا لما أنبأ محمّد رسول الله عن بعثته. وإنّ المسلم الذي يطالع أحاديث محمّد رسول الله ﷺ لا يعثر على إنباء على أحد إلا على ظهور المهديّ والذي يكون مثيل ابن مريم ومن أمّته صلّى الله عليه وسلّم. وعليه فإنّ هذه النّبوءة القرآنيّة لابدّ وأن تنطبق عليه يقيناً.

ثمّ إنّ **النّبوءة القرآنيّة الثّانية** قد اشتملت عليها الآية الثّالثة من آيات سورة الجمعة التي أنبأ تعالى فيها عن بعثة مجددٍ يؤمن ببعثته من

سمّاهم ربّهم (الآخرين) لقوله تعالى ﴿وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣﴾ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ فالله جلّ شأنه قد نبّه أذهاننا من خلال مضمون هذه الآية المذكورة إلى أنّه جلّ شأنه وكما كان قد بعث في الأمّيين رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلّمهم الكتاب والحكمة، فإنّه جلّ شأنه سيبعث في ﴿وَءَاخَرِينَ﴾ رسولاً منهم يعلّمهم الكتاب الذي تلاه عليهم محمّد الأمّي ويعلمّهم الحكمة في تصريف أمور دعوة الإسلام. وبألفاظ أخرى فكأنّ الله عز وجلّ قد قدّر لاستمرار دعوة الإسلام بعثتين سماويتين بكتاب واحد وبتعاليم واحدة. وإنّ الحديث المأثور عن محمّد رسول الله ﷺ والوارد في التّفاسير القديمة للآية التي أوردناها، فإنّ الحديث المشار إليه قد وضّح لنا بصورة لا تقبل التّأويل بأنّ المبعوث في هؤلاء (الآخرين) سيكون من أصل فارسيٍّ، وليس من أصلٍ عربيّ. ولعلّ الحكمة من ذلك أنّ المسلمين الأعاجم يكونون زمن بعثته أشدّ تمسّكا وحبّا للإسلام من العرب أنفسهم وبصورة عمليّة. خصوصاً وأنّ الله عز وجلّ قد أورد كلمة (آخرين) في سورة النّساء الآيتان 133/ 134 مهدّدا أولئك النّاس الذين يتناسون المقصد من حياتهم والذين يلتفتون في الوقت نفسه إلى قضاء ملذّاتهم وإلى اتّباع شهواتهم. والذين ذكّرهم ربّهم في الآية 6 من سورة الأنعام بقدرات ربّهم التي لا تحدّ. وبيّن تعالى لهم أيضاً في الآيتين 26 ـ 29 بأنّه جلّ شانه لا يأسف أحدٌ من النّاس على هلاك الظّالمين إن حلّ بهم عذاب ربّهم عز وجل. وقد وصف تعالى حال المقرّبين منه بعد ذلك وما أعدّ لهم من نعماء وذلك في الآيتين 7/ 14 من سورة الواقعة.

فإن نحن تناولنا النّبوءة الثّالثة التي أنبأت عن بعثة إسلاميّة ثانية. والمتعلّقة ببعثة مثيل لابن مريم في الأمة الإسلاميّة وذلك بعد انقضاء أربعة عشر قرن من الزمان على البعثة المحمّديّة. نلاحظ بأنّ الله جلّ شأنه لم يورد تلك النّبوءة الثّالثة دفعة واحدة. بل نلاحظ بأنّه جلّ شأنه قد تدرّج في بيان تلك النّبوءة الثّالثة بصورة تدريجيّة. فمن تمهيد لها إلى تحذير للمسلمين من الحالة التي صاروا إليها. ومن ثمّ التّصريح بتلك النّبوءة الثّالثة بصياغة بلاغيّة معجزة. وقد أتى تعالى بذلك كلّه في السّور الكائنة ما بين سورتي الزخرف وسورة الفتح. فالذي نلاحظه هو أنّ الله عز وجلّ قد خاطب خلال السّور المشار إليها المسلمين بصورة عامّة محذّراً إيّاهم من محاولة إبداء أيّ شكل من أشكال النّفاق من حيث الاعتقاد والتّطبيق وأنذرهم وقال: ﴿وَسَوْفَ تُسْئَلُونَ﴾. وخلال السّور المشار إليها قد أخبر تعالى عن عصر تخلّف وانحطاط يصير إليه قوم محمّد ﷺ. وإلى درجة يحتاج معه إلى إصلاح أحوال الإسلام إلى بعثة مجدّد مثيل لابن مريم. وأنّ المسلمين ينسون حالهم حين يظهر المجدّد المشار إليه. فيضجّون من سماعهم ظهور مجدّد مثيل لابن مريم. على حين أنّهم كانوا ينتظرون نزول ابن مريم نفسه من السّماء استناداً لاعتقادهم الخاطئ بأنّ ابن مريم حيٌّ في السّماء. وهو الاعتقاد الخاطئ والذي يخالف معطيات آيات القرآن الكريم، وحسبما أثبت ذلك في مؤلّفين هما (هل مات المسيح على الصّليب؟) و (هل يقول القرآن الكريم بموت المسيح؟). وقد أدّى هذا الاعتقاد الخاطئ الذي رسّخه في أذهانهم المفسّرون القدماء إلى تكذيبهم مثيل ابن مريم المنبأ عن بعثته في سورة الزخرف. وهكذا فقد صوّر الله جلّ شأنه حال المسلمين الذين

يعاصرون بعثة مثيل ابن مريم الذي أرسله ربّهم ليكون حكما عدلا لهم لحسم ما بينهم من اختلافات وانحرافات عن معطيات تعاليم الإسلام الحقيقيّة. فبيّن تعالى أنّ حال هؤلاء المسلمين المتخلّفين سيتّصفون بما وصفهم به جلّ شأنه وذلك بدلا من أن يحاولوا أن يتبيّنوا صدق هذا المبعوث السّماوي. ولا يكتفون بتكذيبهم إيّاه، بل ويتباهون بما لديهم من علماء ولمجرّد الخصام، وليس بناء على المفاضلة ما بين الطّرفين من علم وبيّنات وتقوى حقيقيّة. وقد أخبر الله تعالى عن ظهور مثيل ابن مريم من أنّه يدعو هؤلاء المسلمين المتخلّفين إلى اتّباعه والسّير من ورائه وعلى اعتبار أنّ ما أتى به يمثّل الصّراط المستقيم الذي أتى به هذا القرآن المجيد. وأنّه ينهاهم في الوقت نفسه عن الالتفات إلى أصحاب النّهضة المسيحيّة الغربيّة المنبأ عن ظهورها، ومبيّنا لهم بأنّ هؤلاء هم أنفسهم أولئك الذين اصطلح محمّد رسول الله على تسميتهم في أحاديثه المأثورة باسم (الدّجّال) و (فتنة الدّجّال). وقد راح الله عز وجلّ في الآية الأخيرة من سورة (الفتح) يشبّه حال مثيل ابن مريم المذكور وحال أتباعه من جماعة المؤمنين بما يشبه حال شجرة الإسلام التي أجتُثّت من فوق الأرض، وبقيت جذورها تنبض بالحياة. فإنّ تلك الشّجرة التي يمثّلها مثيل ابن مريم تُخرج شطأ. وهذا الشّطأ يتآزر بعضه مع بعضه الآخر شيئا فشيئا، ومن ثمّ يستغلظ كلّ شطأ من تلك الأشطاء. وبعد ذلك يصبح كلّ شطأ بحدّ ذاته شجرة عظيمة. وعلى هذه الصّورة من التّشبيه يكون الله عز وجل قد فهّمنا بأنّ قطع شجرة الإسلام وإن بدا في ظاهره أنّه نصرٌ للكافرين بالإسلام. لكنّ الحقيقة تكون غير ذلك. فالشّطأ الذي تُخرجه شجرة الإسلام المقطوعة يومئذ يتآزر ويتقوّى ومن

ثم يستغلظ على أيدي مثيل ابن مريم في نهاية المطاف. وبالتّالي بعود يشكّل أشجارا إسلاميّة كثيرة منتشرة هنا وهناك على وجه هذه الأرض. لتُعجب الزارعين ولتغيظ بهم الكفّار.

وعلى هذه الصّورة يكون الله جلّ شأنه قد أورد جميع ما أتى على ذكره من بيّنات وأخبار ونبوءات مصاغا ذلك كلّه صياغة بلاغيّة معجزة، ومخالفا في صياغته تلك ما هو معروف من أساليب الأدباء العرب فيما يعبّرون به عن أمثال تلك البيّنات والأخبار والأنباء. فهذه هي خلاصة ما أوردناه في الفصل السّابق حين كلامنا عن النّبوءة القرآنيّة الثّالثة التي أنبأت عن بعثة مثيل ابن مريم وإثباتا من طرفنا لوجود بعثتين للإسلام هما: البعثة المحمّديّة والبعثة الأحمديّة.

وأخيرا وبعد أن فرغت ممّا اختصرته حتى الآن عن النّبوءات الثّلاثة التي أنبأت عن وجود بعثتين إسلاميّتين. أحاول اختصار ما هو متعلّق **بالنّبوءة القرآنيّة الرابعة** التي أنبأت عن وجود بعثتين إسلاميّتين هي أيضاً. فأقول: إنّ كتب الأحاديث الشّريفة جميعها أوردت عشرات الأحاديث التي حذّر محمّد رسول الله ﷺ أمّته من خلالها من الدّجّال وفتنته. ولم تقف تلك الأحاديث الشّريفة عند التّحذير من الدّجّال وفتنته بل وأعطت تلك الأحاديث هذا المسلم أوصافا لهذا الدّجّال المحذّر منه ومن فتنته. أوصافا لا يعقل بأيّ ميزان أن تحدث تلك الأوصاف على معانيها الحقيقيّة، وإنّ هذه الاستحالة تفرض على قارئ تلك الأحاديث أن يأخذها بمعانيها المجازيّة، لا أن يرفضها بسبب غير

معقوليّتها. هذا وما دام محمّد صلّى الله عليه وسلّم قد فال وعلى حسب ما هو مأثور عنه، أنّ من قرأ العشر الأوائل أو العشر الأواخر من سورة الكهف يعصم نفسه من الدّجّال. فهذه الحقيقة تفرض على الإنسان المؤمن أن يتدبّر آيات سورة الكهف من منظار أنّها تكلّمت عن هذا الدّجّال المحذر منه ومن فتنته. ولكن المؤسف أنّ ابن كثير رحمه الله وغيره من المفسّرين القدماء لم يحاولوا فهم آيات سورة الكهف من هذا المنظار. وأخذوا لآياتها المعاني التي تبادرت منها لأذهانهم، وخرجوا من ذلك ليصوّروا أن سورة الكهف ما هي إلا سورة أعاجيب ومعجزات مخالفة لسنن الكون وقوانينه. وما دمت قد كتبت تفسيراً لآيات سورة الكهف بعنوان (في ظلال تفسير سورة الكهف). وما دمت قد أثبتّ بدلائل بيّنة أنّ آيات سورة الكهف قد أنبأت عن وجود بعثتين في الإسلام. فسأقوم باختصار ذلك كلّه لهذا القارئ المسلم المتحرّر من عقليّة التّقليد الأعمى والله هو المستعان.

فاعلم يا عزيزي القارئ المسلم أنّه تبيّن لنا من خلال الآيات العشرة الأوائل من سورة الكهف بأنّ محمّداً رسول الله كان مكلّفا بإنذار الذين اتّخذوا لله ولدا. وذلك في الآية الرابعة منها. وقد أنبأ الله عز وجلّ في الآية الثّامنة منها عن نهايتهم قائلاً ﴿وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا﴾. ومن خلال هاتين الحقيقتين عُدنا نعرف من هو هذا (الدّجّال) الذي حذّرنا منه حديث سيّد الأنبياء ﷺ. وعُدنا لا نخشى أن نقول هو هؤلاء الذين اتّخذوا لله ولدا.

وهنا يفرض سؤال نفسه وهو أنّ المسيحيّين من أصحاب هذه العقيدة كانوا موجودين زمن بعثة محمّد رسول الله ﷺ، ويكونوا بذلك مشمولين في الإنذار العام الوارد في العشر الأوائل من سورة الكهف. فهل أنّ الإنذار المذكور قد أشار إلى زمن معيّن؟ وللإجابة على هذا السّؤال فقد استعرض الله عز وجلّ تاريخ المسيحيةً فنبّه الأذهان إلى أنّ الأوائل من المسيحيّين كانوا موحّدين غير مشركين. وهم الذين أطلق عليهم اسم ﴿أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ﴾ وإشارة إلى أنّ وثنيي الرومان اضطهدوهم واضطرّوهم إلى اللّجوء إلى الكهف القريب من روما لاتّخاذه ملجأ لهم. وكانوا يرقمون تاريخهم على جدران الكهف المشار إليه ويربّون الكلاب لتنبيههم إلى كلّ أجنبيٍّ قادمٍ نحو كهفهم.

ومن ثمّ أخبر الله عز وجلّ عن فترة تاريخيّة ثانية من تاريخ المسيحيّة غير الأولى التي كانوا خلالها مضطهدين. ونبّه أذهاننا إلى تسرّب عقيدة اتّخاذ هؤلاء لله ولدا خلال هذه الفترة التّاريخيّة الثّانية التي ابتدأت بعد اعتناق الملك قسطنطين المسيحيّة وذلك بعد مضيّ 309 سنوات على بعثة المسيح النّاصري عليه السّلام. وبعد ذلك نبّه إلى أنّه جلّ شأنه كان قد قدّر لأتباع المسيحيّة نهضة ثانية غير تلك القديمة التي أتينا على ذكرها. وذلك ليمتحن المسيحيّين من خلالها لعلّهم يرجعون عن عقيدة الشّرك تلك التي تسبّب بها بولس الرسول. وأنّ هذه النّهضة المسيحيّة الثّانية تكون بعد ظهور الدّين الإسلاميّ الحنيف الذي شبّهه الله جلّ شأنه بنهرٍ قد فجّره بين جنّتين أرضيّتين إشارة إلى نهضة المسيحيّة

الأولى والثّانية ومجيء الإسلام بينهما. وقد أنبأ الله تعالى هنا بأنّ أصحاب هذه النّهضة الحديثة بدلاً من أن يعيدوا نظرهم فيما توارثوه من عقائد باطلة، ويستفيدوا ممّا أتى به الإسلام من حقائق تصحّح ما توارثوه. فإنّهم يتّخذون سبيلا على النّقيض من ذلك تماما. يحاولون استعمار شعوب الأرض واستنزاف خيرات بلادهم وجمعها عندهم. وأنّهم يعمدون إلى اختراع مختلف أنواع الدّمار الرهيبة لتعينهم على تحقيق مقاصدهم الدّنيئة كما يسعون لإثارة الفتن في مختلف أقطار الأرض. ويستغلّون تخلّف العالم الإسلاميّ وانقسام المسلمين إلى مذاهب شتّى وفقدانهم مرجعيّتهم، وغياب تعاليم القرآن الكريم الحقيقيّة بينهم. فيحاولون تضليل المسلمين وترسيخ اختلافاتهم، وبسط نفوذهم عليهم وجعلهم أتباعا وأعوانا لهم. وهنا وبسبب ما سيصير إليه حال أصحاب هذه النّهضة المسيحيّة الثّانية فقد أنبّا الله عز وجلّ بأنّه قد قدّر في علم غيبه (ساعة) لإهلاكهم.

وبما أنّ هذه النّهضة المسيحيّة الثّانية ستتسببُّ بهذه المشكلات كلّها للمجتمعات الإسلاميّة المتخلّفة. فقد قدّر الله جلّ شأنه إحداث بعثة إسلاميّة ثانية لتكوين جماعة مؤمنة جديدة تكون على مستوى أحداث يومئذ. وقد نصح مسلمي تلك الفترة من الزمان نصائح عدّة من أهمّها ألا يتصدّون بوسائل العنف لأصحاب تلك النّهضة المسيحيّة الثّانية الرّهيبة. وأن يتذكّروا وعيد ربّهم الذي توعّد به هؤلاء للقضاء عليهم. فيلتزموا جانب ذكر الله وانتظار حلول مشيئته سبحانه وتعالى. ونلاحظ بأنّ الله جلّ شأنه قد أنبأ عن أنّ مسلمي عصر التّخلّف لن يأخذوا بالعمل

على هذه النّصائح الإلهيّة. ولذلك فقد أوصى الله تعالى المبعوث وجماعته المؤمنة أن يلتزموا هذا الجانب الذي حدّده لهم. واعتبر مسلمي عصر التّخلّف ممّن أغفل الله قلوبهم عن فهم كتاب الله العظيم وما اشتمل عليه من هذه الأنباء والوعيد. وانتهى من ذلك يأمره وجماعته المؤمنة ليقول: ﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا﴾. وفي هذه الآية الكريمة قد أنذر الله تعالى المسلمين الذين يكفرون بما أنبأه الله تعالى وقدّره لمعالجة مشكلات تلك الفترة الزمنيّة، أقول بأنّه تعالى أنذرهم قائلاً ﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا﴾. وفي مقابل ذلك فقد بشّر تعالى جماعة المؤمنين التي أنبأ عن تأسيسها وإيجادها بأنّهم من أصحاب الجنّة. ومن ثمّ ففي الآية 44 أنهى جلّ شأنه جميع ما ذكرناه متباهياً وقائلاً ﴿هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا﴾. بمعنى أنّه يثبت من حدوث جميع ما أنبأ الله تعالى عن وقوعه أنّه لا يفيد الإنسان في مثل تلك الأحوال إلاّ معونة المعبود الحقيقيّ وما يشاء أن يعطيه لهذا الإنسان المظلوم، للخروج من تلك المآزق سالماً.

وبعد أن فرغ الله عز وجلّ من إيراد جميع ما أشرنا إليه، فقد راح ابتداء من الآية 50 يذكّر أصحاب هذه النّهضة الثّانية الرّهيبة بما كان قد جرى يوم بعث الله تعالى آدم عليه السّلام. وكيف أنّ إبليس فسق عن أمر ربّه. وهي حقيقة قد تضمّنتها قصّة آدم الواردة في سفر التّكوين من كتابهم المقدّس. وخاطبهم وقال ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى

وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلاً ﴾. ومن ثمّ فقد راح الله جلّ شأنه يقول في الآية 54 ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلاً ﴾. بمعنى أنّ الله عز وجلّ قد أتى بهذه البيّنات جميعها بسبب أنّ من عادة هذا الإنسان أن يبحث عن الحقيقة بحثا مستفيضا. وقد وضّح تعالى في الآية 56 بأنّ أسلوب معالجته تعالى لأحوال كلّ قوم يحدث بأن يرسل تعالى مبعوثا سماويا يبشّر الذين يرسله ربّه إليهم وينذرهم إن هم كفروا بما جاء به هذا المبعوث السّماوي من علاج وتعاليم، وأنّ كلّ من يكفر به وبما أتى به لا يقوم في الحقيقة إلا على الباطل. وبهذه المناسبة فقد ذكّر تعالى أصحاب هذه النّهضة المسيحيّة الثّانية الرهيبة بحال كلّ من ذُكّر بآيات ربّه وكفر بها وأعرض عن الأخذ بها متناسيا حال الفسق الذي يحياه. وكيف أنّ الله تعالى لا يعجّل لهؤلاء بالعذاب، بداعي كونه غفور رحيم.

ومن ثمّ فقد ذكّر الله عز وجلّ أصحاب هذه النّهضة المسيحيّة الثّانية الرهيبة بما كان جلّ شأنه قد كشفه على نبيّه موسى من قبل وكيف أنّه أنبأه عن بعثة صاحب هذا النّهر العظيم الذي فجّره بين جنتي المسيحيّين. وأنّ جميع ما يحدث من تقلّبات وأحداث إنّما جاءت مصداقا لتلك الكشوف التي كشفها تعالى على نبيّه موسى عليه السّلام. وعلى هذه الصّورة وحتى الآية 82 يكون الله تعالى قد فرغ من بيان ذلك كلّه. ولمّا كان القارئ، وقد اطّلع على جميع ما أتت به الآيات السّابقة من بيّنات وأنباء. وخصوصاً الإنباء عن مبعوث سماويّ يضع

لبنة بعثة ثانية للإسلام، فلما كان هذا القارئ يعود يتوق من صميم فؤاده بعد ذلك ليتعرّف على شخصيّة هذا المبعوث السّماويّ المنتظر ومهمّته الموكلة إليه من ربّه عز وجلّ، فقد راح الله عز وجلّ يقول في الآية 83 من سورة الكهف وإجابة لرغبة هذا القارئ الباحث عن الحقيقة، وبنفس الصّياغة البلاغيّة المعجزة التي لا يدري مضامينها إلا كلّ من أحاط علما بمنهجيّة القرآن الكريم وأصول تفسيره، قال ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا﴾. وقد سمّى الله تعالى في هذه الآية الكريمة هذا المجدّد المنتظر ظهوره سماه (ذو القرنين) ومن باب أنّ مهمّة الجماعة التي سيُنشئها هي بحاجة وعلى الأقلّ لقرنين من الزمان لتأخذ دورها الفعّال لمعالجة آثار فتنة الدّجّال التي حذّر منها ربّنا جلّ شأنه قوم محمّد رسول الله ﷺ خاصّة. وليكون هذا المبعوث مجدّد قرنين زمنيّين أيضاً من تاريخ تلك الحقبة من الزمان التي تحدث فيها جميع تلك الأحداث المتعلّقة بالنّهضة المسيحيّة الثّانية والتي تدوم حول قرنين من الزمان. وقد راح الله عز وجلّ يخبر القارئ وبنفس قوّة هذه الصّياغة البلاغيّة المعجزة عمّا يحدث على أيدي هذا المجدّد المنتظر.

والأمور التي بيّنها الله جلّ شأنه بعد هذه الآية المذكورة هي: ففي الآية 84 قال ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَـٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا﴾.

فقول الله تعالى ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ ففعل مكّنا اشتقّ من قولك: مكُن الشّيء معناه قوي وأصبح متينا واطمأن (محيط المحيط).

وتضمّنت هذه الكلمات حقيقة عظيمة وهي أنّ هذا المجدّد (ذو القرنين) صادق في دعواه، ولا يعمل من نفسه، بل إنّ كلّ ما يقوم به إنما يقوم به بتوجيه من ربّه عزّ وجلّ. ذلك أنّ المبعوث الكاذب لا يفلح في دعواه، ولا يصل إلى حالة اطمئنان فيما فعله. ولذلك يَقْوى هذا المجدّد (ذو القرنين) ويصبح مطمئنا لمستقبل الجماعة المؤمنة التي تأسّست على يديه. ثمّ إنّ قول الله تعالى في الفقرة الثّانية ﴿وَءَاتَيْنَـٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا﴾. ففعل آتيناه اشتقّ من قولك أتيت إليه الشّيء ومعناه سقته إليه. وكلمة (شيء) هي في الأصل مصدر شاءَ، فأطلقت تارة كاسم فاعل شاء، وتارة كاسم مفعول بمعنى مشيء. والشّيء هو ما يصحّ الإخبار عنه والعلم به. وأما كلمة (سببا). فالسّبب هو كلّ ما يكون واسطة للتّوصُّل عن طريقه إلى غيره. فهو بمثابة الحبل. ولذلك يُطلق السّبب على الطّريق لأنّ بسبب الطّريق يصل الإنسان إلى الموضع الذي يريده (محيط المحيط). وعليه فإنّ الله تعالى يخبرنا هنا بأنّه تعالى يسوق لمساعدة هذا المبعوث لتحقيق مقاصد بعثته وسائط من كلّ نوع تساعده للوصول إلى تحقيق المقاصد من بعثته. وكان في مضمون هذه الفقرة الأخيرة إنباء عظيمٌ بأنّ عصر هذا المبعوث سيشهد تغيُّرات جذريّة على جميع صُعُد الحياة لصالح جماعته المؤمنة. وكان في هذا الإنباء إشارة إلى ما أسفر عنه القرن العشرين من علوم ساعدت على تصنيع وسائل مواصلات من مختلف الأنواع، تسهيلاً لنشر تعاليم الإسلام على يديه، ممّا لم تعرفه البشريّة من قبل.

ومن ثمّ فقد صوّر الله عز وجلّ أحوال الأقوام الغربيّة التي شكّلت النّهضة الثّانية للمسيحيّة، فصوّرها بأسلوب الكناية والمجاز وقال: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾. أي أنّ

شعوب تلك الأقطار الغربيّة تعيش مجازاً في مستنقع الانحطاط الخلقي والروحيّ. كذلك صوّر الله عز وجلّ أحوال الأمم الشّرقيّة وخاصّة منها الأمّة الإسلاميّة. فصوّرها هي أيضاً بأسلوب الكناية والمجاز وقال: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطۡلِعَ ٱلشَّمۡسِ وَجَدَهَا تَطۡلُعُ عَلَىٰ قَوۡمٖ لَّمۡ نَجۡعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتۡرٗا ﴾ وقد قصد من ﴿ مَطۡلِعَ ٱلشَّمۡسِ ﴾ البلاد التي طلعت منها شمس الإسلام ومبيّنا بأنّ المسلمين لا يستفيدون من أشعة تعاليم الإسلام لتخلّفهم ولبعدهم عن فهم التّعاليم الحقيقيّة للإسلام. ولذلك تطلع شمس الإسلام عليهم فتحرقهم أشعّتها بدلا من أن يستفيدوا من نورها.

ومن ثمّ فقد راح الله عز وجلّ يصف حال الباحثين عن الحقيقة والسّاعين للخلاص من بطش وسلطان الأخطبوط الدّجّال، فصوّرهم بنفس أسلوب الكناية والمجاز وقال: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيۡنَ ٱلسَّدَّيۡنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوۡمٗا لَّا يَكَادُونَ يَفۡقَهُونَ قَوۡلٗا ﴾. وشبّه بالسّدّين شعوب الشّرق وشعوب الغرب معا. فبيّن بأنّ طلاب الحقيقة منهم بحاجة إلى من يوصل إليهم حقائق الإسلام ومعارف القرآن الحقيقيّة، وإلى من يجمعهم على هدى الله تعالى، ولينقذهم من حالة التّشتّت والضّياع. وهنا فقد لخّص الله تعالى ما جاء المجدّد (ذو القرنين) به من دواء لمعالجة تلك المفاسد المنتشرة هنا وهناك فقال، وبصيغة بلاغيّة معجزة وبأسلوب الكناية والمجاز أيضاً، فقال على لسان (ذو القرنين): ﴿ ءَاتُونِي زُبَرَ ٱلۡحَدِيدِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيۡنَ ٱلصَّدَفَيۡنِ قَالَ ٱنفُخُواْۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارٗا قَالَ ءَاتُونِيٓ أُفۡرِغۡ عَلَيۡهِ قِطۡرٗا ﴾. وتفصيل دلالات هذه الآية الكريمة مشروحة في مؤلّفي (في ظلال تفسير سورة الكهف). ومختصرها أنّ

المجتمع الإسلامي المتخلّف وضرورة معالجة أحواله. وشعوب العالم الغربيّ المتغطرسين المتجرّدين من القيم الأخلاقيّة والروحيّة هي جميعها بمثابة سدّين كبيرين يهدّدان كيان هذه الجماعة المؤمنة الجديدة. ولا يصون هذه الجماعة إلاّ إذا أصبح كلّ مؤمن من أفرادها كقطعة من الحديد لا تؤثّر فيه ما تتركه تلك المجتمعات من آثار ضارّة. ولا تكفي هذه المناعة، بل لابدّ من دعمها بالسّعي الدّائم للتّقرّب من الله تعالى وجذب محبّته ولكسب رضوانه. ولتصبح مجموعة هؤلاء المؤمنين كالنّار تزداد لهيبا كلّما أتت على حرق شيء غيرها. ويدعم فعّاليّة هذه النّار ما تَلْقاه من توجيهات سليمة وصحيحة، تفيد في استمراريّة هذه البعثة السّماويّة التي قُدّر لها أن تُري وجه الإسلام الحقيقي. وتُظهر هذا الدّين الإسلاميّ الحنيف على الدّين كلّه ولو كره المشركون.

وبألفاظ أخرى أختصر وأقول: إنّ آيات سورة الكهف حذّرت مسلمي عصر التّخلّف من اللّجوء إلى العنف ضدّ كتلة المسيح الدّجّال. وحثّت في الوقت نفسه على إعادة النّظر في جميع الموروث من تراث إسلاميّ عمره أربعة عشر قرن من الزمان. كما نبّهت المؤمن إلى ضرورة استيعاب التّعاليم الروحيّة التي فقدها المسلمون المتخلّفون. والسّعي حثيثا ليصبح كلّ فرد مؤمن إنسانا ربّانيّا له تعامله وصلته المثمرة مع ربّه عز وجل وليصبح مستجاب الدّعوات. وحثّت آيات سورة الكهف على نبذ كلّ ظاهرة تؤدّي إلى الابتعاد عن الاعتصام بحبل الخلافة التي يعيدها الله جلّ شأنه بواسطة هذا المجدّد (ذو القرنين) فبهذه المنهجيّة وبتلك الوسائل يعود مستقبل الإسلام زاهراً مصداق وعده تعالى وللآخرة خيرٌ لك من الأولى.

[الباب الثّالث]

حقيقةُ فتنة الدّجّال

تقديم لهذا الباب:

لقد بات معلوماً لدى قارئ كتابي هذا بأني كنت قد خصّصت الباب الأول منه لتوضيح مبادئ المسلم ومعتقداته، وحسبما أطلعنا عليها كتاب الله العزيز. كما كنت قد خصّصت الباب الثّاني منه لإطلاع القارئ المسلم على ما تضمّنه هذا القرآن المجيد من نبوءات متعلّقة بوجود بعثة إسلاميّة ثانية غفل علماء هذه الأمة المعاصرون والقدماء عن معرفة وجودها معرفة نابعة من كتاب الله العظيم.

فهذا القارئ المسلم حين أطلعته على أنّ الله تعالى كان في سابق علمه ما سيحدث على أيدي أصحاب هذه النّهضة الثّانية المسيحيّة من شرور تهدّد البشريّة والإسلام خاصّة، وكيف أنّ القرآن الكريم قد أنبأ أيضاً عن ساعة مقدّرة للقضاء على ما أتى به أصحاب هذه النّهضة الثّانية المسيحية من شرور وفي الوقت المناسب، وعلى حسب معطيات الآيات العشرة الأولى من آيات سورة الكهف. والمشار إليها في حديث محمّد رسول الله أنّ مَن حفظها عُصم من الدّجّال. وأنّ من قرأ العشر الأواخر من سورة الكهف عُصم من فتنة الدّجّال. أقول: إنّ هذا القارئ المسلم،

وقد اطّلع ما تضمّنه الفصل السّادس من الباب الثّاني المشار إليه، يكون قد كوّن فكرةً واضحة عن أنّ أصحاب هذه النّهضة الثّانية المسيحيّة سيفتنون المسلمين المتخلّفين في دينهم. وإنّ هذا القارئ يطالبني هنا أن أزيده علما بحقيقة هذا الإغراء الذي يحاول أتباع النّهضة المذكورة تحقيقه على الصّعيد الدّينيّ. وإنّ هذه المطالبة المذكورة دفعتني لأخصّص بابا ثالثاً أستجيب فيه لهذه المطالبة، وأعطي للقارئ من خلاله فكرة واضحة تفسّر له مجريات الأمور من حوله، والتي لم تفرّط آيات هذا القرآن المجيد في الإشارة إليها قبل أربعة عشر قرن من الزمان. وليستعيد قول ربّه عز وجلّ في الآية 49 من سورة الكهف، وعلى لسان حال الذين ينجون من العذاب الذي سيحلّ بأصحاب هذه النّهضة المسيحيّة الثّانية، وهو قولهم هنـــاك ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾. فكلمات هذه الآية الكريمة ينبغي أن تدفع علماء هذه الأمّة للبحث في كلّ زمان عمّا هو وارد في هذا القرآن الكريم من أنباء تخصّ زمانهم. ومصاغة صياغة بلاغيّة معجزة، وفق منهجيّة القرآن الكريم وأصول تفسيره.

ولابدّ وأن لاحظ القارئ المسلم بأنّي قد أثبتّ إلى الآن أنّ ما يُعرفون بأصحاب النّهضة الأوروبيّة الأمريكيّة المعاصرة، هم أولئك الذين أطلقت عليهم أحاديث محمّد رسول الله ﷺ اسم (الدّجّال) تارة واسم (فتنة الدّجّال) تارة أخرى، وحسبما دلّت عليه آيات سورة الكهف التي جهل مُعطياتها المفسّرون القدماء رحمهم الله. وقد خصّصت هذا التّقديم لهذا الباب الثّالث من هذا الكتاب للتّوسّع في

بيان ما يتعلّق بهذا الدّجّال وبفتنته من أمور قد غيّبها عن أنظار المسلمين المعاصرين، أولئك الذين انتحلوا صفة العلم الدّينيّ، ومن دون أن يراجعوا ما وصلهم من تراث متعلّق بهذا الدّجّال وفتنته، ولإسقاطه على ما يجري في زمانهم من أحداث عالميّة الصّفة لابدّ وأن توجد في آيات هذا القرآن المجيد أنباء محدّدة حولها. خصوصا وأنّ عددا من علماء السّلف البارزين كانوا قد أعطوا في زمانهم هذا الموضوع الأهمّيّة التي يستحقّها، وكما هو معروف لدى الباحثين، وذلك لوجود كثرة من الأحاديث التي تكلّمت في موضوع هذا الدّجّال. لكن المؤسف أنّ أولئك العلماء القدماء ما كان بوسعهم أن يربطوا ما بين الأحاديث المشار إليها وما بين تلك النّبوءات القرآنيّة المتعلّقة بها ربطا موضوعيّا. على حين أنّ هذا الربط الموضوعي ما بين أحاديث محمّد ﷺ وما بين معطيات هذا القرآن الكريم، قد تحقّق في كتابي هذا بصورة يقينيّة وعاد القارئ المتبصّر يُدرك بأنّ كلّ ما يجري في عصرنا وفي أيامنا هذه من تطوّرات، فإنّما تدور جميعها حول هذا (الدّجّال) وحول (فتنة الدّجّال) والذي تمثّله هذه النّهضة الغربيّة المعاصرة، ووفق ما أنبأتنا به آيات هذا القرآن العظيم، وما صوّرته لأعيننا أحاديث محمّد الصّادق الأمين صلى الله عليه وسلّم أيضاً في هذا المجال.

ولهذا السّبب بعينه فإنّي أناشد كلّ مسلمٍ متحرّر من التّبعيّة لهؤلاء العلماء المقلّدين المنتحلين ثوب العلم الدّيني، هؤلاء الّذين قاموا بتغييب هذا الموضوع، موضوع (الدّجّال وفتنته) عن أنظار أتباعهم عن قصد أو عن غير قصد، أناشدهم متابعة ما سأبيّنه لهم من حقائق تتعلّق بهذا الموضوع، وبصورة موضوعيّة أيضاً. ومن باب أنّ كلّ مسلمٍ يجهل

حقيقة هذا الموضوع، فمن المستحيل عليه تفسير ما يجري في عصرنا من أحداث على ضوء معطيات آيات هذا القرآن العظيم الذي يتلوا آياته الكريمة كلّ يوم، ومعتقدا بأنّ ربّنا عز وجلّ لم يفرّط في هذا القرآن من شيء. ثمّ أ فما تساءل هذا المسلم يوما: هل مرّ على البشريّة شيء أخطر هولاً من هذا الشّيء الذي يجري في أيّامنا هذه؟ فهذا (الدّجال) ووفق ما بيّنته للقارئ قد أمسى اليوم يهدّد الإسلام والعالم قاطبة بلا جدال. حيث أنّ هذا الدّجّال بات يهدّد عقائد أبنائنا وتراثنا الإسلاميّ خاصّة. وإنّ كلّ ما يفعله علماء هذه الأمّة هو أنّهم إما أن يفتوا لهذا المسلم العامّي باللّجوء إلى وسائل العنف ضدّ هذا (الدّجّال) فيدفعونه لتفجير نفسه على طريق محاربته. وإمّا أنّ بعضا من هؤلاء العلماء يستسلمون لحركة التّطوير وبما يرضي مطالب هذا (الدّجّال). وإما أن نسمع بعض العلماء ينادون هذا المسلم العاميّ وتحت شعار " الوسطيّة " أن يبتعدوا عن هذا وذاك. ويتناسون في الوقت نفسه (ربّ العالمين) الذي كان قد بعث محمّدا بهذا الدّين المتين، وغافلين عمّا وضعه ربّ العالمين في هذا القرآن المنزل من حلول لمعالجة ما يجري من أحداث في هذه الأيّام. وعليه واستنادا إلى ما ذكرته آنفاً فأنا أحاول قدر المستطاع إعطاء القارئ المسلم فكرة واضحة عن (حقيقة فتنة الدّجّال) وبما يفسّر له ما يجري في العالم من حوله، وما يهدّده من أخطار تهدّده في عقر داره، ولا يعرف لها علاجاً، ولا مخرجاً من ويلاتها. ولا يدلّه أحد على ما في كتاب ربّه من أنباء وأخبار متعلّقة بمجريات أمورها وعلى وجه اليقين. ولذلك أعود فأناشد هذا المسلم للمرّة الثّانية وللمرّة الثّالثة ألا يقلّل من أهمّيّة ما يطالعه في كتابي هذا من بيّنات تتعلّق بمصيره وبمصير أبنائه من بعده في هذه الحياة الدّنيا وبعد الممات، اللهم فاشهد أني بلّغت.

الفصل الأوّل:

الدّجّال ونظامه الاقتصادي

أقول: لنتناول هذا الموضوع، موضوع الدّجّال من أهمّ نقطة تشغل بال الباحثين والتي هي موضوع الاقتصاد بأنواعه، وما يلعبه هذا الموضوع من أدوار هامة على صعيد التّغيّرات الحادثة في هذا العالم. وبهذه المناسبة فليس بخاف على أحد ما تركه الاقتصاد المسيّر الذي التزم به معسكر الشّيوعيّة في القرن الماضي من آثار على الشّعوب التي كانت تابعة له. كذلك فليس بخاف على أحد في أيامنا هذه أهمّيّة النّظام الحرّ الرأسمالي الذي رفعت رايته تلك (الرفقة العظيمة) من شعوب أقطار أوروبة وأمريكة إلى اليوم والتي ما تزال تحاول فرضه على جميع دول الأرض المعروفة وبمختلف الأساليب. هذا وإنّ كلّ باحث يلاحظ كيف أنّ أتباع هذا النّظام الاقتصادي الحرّ يستميتون في الدّفاع عنه ولفرضه على غيرهم من النّاس. ولا أريد الدّخول في متاهات الأبحاث الاقتصادية والتّفضيل ما بينها في هذا المقام. لكنّي أتناول بالكلام ما يسمعه كلّ مطالع للأخبار اليوميّة في أيامنا هذه. فكلّ من يصغي منا إلى ما تتناوله وسائل الإعلام من أخبار، يسمع باسم (نادي باريس)

عندما يتكلّمون عن ديون دول العالم المتخلف خاصّة. كذلك عندما يتكلّمون عن التّبرّع للمشاريع المراد إنشاؤها هنا وهناك في مختلف الأقطار. ويرد اسم (نادي باريس) كلّما ورد على ألسنة المختصّين موضوع إعانة فقراء الدّول الفقيرة المتخلّفة. لذا فلنتناول بالبحث موضوع (نادي باريس) بالذّات. فهو يمثّل الوجه الأكمل وضوحاً للنّتائج التي أسفر عنها هذا النّظام الاقتصادي الحرّ الذي ينادي به أصحاب هذه النّهضة المسيحيّة الثّانية أولئك الذين أطلق عليهم محمّد رسول الله اسم الدّجّال ومحذّرا من فتنة هذا الدّجّال أيضاً.

فأكثر حكومات الأرض تقترض أموالا ممّا لدى أصحاب (نادي باريس) من كنوز ذهبيّة، وبفوائد تختلف نسبها من قطر إلى آخر. أي أنّ أصحاب (نادي باريس) باتوا يشكّلون محور التّعامل بالرّبا في العالم كلّه. ولقد باتت جميع الأقطار المديونة تحاول استرضاء هؤلاء الدّائنين. لماذا؟؟ السّبب في ذلك أنّ الذين يستدينون، يستدينون بحساب عملتهم الوطنيّة. علما بأنّ عملتهم الوطنيّة غير مستقرّة في أغلب الأحيان. وتتأثّر سلبا بالتّضخّم المالي وعوامل أخرى يعرفها رجال الاقتصاد. وهذه الحقيقة لها مساوئها البشعة. فهذه العوامل المشار إليها وبالإضافة إلى ما يترتّب على هذه الدّيون من فوائد ماليّة. تضرب اقتصاد البلد المديون، وتجعله عاجزا في يوم من الأيام عن سداد ديونه المترتّبة عليه في الوقت المناسب. وكلّما عجز هذا البلد عن سداد القسط المترتّب عليه بعملة الدّولار. يضطرّ لاستجداء الدّائنين من أعضاء (نادي

باريس) لإعادة توزيع الأقساط المترتّبة عليه. فهذا هو حال كلّ بلد يستدين من أعضاء (نادي باريس) الذي اجتمعت لديه كنوز هذه الأرض. وبألفاظ أخرى فإن استمرّ الوضع على ما هو عليه الآن، فإنّ من نتائج هذا الذي ذكرناه هو أن يأتي يوم على جميع الأقطار المديونة أن تُصبح تشكّل فيه مستعمرات اقتصاديّة تابعة لنادي باريس. بدليل أنّ هذه الدّول المديونة مهما اقترضت من أموال من أصحاب نادي باريس المشار إليه تزداد فقرا على الدّوام، بدل من أن تنهض وتستغني عن مساعدات (نادي باريس) المذكور. والسّبب في ذلك هو أنّ هذه القروض المستدانة من نادي باريس وغيره تدخل في (نظام الرّبا) الذي حرّمه القرآن المجيد، والذي أنذر الله العزيز في هذا القرآن أتباع (نظام الربا) بالانتهاء عنه وإلا فإنّهم يواجهون من جرّاء العمل عليه خوض حرب يقينيّة في نهاية المطاف. وهذه حقيقة دلّ عليها قول الله تعالى في الآيتين 278/ 279 من سورة البقرة ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ﴾.

وهنا يتساءل المرء عن تاريخ (نادي باريس) هذا الذي يطالعنا اسمه في أكثر الأيام في مختلف وسائل الإعلام. كما يتساءل عن الكيفيّة التي أوصلت كنوز الأرض إلى أيدي أعضاء نادي باريس؟ فهذا سؤال هامّ جدّا ينبغي الإجابة عليه إجابة موضوعيّة. ولا ينبغي أن نمرّ على سماع

اسم نادي باريس هكذا مرور الكرام. وأنا من جانبي أن أقدّم لهذا القارئ هنا ما أعرفه في هذا المجال، فأقول: ألا إنّ كلّ واحد منّا لابدّ وأن سمع بالنّهضة الصّناعية التي قامت في أوروبة في القرن تاسع عشر. تلك النّهضة الصّناعيّة التي كانت قد شكلت الخطوة الأولى التي ساعدت على نهضة الأوروبيين المعاصرة. فإن عاد المرء بذاكرته إلى التّاريخ الذي اكتملت فيه تلك النّهضة الصّناعية المذكورة، يطالع في كتب التّاريخ بأنّ أرباب النّهضة الصّناعية المذكورة احتاجوا في تلك الأيام إلى موادّ خام لتشغيل مصانعهم. وقد دفعتهم حاجتهم تلك ليدفعوا بسياسيّ بلادهم ليفكّروا في استعمار الدّول التي تؤمّن لهم المواد الخام الضّروريّة التي تحتاجها مصانعهم في عمليّة الإنتاج. ومن هنا بدأ دور الاستعمار الغربيّ. وبهذا الدّافع الرئيسيّ استعدّ هؤلاء لاستعمار أقطار العالم المتخلّف.

وعمليّة الاستعمار هذه لابدّ لها من تخطيط سليم ووسائل مساعدة. وقد ساعدت النّهضة الصّناعيّة على تأمين الوسائل اللازمة. فمن أهمّ تلك الوسائل استبدالهم السّفن الشّراعيّة التي كانت تتألّف منها أساطيل الدّول الماضية. بسفن حديديّة ذات أطوال كبيرة وتسير على البخار والوقود الحجريّ، ولا تحتاج إلى أشرعة تنظم سيرها. وبهذا الاختراع تمكّن المخطّطون للاستعمار من تحقيق الغلبة على الأساطيل غير البخاريّة لأوجه عدّة. وبذلك فقد استتبّت لأساطيل جيوشهم الغلبة على أساطيل الأقطار التي يريدون استعمارها. وبذلك بدأ دور الاستعمار. وقد حاول هؤلاء دخول كلّ قطر يريدون استعماره

بأسلوب يلائم أوضاعه. وكان طول أقدم سفينة حربيّة صنعوها في ذاك التّاريخ يوازي سبعين ذراعاً. وتحقّق بذلك ما ورد في أحاديث محمّد رسول الله ﷺ بحقّ الدّجّال من أنّه يأتي إلى بلاد المسلمين على حمار طوله سبعون ذراعا ويخرج من أسته نار، وصوته يدوي في الخافقين. فأول سفينة حربيّة مصنوعة بلغ طولها سبعون ذراعا. وكان يخرج من مؤخّرتها نار بسبب أنّها تسير على البخار. وكان صوتها يدوي في الخافقين، بسبب اختراعهم الصّفّارة البخاريّة وتزويد سفنهم بها فكان صوت الصّفّارة البخارية يدوي في الخافقين أيضاً.

ونتيجة لاستعمار دول الغرب أقطارا كثيرة من دول العالم المتخلّف. كاستعمارهم الهند وغيرها من البلدان، فقد حصل أرباب الصّناعة الأوروبّيون على ما يريدونه من موادّ خام من مستعمراتهم، وبأقلّ الأسعار، وقاموا بعد ذلك فصدّروا بضائعهم إلى تلك الأقطار المستعمرة بأغلى الأسعار. فمن هنا بدأت الأموال تتكدّس هناك في بلاد الغرب في أيدي أعداد قليلة من أرباب الصّناعات النّاشئة هناك. وباختصار شديد أقول إنّه كان من نتائج تلك الخطوات التي ذكرناها، أن لمع اسم (نادي باريس) في الوسط الأوروبي. هذا النّادي الذي باتت كنوز الأرض بين يدي أعضائه. وبات أعضاؤه يتحكّمون بالأقطار التي أعطوها استقلالا شكلياً، بعد أن استيقظ سكّان تلك المستعمرات من غفلتهم، وبادروا إلى مقاومة المحتلّين. وبألفاظ أخرى فقد نجح أرباب الصّناعة الأوروبيّة في تحقيق هذا المخطّط الجهنّمي الذي وضعوه. لكنّ

مقاومة الشّعوب المُستَعمَرة من قبلهم، اضطرتهم لوضع مخطّط جديد. وهو أن يعطوا تلك المستعمرات استقلالها، وليعيدوا استعمارها عن طريق نظام المساعدات الاقتصاديّة بفوائد مختلفة الأرقام. وليعودوا، عن طريق نظام الإقراض المشار إليه، لاستعمار تلك الأقطار المستقلّة، ووسيلتهم إلى ذلك نفس تلك الكنوز الماليّة التي باتت بين أيديهم وتحت سلطانهم. وهي الكنوز الماليّة التي كانوا قد جمعوها من مستعمراتهم المستقلّة حالياً. وبألفاظ أخرى فقد استبدلت تلك (الرفقة العظيمة) التي تشكّل شعوب أوروبة وأمريكة، أقول إنّهم استبدلوا الاستعمار القديم باستعمار جديد غير مباشر وذو وجه اقتصاديٍّ مقيت.

ونتساءل هنا: هل كان لتلك التّطوّرات التي ذكرناها آنفا من أساس فيما دلّت عليه الآيات القرآنيّة والأحاديث النّبويّة؟ فأجيب هذا السّائل بكلمة نعم. وأقول: أمّا ما يتعلّق بدلالات الآيات القرآنيّة، فبإمكان القارئ الباحث أن يراجع ما ورد في (في ظلال تفسير سورة الكهف) وإنّه سيحظى بالإجابة الشّافية من خلال مطالعته تفسيري للآيتين 19/ 20 قوله تعالى فيهما ﴿وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ لِيَتَسَآءَلُوا۟ بَيْنَهُمْ ۚ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ ۖ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۚ قَالُوا۟ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ ۖ فَٱبْعَثُوٓا۟ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ۝ إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِى مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا﴾. فتفسير هاتين الآيتين استغرق عشرة صفحات كاملة

في الكتاب المشار إليه، ممّا لا مجال لدرج تلك الصّفحات في هذا المقام. وأختصرها وأقول: إنّ الله عز وجلّ أورد كلمة ﴿بَعَثْنَٰهُمْ﴾ ليشير إلى هذه النّهضة المسيحيّة الثّانية التي حسمت الدّور المسيحيّ الأول الذي انتهى عند انتهاء القرون الوسطى وابتداء دور النّهضة الصّناعيّة المعروف في أوروبة. كما أورد قوله تعالى ﴿لِيَتَسَآءَلُواْ بَيْنَهُمْ﴾ إشارة إلى هذا الدّور من التّخطيط الذي أثمر عن استعمار الأقطار المتخلّفة. فهم تدارسوا أحوال أمّتهم وصحّحوا مسارها. فهذه المعاني أوردتها على ضوء معطيات تاريخ الأقطار الأوروبيّة. وأما قوله تعالى عن لسانهم ﴿فَٱبْعَثُوٓاْ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ﴾ وما بعدها من جمل. فهو كلام مُصاغ صياغة بلاغيّة معجزة. ودالٌّ على الأسلوب الذي اتّبعه أصحاب هذه النّهضة الثّانية في سياق محاولتهم استعمار شبه القارة الهندية. فهذه خلاصة جدّ موجزة. وللتّفصيل فلابدّ للقارئ من مراجعة العشر صفحات المفسّرة لهاتين الآيتين الكريمتين.

والمهمّ في الأمر هو أنّ ما تضمّنتها هاتان الآيتان وما قبلها وما بعدها من دلالات وأنباء تؤكّد بأنّ القرآن الكريم قد أخبرنا عن هذا الدّجّال وعن فتنته. وقد صاغ الله عز وجلّ مجريات التّطوّرات جميعها التي حدثت، والتي أتينا على ذكرها آنفا صاغها بصياغة بلاغيّة معجزة لم يحط بعلمها المفسّرون القدماء. والسّببُ في ذلك هو أنّ مضامين هذا القرآن العظيم لا تتجلّى للنّاظرين إلا في الوقت المناسب. وهذا أحد أبواب إعجازه. ومن باب أنّ هذا القرآن المجيد قد أنزله الله جلّ شأنه ليصلح لكلّ زمان ومكان.

وأمّا ما يتعلّق بالأحاديث النّبويّة، فيكفي هذا الباحث أن يراجع فقرة ممّا ورد في حديث صحيح مسلم عن النّواس بن سمعان الذي وصف فيه ما يحدث على أيدي الدّجّال حين يأتي إلى بلاد المسلمين، وهو وصف ورد في الحديث المذكور بلسان المجاز أيضاً، فقد ورد هناك بحقّ الدّجّال (ويمرّ بالخربة فيقول لها أخرجي كنوزك فتتْبعه كيعاسيب النّحل) وإنّ ألفاظ (يمرّ بالخربة) الواردة في هذا الشّطر من الحديث ليس معناها مرور شخص ما في أرض خربة. بل الكلام فيهما يدور حول هذا الدّجّال الذي أثبتّ في كتابي هذا أنّ المقصود منه (الرفقة العظيمة) التي شكّلت أصحاب هذه النّهضة المسيحيّة الثّانية والتي تشكّل أحد معاني كلمة (دجّال). هذا وإنّ مرور هذه الرفقة العظيمة (بالخربة) يشير إلى استعمار هؤلاء بلاد المسلمين وبلاد غيرهم، كما تشير إلى استخراج هؤلاء من تلك البلدان مادّة النّفط الخام ومواد مختلف أنواع المعادن، ومن أراضي كانت في نظر أهل تلك البلدان شبه خربة ومهجورة وغير صالحة في نظرهم لشيء. ثمّ إنّ قول الدّجّال وهو يأمر تلك الأرض الخربة: (فيقول لها أخرجي كنوزك). ففي هذا القول إشارة إلى الاستثمارات التي قامت بها تلك (الرفقة العظيمة) في تلك المستعمرات. والتي كانت تملك الأدوات اللازمة لها. فالأدوات الصّناعيّة المتطوّرة التي كانت موجودة في أيدي المستعمرين هي التي كانت قد ساعدتهم على استخراج كنوز تلك الأراضي المستعمرة، فاستخرجوا النّفط واستخرجوا أنواع المعادن المطلوبة لتسيير صناعاتهم. وقد عبّرت ألفاظ هذا الحديث (يمرّ بالخربة) عن هذه الحقيقة التّاريخيّة بالذّات. وبدليل قول هذا الدّجّال

بعد ذلك بحقّ تلك الخربة آمرا إيّاها (أخرجي كنوزك) وهل يعني أمره الموجّه إلى هذه الأرض الخربة بأنّ للأرض الخربة عقل وفهم يساعدانها على التّفكّر لتطيع وتستجيب؟ إلا أن يكون الدّجّال قد قصد استخراج كنوز تلك الأرض ثمّ الملاحظ أنّ محمّداً رسول الله ﷺ قد أورد فاء الاستئناف في هذا الحديث وأضاف يقول: فتتّبعه كيعاسيب النّحل. فإيتاؤه بفاء الاستئناف قد أوردها هنا لتشير إلى مرحلة ثانية تبعت مرحلة الاستعمار وهي مرحلة قام فيها المستعمرون بعقد صفقات التّنقيب عن البترول والتّنقيب عن مختلف أنواع المعادن في البلاد التي استعمروها. وهي مرحلة بدأت تثمر فيها تلك الصّفقات أموالا طائلة على المستعمرين، والتي كانوا يرحّلونها إلى بلادهم أوروبة، وليجمعوا هناك كنوز الأرض. وقد شبّه محمّد رسول الله تلك الأموال التي باتت تتدفّق على أرباب الصّناعة الأوروبيّة، شبّهها بيعاسيب النّحل. علما بأنّ اليعسوب هو أمير النّحل. ويُجمع على يعاسيب. وقد شبّه محمد رسول الله تلك الأموال بيعاسيب النّحل التي تتبعها نحلات الخليّة. فكلّ ربّ عمل صناعي عقد صفقة في البلاد المستعمرة، فقد عاد يُشبه اليعسوب الذي هو أمير النّحل، وتتبعه بالتّالي أموال وإيرادات تلك الصّفقة التي عقدها في البلد المُستَعمَر بشكل طبيعيّ. وإنّه لتشبيه بليغ صادر عن محمّد النّبيّ الأمّي الذي آتاه ربّه جوامع الكلِم.

وعلى هذه الصّورة يكون القرآن والحديث النّبويّ قد أطلعانا عمّا ينتج عن هذا النّظام الاقتصادي الحرّ الذي يستميت أصحابه في الدّفاع

عنه. وفي فرضه على العالم أيضاً بسبب أنّ كنوز الأرض باتت في أيديهم. وعاد النّظام الاقتصاديّ الحرّ يساعدهم على زيادة الهيمنة على العالم. ومن منطلق أنّ الرأسمال الماديّ يشكّل العمود الفقري للكيان الاقتصادي. وعلى حين أنّ هذا النّظام الاقتصادي الحرّ هو الذي كان قد تولّدت عنه حركات استعمار كثير من شعوب البلاد المتخلّفة، إلى جانب استنزافه خيرات بلادها وتكديس تلك الأموال بين أيدي أعداد محدودة العدد من الصّناعيين ومنهم (أعضاء نادي باريس) فالرأسماليون من هذه (الرفقة العظيمة) هم أساس نهضة المسيحيّة الثّانية والتي سبق أن أطلق عليها محمّد المصطفى خاتم النّبيين صلّى الله عليه وسلم قبل أربعة عشر قرن من الزمان اسم (الدّجّال).

وعليه فهذا أحد الوجوه التي يحاول الدّجّال المشار إليه أن يفتن عن طريقه النّاس وخاصّة منهم الشّباب النّاشئين من المسلمين، وعن طريق كنوز الأرض هذه التي باتت بين يديه وإلى درجة عاد شباب هذه الأقطار وغيرها يهجرون بلادهم ويُهاجرون إلى بلاد الدّجّال المشار إليه، ومن أجل أن يستمتعوا بفتات موائد هذا الدّجّال. حتّى وأنّ عقول بلداننا المفكّرة والمتفوّقة عادت تسافر إلى بلاد الغرب لتحصيل العلم. فإذا تخرّج الواحد منهم بتفوّق، يُغرونه بالأموال من أجل أن يبقى في ذاك البلد الذي حصّل علمه فيه. فإغراء المال يلعب بعواطفه. ويفضّل البقاء هناك على الرجوع إلى وطنه. فهذه حقيقة باتت معروفة لدى جميع النّاس وقد شكّلت مأساة بوجه عام. وتحاول مختلف الدّول

معالجة هذه الظّاهرة أيضاً. ولا يدري أحد من هؤلاء النّاس الذين يفقدون أبناءهم من بينهم، لا يدري بأنّه وسواه من النّاس ضحيّة هذا المسيح الدّجّال الذي كان قد أنبأ عن ظهوره محمّد المصطفى صلّى الله عليه وسلّم قبل أربعة عشر قرن من الزمان، وحذّر منه أمّته أيضاً. لكنّ أمّته في هذه الأيام قد تناست ذاك الإنباء، وذاك التّحذير، ولذلك فقد عادت هي أيضاً غير متميّزة عن الدّول التي تفقد أبناءها، وأمست ضحيّة هذه الغفلة عن هذا التّراث الذي تركه لها الله ورسوله لتصون أنفس أفرادها من هذه الفتنة التي ابتدأها هذا المسيح الدّجّال الذي يتبرّأ منه المسيح النّاصري عليه السّلام. فأين تعاليم وأفعال هذه (الرفقة العظيمة) التي تستبيح كلّ شيء من تعاليم المسيح النّاصري البعيدة عن جميع ما يصدر عن هذه الرفقة العظيمة التي سمّاها محمّد رسول الله عن حقّ أنّها الدّجّال. بمعنى الرفقة العظيمة التي تلحقها كنوز الأرض كيعاسيب النّحل؟ والذين أنذرهم القرآن الكريم في سورة الكهف وقال وهو يُنبئ عن عاقبتهم، قال ﴿وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا﴾ وقال ﴿وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا﴾. والضّمير يعود إلى ﴿ٱلَّذِينَ قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا﴾.

واستناداً لما ذكرناه، أقول: إنّ الفرد المسلم، بل والدّولة المسلمة إذا لم يسلّموا معي بانطباق صفات هذا (الدّجّال) على هذه (الرفقة العظيمة) التي تمثّلها شعوب أوروبة وأمريكة، والذي حذّرنا منه ومن فتنته محمّد رسول الله ﷺ وذلك من خلال العشرات من أحاديثه الشّريفة التي

وصلتنا مدوّنة في مختلف الكتب الجامعة لأحاديثه الشّريفة. فإن ظلّوا ينتظرون ظهور كائن اسمه الدّجّال. فسيكونون مسؤولين أمام الله تعالى يوم القيامة عن فتنة أولادهم بأموال هذا الدّجّال.

إنّ دارس تعاليم الإسلام يعلم بأنّ الإسلام لا يعادي الرأسمالية ذات الوجه الجذّاب. ولكنّه يُعادي ويحارب الرأسمالية الجشعة المستغلّة التي تهضم حقوق المحتاجين. فأموال هذه (الرفقة العظيمة) التي تفتن أبناءنا وتحت غطاء (نظام اقتصادي حرّ)، هي أموال مسروقة من مختلف أقطارنا التي استعمرتها هذه (الرفقة العظيمة) التي تمثّل الدّجّال. وإنّ هذا النّظام هو أحبولة من أحابيلهم أيضاً، ليستكملوا عن طريقه سرقة بقيّة أموالنا. فلو أنّ هذه (الرفقة العظيمة) التي تأسّست على أياديها النّهضة الغربيّة المعاصرة، والتي نشأت عن طريق استعمارها لأراضينا وأراضي غيرنا من الشّعوب وعن طريق استنزاف خيرات هذه البلدان وجمعها بين أياديهم. فلو أنّ هذه الرأسمالية التي تمثّل نظام الاقتصاد الحرّ المعروف والذي أصبح (نادي باريس) من معالمه البرّاقة. أقول لو أنّ أصحاب هذه الرأسمالية قد جمعوا هذه الأموال من أجل أن يعينوا عن طريقها فقراء البلدان المتخلّفة. لكان هذا النّظام الرأسمالي الحرّ الغربيّ في منتهى الجاذبيّة.

ألا إنّ الإسلام قد قدّم لنا نظاما اقتصاديّا تتراوح مبادئه ما بين النّظام الحرّ وما بين النّظام الموجّه. وبمرونة تامّة هي في صالح أفراد الشّعب، وليس في صالح أفراد معيّنين.

الفصل الثّاني:

الدّجّال وإفساده في الأرض

إنّ فتنة هذا الدّجّال التي تجلّت في نظامه الاقتصادي الحرّ القائم على سلب أموال مختلف شعوب الأرض، قد أتينا على بيان حقيقته. والآن نعطي القارئ المسلم فكرة عن وجه آخر لهذا الدّجّال يتعلّق بإفساده في الأرض. هذا الوجه الثّاني الذي تمثّله هذه (الرفقة العظيمة) المؤلّفة من أوروبة وأمريكة، والذي أشار إليه القرآن المجيد من خلال تبنّيه لاسم هذه (الرفقة العظيمة) التّاريخيّ، وهو اسم (يأجوج ومأجوج).

فقد سبق لي أن بيّنت بأنّ أصل شعوب شرق وغرب أوروبّة، أنّها كانت عبارة عن قبائل آسيويّة مؤلّفة من قبائل مسمّاة قبائل يأجوج ومأجوج. وأنهاّ كانت قد هاجرت نحو وسط القارة الأوروبية، فانتشر قسم منها نحو شرقها والقسم الآخر نحو الغرب منها. ومع الوقت توالدت منها هذه الشّعوب الشّرقيّة كروسيا وغيرها. وهذه الشّعوب الغربيّة ومنها ألمانيا وفرنسا وغيرها من شعوب غرب القارة الأوروبيّة. وقدّمتُ دليلاً محسوساً يثبت مصداقيّة ذلك وهو وجود تمثالين في أحد أجنحة متحف لندن، وكتبوا تحتهما اسم (يأجوج

ومأجوج) باللّغة الإنكليزيــة ومشيرين إلـى أنّ هذيـن التّمثـالين يمثّـلان أجدادهم من القبائل الآسيوية.

وأضيف على ذلك دليلا آخر مستقى من العهد القديـم الـذي يُعـدّ في نظر الباحثين الأوروبيين أقدم مصدر تـاريخيّ يرجعـون إليـه، مـا لـم يتوفّـر لديـهم مصـدر تـاريخيّ آخـر أقـدم منـه ويخالفــه. فقــد ورد فــي الإصحاح العاشر من سفر التّكوين قول كاتبه: (هذه ســلالة بنـي نـوح: سام وحام ويافث، ومن وَلَدَ لهم من البنـين بعـد الطّوفـان، بنـو يـافث: جومر ومأجوج وماداي وياوان وتوبل وماشك وتـيراس..). وإنّ هـذه الأسماء الواردة في هذا النّصّ (توبل وماشك) فمن المعروف أنّها أسـماء مدنٍ روسيّة. الأمر الـذي يُستدلّ منـه علـى أنّ نسـل بنـوا يـافث ومنـهم مأجوج، هم القبائل التي هاجرت إلى شرق أوروبة واسـتوطنتها. وفـي مقابل ذلك يكون بنو يأجوج هم القبائل التي قطنت غرب أوروبة.

وبالإضافة إلى هذين الدّليلين، فـهناك دليـل ثـالث يُستدلُّ عليـه ممّـا هـو وارد فـي سـفر (حزقيـال النّبـيّ). فقـد ورد فـي الإصحـاح **38 / 1** منـه حرفيا: (وكانت إليّ كلمة الربّ قائلاً: يا ابن الإنسان اجعل وجهك نحـو جوج، في أرض مأجوج، رئيس وقائد ماشك وتوبل وتنبّأ عليه...).

فـهذه نبـوءة تنبـأ بـها النّبـي حزقيـال والمتعلّقـة بـأقوام (يـأجوج ومـأجوج). وقـد ورد فـي الإصحـاح نفسـه الآيـة **15** قـال (فتـأتي مـن مكانك، من أقـاصي الشّـمال، ومعـك شـعوبٌ كثيرةٌ. وتصعـد علـى شعبي إسرائيل كغمامٍ يغطّي الأرض. إنّك في آخر الأيّام تكـون. فـآتي

بك على أرضي لكي تعرفني الأمم حين أتقدّسُ بك أمام عيونها. هكذا قال السّيّد الربّ. . .) وتُكمل هذه النّبوءة وتقول: (في ذاك اليوم، يوم يأتي جوج على أرض إسرائيل، يقول السّيّد الربّ يطلع سخطي في أنفي، وفي غيرتي ونار غضبي تكلّمت: ليكونن في ذلك اليوم ارتعاشٌ عظيمٌ على أرض إسرائيل. . . الخ). فكلّ من يُمعن نظره في ألفاظ هذه النّبوءة التي تنبّأ بها حزقيال النّبيّ يقرُّ معي أخيرا بأنّها نبوءة تتعلّق بهذه التّطوّرات التي تجري في زماننا هذا. فقد ورد فيها أنّ جوج يأتي من أقاصي الشّمال، أي من بلاد روسيا وما جاورها وأنّ هذا الحدث يحدث (في آخر الأيّام) وإنّ اصطلاح (آخر الزمان) هو شائع بين المسلمين بألفاظ (آخر الزمان). وإنّ في قول حزقيال (في ذاك اليوم يكون ارتعاش عظيم على أرض إسرائيل) فيه إشارة واضحة إلى قيام إسرائيل وبروز القضيّة الفلسطينيّة، ووقوع حرب عالميّة بسببها. ثمّ إنّه قد ورد في هذه النّبوءة الأسماء (جوج، أرض مأجوج، رئيس ماشك وتوبل) إشارة إلى أنّ سكان روسيا الذي اعتبرتهم هذه النّبوءة من أحفاد (بنوا يافث) ويعود نسبهم إلى سلالة نوح عليه السّلام. ولا يُعقل أن يرد اسم (يأجوج ومأجوج) هناك في سفر حزقيال عبثا. هذا وإنّ تحذير النّبي حزقيال من خطر يأجوج ومأجوج. يثبت مصداقيّة حديث محمّد رسول الله الوارد في صحيح البخاري وصحيح مسلم، والذي قال فيه: (ما بعث الله من نبيٍّ إلا أنذر أمّته منه، فنوح عليه السّلام أنذر أمّته، والأنبياء من بعده، وإنّه يخرج فيكم.) وحديث النّبي الوارد في الصّحيحين مسلم ومسند أحمد قوله: (ما بين خلق آدم إلى قيام السّاعة

أمرٌ أكبر من الدّجّال). وبألفاظ أخرى أقول: إنّ تاريخ الدّجّال يرجع إلى زمن أحفاد نوح عليه السّلام. وبما أنّ القرآن الكريم قد تبنّى هذه التّسمية، وأطلقها على الرفقة العظيمة الأوروبيّة والأمريكيّة. فقد تبنّاها القرآن الكريم بدلالتها اللّغويّة المشتقّة من تأجيج هؤلاء الفتن في الأرض، ومن تأجيجهم نار الحروب في العالم. أمّا تأجيج هؤلاء الحروب في العالم. فقد أشعلت قيادات شعوب شرق وغرب أوروبة نيران حربين عالميّتين داميتين، أسفرتا عن تدمير رهيب حدث في جميع أنحاء الأمكنة التي دارت فيها هاتان الحربان العالميّتان. وأسفرتا عن وقوع عشرات ملايين الضّحايا إلى جانب وقوع مئات ملايين الجرحى من مختلف الأنواع. وذلك بسبب آلات الحرب المدمّرة التي اخترعوها. وهذه الحقيقة باتت معروفة لدى جميع النّاس في عصرنا الحاضر. وهكذا ومن خلال إحداث قيادات تلك الشّعوب هاتين الحربين العالميّتين، فقد عاد ينطبق على شعوب أوروبة وروسيا وقياداتها ذاك المعنى اللّغويّ لكلمتي يأجوج ومأجوج والواردتين في القرآن المجيد وفي الآية 94 من سورة الكهف بالذّات، وذلك في سياق تنبيه القرآن الكريم أذهاننا إلى هذه الحقيقة التي ورد فيها قول الله تعالى ﴿قَالُوا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾.

ثمّ إنّ اختراع هذه (الرفقة العظيمة) المشار إليها أسلحة من مختلف الأنواع، ومنها أسلحة الدّمار الشّامل، قد ساعد ذلك كلّه على وقوع هذا الكمّ الهائل من الضّحايا في الحربين المذكورتين. والمؤسف

أنّ قيادات تلك (الرفقة العظيمة) أخذت تُحلُّ لنفسها امتلاك أسلحة الدّمار الشّامل وتحرّمه في الوقت نفسه على غيرها من شعوب الأرض. أي أنّها عادت تكيل هذه الأمور بمكيالين: فمن جهة عادت تحلّل لنفسها امتلاك سلاح الدّمار الشّامل. ومن جهة أخرى عادت تحرّم هذا السّلاح على غيرها من الدّول. فهي تُحلُّ لنفسها امتلاك سلاح الدّمار الشّامل وكأنّ تاريخها ناصع البياض في موضوع استعمالها لهذه الأسلحة المدمّرة. ومتناسيةً بأنّها كانت قد استعملت القنبلة الذّرّية ضدّ اليابان وأبادت من خلالها مدينتين يابانيّتين كاملتين. وبنفس الكيل بمكيالين فقد تركت تلك الرفقة العظيمة (الدّولة العبريّة) التي كانت قد اقتطعتها من قبل نصف أرض فلسطين ظلما وجورا من خلال وعد بلفور. فقد تركت هذه الدّولة العبريّة تمتلك أسلحة الدّمار الشّامل. وحرّمت في الوقت نفسه على جيرانها من الأقطار العربيّة المحيطة بها امتلاك سلاح الدّمار الشّامل. ويلاحظ العالم كيف أنّ أمريكة غضّت طرفها عن كوريا الجنوبيّة التي كانت تُجري تجارب لامتلاك القنبلة الذّرّية. وقامت من جهة ثانية تحرّم على كوريا الشّماليّة القيام بنفس تلك التّجارب الذّرّية. وهكذا عُدنا نستخلص بنتيجة من تصرّفات هذه (الرفقة العظيمة) هو أنّها تريد الإبقاء على نفسها سيّدةً لهذا العالم الذي نهبت أمواله، وجمعت كنوزه في أيديها ودمّرت اقتصاديّاته، وما تزال.

وهنا لربّ سائل يسأل: إنّ قيام هذه (الرفقة العظيمة) بإشعال نار حربيّتين عالميّتين، هو في نظر الباحث حدث هامّ في تاريخ البشريّة.

وما دام القرآن المجيد قد أنبأ عن ظهور هذه (الرفقة العظيمة) التي سمّاها الدّجّال. فمن الأحرى أن يكون القرآن الكريم قد أنبأ عن وقوع هاتين الحربين العالميّتين على يدي هذا الدّجّال. فهل توصّلت أنت كباحث محقّق إلى وجود أصلٍ لهذين الحدثين الكبيرين في هذا القرآن الكريم؟ وقبل أن أجيب على هذا السّؤال أرى من المناسب تنبيه ذهن القارئ إلى أنّ هاتين الحربين العالميتين قد وقعتا ما بين جيوش شعوب هذه الرفقة العظيمة. وليس مع أحد من خارجهما على وجه العموم. ففي الحرب العالميّة الأولى تنافست ألمانيا وبقيّة أقطار أوروبة على تقاسم تركة الإمبراطوريّة العثمانيّة التي كانوا قد أطلقوا عليها اسم (الرجل المريض). فلما خسرت ألمانيا الحرب، فقد حرموها من تلك الغنائم التي أسفرت عنها تلك الحرب وتقاسموا تلك الغنائم فيما بينهم، وباسم نظام الانتداب. وكان من نتيجة ذلك أن برزت ألمانيا بثوب النّازيّة محاولة مداواة جروحها، وهي طامعة إلى تحصيل غنائم أعظم ممّا كانت قد فقدته في الحرب. ومن ثمّ أشعلت ألمانيا النّازيّة نار الحرب ضدّ الأقطار الأوروبيّة المجاورة، بغاية بسط نفوذها إلى أبعد رقعة في تلك الأقطار. وانتهت تلك الحرب بهزيمة النّازيّة. وبألفاظ أخرى بإمكاننا القول بأنّ ما حدث، لم يحدث إلا بدافع مطامع التّوسّع ولنهب خيرات الشّعوب. فكانت تلك (الرفقة العظيمة) أشبه بحيتان وسط بحر متلاطم، ومن حولها أسماك صغيرةٌ، وتنظر هذه الحيتان إلى تلك الأسماك على أنّها غذاء طبيعيٌّ لها. ولذلك فلا يجوز أن تأخذ مبادئ

الإنسانية حيّزا في قلوب تلك الحيتان. فهذا هو حال حياة أقطار تلك (الرفقة العظيمة) الجشعة والمتلهّفة على الدّوام إلى التهام كلّ سمكة تمرّ في طريقها.

والآن وقد أحطنا علما بهذه الحقيقة التي شرحتها للقارئ، أصحّح سؤال السّائل وليصبح كالتّالي: هل أنبأ القرآن الكريم عن أنّ هذه (الرفقة العظيمة) ستتقاتل فيما بينها على الصّورة المعروفة؟ فأجيب بكلمة نعم وأقول: إن أنت راجعت يا عزيزي القارئ الآية 99 من سورة الكهف. تلاحظ بأنّ الله عز وجلّ قد راح يقول في الآية المذكورة ﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ﴾. وإنّ كلمات هذه الآية الكريمة قد صوّرت لنا ما كان قد جرى في الحربين العالميّتين تصويرا مدهشا ومعجزا. ففعل (تركنا) اشتقّ من قولك: تركته ومعناه ودَعته وخلّيته يفعل. وأما قول الله تعالى (بعضهم) فيعني: طائفة منهم. وكلمة (يومئذ) تعني في ذاك الوقت. وأمّا فعل (يموج) فمن ماج الشّيء يميج ميجا معناه اختلط. فإن قلت: ماج الجيشان معناه اقتتلا (معجم محيط المحيط).

واستناداً إلى دلالات ألفاظ هذه الآية الكريمة، يصبح معناها بأنّ الله جلّ شأنه الذي يسيّر هذا الكون، والذي لا يغيب عن نظره وعلمه ما قامت وتقوم به هذه (الرفقة العظيمة) المستحقّة اسم الدّجّال. والتي تمثّل النّهضة المسيحيّة الثّانية. فإنّ الله عز وجلّ قد ترك أصحاب هذه النّهضة التي كان قد أنبأ عن ظهورها، فقد ترك طوائفهم تقتتل بعضها

مع بعضها الآخر. ومن باب أنّهم يجنون ثمار طمعهم في الحصول على كنوز هذه الكرة الأرضيّة.

وعلى أساس من معطيات قول ربّنا عز وجلّ بحقّ هذه الرفقة العظيمة التي أثبتت هي نفسها صحّة اسمها التّاريخي بصورة عمليّة، قوله ﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ﴾ يكون هذا القرآن العظيم قد أنبأ منذ أربعة عشر قرن من الزمان عن حدوث هاتين الحربين العالميّتين المعروفتين على أيدي أصحاب هذه النّهضة المسيحيّة الثّانية. وليس هذا وحسب، بل ويكون القرآن الكريم قد نبّه أذهاننا أيضاً إلى أنّ شعوب تلك (الرفقة العظيمة) المشار إليهم قد عُرفوا بالإفساد في الأرض، ليس في هذا الزمن وحده، ولكن منذ أن عرفوا الحياة، ومنذ وضع (بنوا يافث) الذين هم من سلالة نوح عليه السّلام اسم (مأجوج) لأحد أبنائهم. ولربّما كانت الحكمة من وضعهم هذا الاسم لذاك الاسم بسبب أنّهم توسّموا فيه وجه شرّ. علما بأنّ نوحا كانت لغته عربيّة قديمة.

وليلاحظ القارئ المسلم بقيّة هذه الآية 99 وما بعدها وما ورد هناك. فالله عز وجلّ أكمل هذه الآية المذكورة وقال ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَجَمَعْنَٰهُمْ جَمْعًا﴾. ولم يورد سبحانه وتعالى كلمات (ونُفخ في الصّور) بلسان الحقيقة ولكن بلسان المجاز. ومن منطلق أنّ قائد الجيش يأمر بالنّفخ بالبوق لجمع الجنود، أو لتفقّد أحوالهم أو لإعطائهم توجيهات جديدة وأوامر جديدة. وإنّ فعل (نُفخ) في قوله تعالى ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ﴾ هو فعل مبنيٌّ للمجهول. وإنّ المعنى المجازي لقوله ﴿وَنُفِخَ

فِي ٱلصُّورِ﴾ يفيدنا وكأنّ الله تعالى قد أشار من خلاله إلى أنّه قد آن الأوان في نظر الله سبحانه وتعالى لمعالجة قضيّة هذه (الرفقة العظيمة) التي استفحل خطرها في جميع أنحاء العالم، وأصبحت تهدّد السّلام العالميّ وتهدّد الإسلام نفسه في عقر داره بسبب تخلّف أهله وبعدهم عن تمثيل الإسلام الحقيقي بصورة عمليّة. وليلاحظ القارئ المسلم كيف أنّ ربّه قد أورد فاء الاستئناف بعد قوله المذكور وأضاف وقال ﴿فَجَمَعْنَٰهُمْ جَمْعًا﴾. وهذا القول ورد في مقابل قوله تعالى في مستهلّ هذه الآية ﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ﴾. فما هو معنى قوله تعالى ﴿فَجَمَعْنَٰهُمْ جَمْعًا﴾؟

والذي فهمته أنا من قوله تعالى (وجمعناهم جمعا) أنّ فيه الإشارة الصّريحة إلى ما يجري في أيّامنا هذه. فشعوب القارّة الأوروبيّة تجتمع في أيامنا هذه تحت لواء الوحدة الأوروبية، ولذلك تتسابق مختلف الدّول هناك للانضمام إلى الوحدة المشار إليها ولتوضع نجمة باسمها في علم تلك الوحدة الأوروبيّة. وعليه فإنّ ما يحدث في هذه الأيّام هناك في أوروبة فقد جاء مصداقاً لهذه الألفاظ القرآنيّة ﴿فَجَمَعْنَٰهُمْ جَمْعًا﴾. وإنّ في إضافة صيغة التّمييز من خلال قوله تعالى ﴿فَجَمَعْنَٰهُمْ جَمْعًا﴾ الإشارة إلى تميّز ما يجري في أيّامنا هذه في نظر النّاس قاطبة. فهي حادثة فريدة في تاريخ شعوب القارة الأوروبيّة التي عُرفت منذ نشوئها بالنّزاع والاقتتال فيما بينها ومنذ القرون الوسطى.

وهنا لربّ معترض يقول: الظّاهر من هذه الآية الكريمة أنّها تتعلّق بيوم القيامة، وليس بالحياة الدّنيا، فما هو دليلك الذي يؤكّد لنا مصداقيّة المعنى الذي ذهبت أنت إليه؟؟

فأجيب وأقول: إنّ أنت راجعت يا عزيزي القارئ التّفسير الكبير للإمام الفخر الرازي رحمه الله تعالى. فهو حين استعرض هذه الآية قال (اعلم أنّ الضّمير في قوله (بعضهم) عائد إلى (يأجوج ومأجوج) وقوله (يومئذ) فيه وجوه: (الأول) أنّ يوم السّدّ ماج بعضهم في بعض.. (والثّاني) أنّ عند الخروج يموج بعضهم في بعض.. (والقول الثّالث) أنّ المراد من قوله (يومئذ) يوم القيامة. وكلّ ذلك محتمل. إلا أنّ الأقرب أنّ المراد الوقت الذي جعل الله ذلك السّدّ دكّا..).

فمن خلال قول الفخر الرازي الآنف الذّكر عُدنا نعلم بأنّ أغلب الآراء القديمة أفادت بأنّ الله تعالى يتكلّم في هذه الآية عمّا يجري في هذه الدّنيا عند ظهور هذه (الرفقة العظيمة) التي تشكّل (يأجوج ومأجوج). وإنّ ما يؤكّد مصداقيّة ذلك، هو أنّه إذا كان مضمون هذه الآية متعلّق بالآخرة، فلا يصحّ القول حينئذ ﴿فَجَمَعْنَٰهُمْ جَمْعًا﴾. بل الذي يصحّ أن يُقال (فبعثناهم) ومن دون إيراد صيغة التّمييز (جمعا).

وأمّا دليلي على مصداقيّة المعنى الذي ذهبت إليه، فهو أنّ قول الله تعالى ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ﴾ صيغ بصيغة المبني للمجهول وورد ما بين قوله تعالى ﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ﴾ وما بين قوله تعالى

﴿ فَجَمَعْنَٰهُمْ جَمْعًا ﴾. وكان القصد من إيراده تعالى فعل (نُفخ) بصيغة المبني للمجهول، قد حدث لإخفاء المحرّك الأساسي الذي كان يقف وراء جميع ما تقوم به أقوام يأجوج ومأجوج. وهذه الحقيقة تشكّل قرينة لغويّة تنقل ﴿ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ ﴾ من معناه الحقيقي إلى معناه المجازي، الذي نبّه الله عز وجلّ من خلاله ذهن القارئ ومن خلال هذا الأسلوب التّصويريّ إلى هذا المحرّك الأساسي لمجريات جميع الأحداث، التي تجري على سطح هذه الكرة الأرضيّة. وليؤكّد من خلال ذلك بأنّ الله جلّ شأنه هو في حقيقة الأمر مطّلع على جميع ما يقوم به يأجوج ومأجوج من إفساد في الأرض. وبألفاظ أخرى فكأنّ الله تعالى قال بألفاظ أخرى: إنني تركت هؤلاء يتقاتلون بعضهم مع بعض، ليعذّب بعضهم بعضا بأيديهم وليس بأيدي غيرهم، جزاء استعمارهم بلدان غيرهم من شعوب الأرض، ونهب خيرات تلك الأقطار. ولمّا لم يعتبروا ممّا ألمّ بهم من عذاب شيئا. تدخّلت وجمعتهم جمعاً. ﴿ وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَٰفِرِينَ عَرْضًا ﴾.

وعليه فإن كان هذا القارئ المسلم تقيّا ومخلصا في إيمانه، ويسمع ما بيّنته له من حقيقة هذه النّبوءة التي كان قد تضمّنها قول ربّه عز وجل ﴿ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِى بَعْضٍ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَجَمَعْنَٰهُمْ جَمْعًا ﴾. هذه الدّلالات التي كشفها ربّي عليّ حين تدبّرت مضمون هذه الآية القرآنيّة بمنهجيّة القرآن الكريم وأصول تفسيره. فإنّ هذا القارئ ينشدّ حينئذ بكلّ قوّته ليصغي إلى جميع ما أناشده به هنا في هذا المقام.

ذلك أنّ عزّة الإسلام تعود تجري في عروقه دافقة بدم جديد ودفق جديد وبسبب أنّه بات يُدرك وبصورة يقينيّة أنّ الله عز وجلّ لم يفرّط في هذا القرآن العظيم من شيء. لذلك أستغلّ أنا هذه اللّحظات الحاسمة في حياة هذا القارئ المسلم لأسمعه نصوص الآيات التي ترد بعد هذه الآية 99 التي شرحناها، وبترتيب تلاوتها. فإنّ في تلك الآيات ما يثبت مصداقيّة ما أطلعته عليه من أنّ الله عز وجلّ قد نبّهنا وقال بأنّه قد حان الآن وقت معالجة قضيّة أقوام (يأجوج ومأجوج) هؤلاء الذين سمّاهم من جهة كونهم مفسدين باسم (الدّجّال) أيضاً. وأنّ زمن هذه المعالجة المشار إليها يأتي بعد محاولة تكتّل الشّعوب الأوروبيّة تحت علم الوحدة الأوروبيّة. فقد قال الله جلّ شأنه بعد ذلك ﴿وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَافِرِينَ عَرْضًا ۝ الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَن ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ۝ أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِن دُونِي أَوْلِيَاءَ ۚ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا﴾.

إنّ فعل ﴿وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ﴾ اشتقّ من قولك عرضت الشّيء عليه ومعناه أريته إيّاه. وقولك عرضت جهنّم له معناه أظهرت جهنّم له أي أظهرتها له بسبب ما كان قد قام به. فإذا أضفنا قول الله تعالى في الفقرة الأخيرة من هذه الآية الثّانية: ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا﴾. يكون المقصود من إظهار جهنّم للكافرين حلول ساعة هلاكهم وفق ما كان قد توعّدهم به جلّ شأنه في الآية 21 وقال ﴿وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَازَعُونَ

بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ٱبْنُوا عَلَيْهِم بُنْيَـٰنًا ۖ رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴾. وقد كنت بيّنت في تفسير هذه الآية بأنّ في قوله تعالى ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ ﴾ الإشارة إلى زمن بدء هذه النّهضة المسيحيّة الثّانية. وأنّ في قوله تعالى ﴿ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَآ ﴾ الإشارة إلى توعّد الله تعالى الذين اتخذوا لله ولدا، توعّدهم بتقدير ساعة القضاء عليهم. وأنّ قولهم ﴿ ٱبْنُوا عَلَيْهِم بُنْيَـٰنًا ﴾ فيه الإشارة إلى زمن اكتشاف هؤلاء المسيحيون الكهوف القريبة من روما التي كانت ملجأ للفتية الموحّدين من المسيحيّين الأوائل. وعليه فكأنّ الله جلّ شأنه قد نبّه وقال في الآية ﴿ وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَـٰفِرِينَ عَرْضًا ﴾ أنّ ساعة القضاء على أصحاب النّهضة المسيحيّة الثّانية قد حلّ وقتها بعد أن جمعناهم تحت علم هذه الوحدة الأوروبيّة. بمعنى أنّ حربا وقودها الصّواريخ النّاريّة والشّبيهة بجهنّم ستقضي عليهم. وأرى أنّ في هذا القول تلويحٌ بنبأ جديد متعلّق بهم وهو أنّ حربا عالميّة ثالثة قادمة ستقع ما بين غرب وشرق أوروبة. وقد أكّد الله جلّ شأنه ما أنبأ عنه آنفا، فألمح إليهم وقال ﴿ أَفَحَسِبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن يَتَّخِذُوا۟ عِبَادِى مِن دُونِىٓ أَوْلِيَآءَ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَـٰفِرِينَ نُزُلًا ﴾. والملاحظ أنّ الله تعالى حين قال (الذين كفروا) فقد قاله محذوفا منه المضاف والمضاف إليه، ومن دون أن يحدّد من هم المقصودين من الذين كفروا. فقد حذف هذا المضاف من أجل أن يوسّع دلالة فعل ﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ ﴾ وليشمل في الوقت نفسه الذين قالوا اتّخذ

الله ولدا وكفروا بصدق محمّد رسول الله، أولئك الذين اتّخذوا المسيح النّاصري وليّا لهم من دون الله تعالى، فهذا من جهة. كذلك ليشمل أيضاً المسلمين المتخلّفين من الذين كفروا بالمجدّد المنتظر مثيل ابن مريم الذي سمّاه ربّنا (ذو القرنين) من جهة ثانية. فهؤلاء المسلمون المتخلّفون قد اتّخذوا في أيّامنا هذه (الرفقة العظيمة) أولياء لهم من دون الله تعالى. وقد ربط هؤلاء المسلمون المشار إليهم مصائرهم بمصائر هذه الرفقة العظيمة، وأصبحوا لهم أتباعا بصورة عمليّة. ففعلوا ذلك كلّه بالرغم من تحذير هذا القرآن والحديث النّبويّ إيّاهم من الوقوع في هذا الإثم الكبير، والمتعلّق بهذه الرفقة العظيمة الذين سمّاهم محمّد رسول الله ﷺ باسم (الدّجّال) وسمّاهم القرآن المجيد باسم (يأجوج ومأجوج). إلى جانب أنّه تعالى بعث إليهم هذا المجدّد مثيل ابن مريم والذي سمّاه (ذو القرنين). وقد تناسى هؤلاء المسلمون المذكورون ما لله تعالى من قدرات تمكّنه من حفظ هؤلاء المسلمين من شرور هذا الدّجّال. وتناسوا أيضاً ما جاءهم به كتاب الله تعالى من أنباء ووعيد بالقضاء على هذا الدّجّال.

والمهمّ في الأمر هو أنّه قد ثبت من خلال جميع ما أتيت على ذكره وبيانه حتى اللّحظة بأنّ هذا الدّجّال يفتن النّاس ويفسد في الأرض منذ زمن ولادة حفيد بنوا يافث وهو (جوج)، وإلى زماننا هذا أيضاً. وعليه فإنّ هذا الدّجّال الذي حذّرنا منه ومن فتنته نبيُّنا محمّد بن عبد الله رسول الله وخاتم النّبيّين. إنّ هذا الدّجّال المفسد في الأرض هو في منتهى الخطورة كما يتبيّن من خلال ما ذكرناه من أحداث فساده في

الأرض. وإنّ هذه الحقيقة التي باتت واضحة كلّ الوضوح فقد عادت توجب على كلّ مسلم يخشى ربّه عز وجلّ أن يوقن من صميم فؤاده بأنّ (الدّجّال) الذي حذّرنا محمّد رسول الله منه ومن فتنته هو هذه (الرفقة العظيمة) التي شكّلتها القيادات السّياسيّة التي تقود تلك الرفقة العظيمة، المؤلّفة من شعوب أوروبة وأمريكة والتي جمعت بين أيديها كنوز الأرض وشكّلت منها رأسماليات نظام الاقتصاد الحرّ. تلك الكنوز التي نهبتها من تلك الأقطار التي كانت قد أقدمت على استعمارها، والعائدة جميعها إلى شعوب قارّتي أمريكة وأوروبة. فهذه الحقائق تدعو كلّ مسلم اطّلع على هذه الحقائق وتيقنها، تدعوه أن يبحث عن هذا المجدّد الأعظم الذي بعثه الله تعالى ليصبح مثيلاً لابن مريم من حيث قيامه بتجديد هذا الدّين المتين وليصونه ربّه عز وجلّ من شرور هذا الدّجّال اللّعين ومن شرور فتنته التي طالت كلّ شيء في هذا الوجود. فإذا بحث هذا القارئ المسلم عن هذا المجدّد الأعظم مثيل ابن مريم واجتمع به فليبايعه، وليبلّغه سلام محمّد المصطفى الذي حمّله سلامه إليه، كما ورد في الحديث الشّريف.

الفصل الثّالث:

سفينة الخلاص من الدّجّال وفتنته

إنّ كلّ من طالع الفصلين الماضيين المتعلّقين بحقيقة فتنة الدّجّال. وأحاط علما بما يحدث في عالم اليوم من أحداث على أيدي هذه (الرفقة العظيمة) التي تعنيها كلمة (الدّجّال) هذا الذي كان محمّد رسول الله قد أنبأنا عن ظهوره وعن عظم فتنته. هذه (الرفقة العظيمة) المتمثّلة في هذه القيادات السّياسيّة لشعوب أوروبة وأمريكة الشّماليّة. تلك التي تريد فرض هيمنتها على شعوب الأرض كلّها، والتي اقتطعت نصف أراضي فلسطين، وأهدتها لليهود الذين شرّدهم ربّهم من جرّاء انحرافهم عن تعاليم نبيّهم موسى عليه السّلام. والتي تدعم هؤلاء اليهود دعماً لا حدود له في مواجهة هؤلاء الفلسطينيين الذين هم أصحاب الأرض الأصليّين، وفي مواجهة غيرهم من سكّان الأقطار العربيّة المجاورة. هذه (الرفقة العظيمة) التي نضجّ من ظلمها وإفسادها وغطرستها، وهي التي استغلّت انتهاء (الحرب الباردة) التي كانت دائرة ما بين معسكري (يأجوج ومأجوج) لتنفرد في حكم العالم بمختلف الذّرائع الفاسدة والأساليب المعوجّة. فإنّ كلّ قارئ وصل معي إلى هذا

الحدّ من التّعرّف على حقيقة الأوضاع التي يمرّ بها عالمنا اليوم، وأحسّ بخطر تلك (الرفقة العظيمة) على شعوب الأرض قاطبة، وعلى تراثها وتاريخها ومعتقداتها. إنّ كلّ من يحيط علما به يعود يطالبني أن أدلّه بإخلاص على (سفينة الخلاص) التي إن انضمّ إلى ركّابها، ساعده ذلك على الخلاص من هذا الدّجّال ومن شرور فتنته.

فأقول: إنّ الله عز وجلّ الذي بعث محمّداً رسول الله بالحقّ والذي أنزل عليه هذا القرآن المجيد ووعده بحفظه والصّالح لكلّ زمان ومكان. فإنّ الله جلّ شأنه هو نفسه الذي أنبأ البشريّة في هذا القرآن المجيد عن هذا (الدّجّال)، الذي يعني (الرفقة العظيمة) وهو تعالى نفسه الذي حذّرنا من هذا الدّجّال ومن مخاطر فتنته منذ أربعة عشر قرن من الزمان، وذلك من خلال آيات هذا الكتاب المقدّس، ومن خلال أحاديث محمّد نبيّه الصّادق الأمين ﷺ. تلك الآيات وتلك الأحاديث التي أتيت قبل هذا الفصل على الإتيان بها وعلى شرحها ومطابقتها مع ما يجري في عالم اليوم. وذلك بموضوعيّة ووفق منهجيّة القرآن الكريم وأصول تفسيره. ولا يُعقل إلا أن يكون الله تعالى قد أشار علينا بوسيلة الخلاص من هذا الدّجال وفتنته، وعلى صورة تصبح معها موعظته سبحانه وتعالى في هذه المجال وهو علاّم الغيوب وربّ العالمين، تصبح بمثابة (سفينة الخلاص) لنا من هذا الطّوفان المدمّر. هذا وإنّ كلّ إنسان لا يتّفق معي في إدراكه لهذه الحقيقة، ولا يصل إلى هذه النّتيجة التي توصّلت إليها لحلّ مشاكل العالم ومشاكله. فلا يكون متحرّرا من قيود

تراثه وبيئته. ولا يكون ممّن يبحثون عن الحقيقة بعقلانيّة وبأسلوب موضوعي وعلميّ.

فيا عزيزي القارئ أنسيت أو تناسيت تلك النّبوءات القرآنيّة الأربعة التي أطلعتك عليها، والتي أنبأت جميعها عن ظهور بعثة إسلاميّة ثانية، كان الله تعالى قد قدّر أن تظهر وتتحقّق على أيدي المجدّد مثيل ابن مريم، وذلك بعد البعثة الإسلاميّة الأولى بأربعة عشر قرن من الزمان؟ ألا إنّ الله عز وجلّ قد قدّر ووفقا لمضامين تلك النّبوءات الأربعة المذكورة أن يكون للإسلام بعثة إسلاميّة ثانية تشكّل للمسلم الباحث عن الحقيقة (سفينة الخلاص) المطلوبة، والتي لا تخرج تعاليمها ومواعظها عمّا ورد في هذا القرآن المجيد من مواعظ وتعاليم تمثّلها هذه (البعثة الأحمديّة) التي استنبطنا الإشارة إلى ظهورها من خلال قول عيسى ابن مريم الوارد في الآيات من سورة الصّفّ (ومبشّرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد).

وبهذه المناسبة أذكّر وأقول: إن أنت راجعت يا عزيزي القارئ مؤلّفي (نشوء الإنسان وتطوّره)، تُدرك بأنّه لولا بعثة آدم عليه السّلام، لظلّ البشر يعيش في الكهوف. وبدليل أنّه قضى ملايين السّنوات فيها. لا يخرج منها إلا للصّيد أو لتحصيل ما يعتبره غذاء مفيدا له. وبألفاظ أخرى فإنّ الله الخالق علاّم الغيوب، هو الذي طوّر هذا البشر وهو يعيش في الكهوف. ومن ثمّ كان قد بعث آدم نبيا لينقل البشر من حالة توحّشه إلى حالة التّمدّن وإلى ما وصل إليه من تمدّن في يومنا هذا (راجع مؤلفي: نشوء الإنسان وتطوره).

ومن المعلوم أنّ الله عز وجلّ كان يكرّر عمليّة بعث نبيٍّ جديد، لتطوير هذا البشر كلّما دعت الحاجة إلى ذلك سبيلا. والنّبيّ المبعوث إمّا أن يكون نبيّا مشرّعا. وإما أن يكون تابعا للنّبيّ المشرّع الذي قبله. فهذه حقيقة بإمكاننا أن نُدخلها في منطق التّاريخ. أما وقد أنزل الله عز وجلّ هذا القرآن المجيد فلم تعد البشرية من بعد ظهور هذا الدّين الإسلامي الحنيف بحاجة إلى بعث أنبياء مشرّعين. ولا عادت البشريّة بحاجة إلى بعث أنبياء بطريق الاصطفاء. بسبب أنّ تعاليم القرآن المجيد تشكّل مدرسة روحيّة في حدّ ذاتها وكاملة التّعاليم. ولم يبق من وسيلة للإصلاح إلا ما أفادنا به حديث محمّد رسول الله الذي نبّهنا وقال: (إنّ الله يبعث لهذه الأمّة على رأس كلّ مائة سنة من يجدّد لها دينها.). وهو حديث متّفق عليه. وبألفاظ أخرى فعلى حين قد سدّ الله عز وجلّ باب نبوّة الاصطفاء. فقد فتح في مقابلها باب سلسلة المجدّدين الإسلاميين خرّيجيّ المدرسة الروحيّة المحمّديّة وليشكّل هؤلاء أداة التّجديد والتّطوير. ولذلك كان من المناسب الإحاطة بمفهوم كلمة (مجدّد) وبنوعيّة مهمّته.

ألا إنّ كلمة (مجدّد) اشتقّت من جدّ وجدّد. تقول جدّ في أمره معناه اجتهد. كما تقول جدّد الثّوب بمعنى صيّره جديدا. وتجدّد الشّيء صار جديدا حيث تقول جدّده فتجدّد. والجادّ هو المجتهد (معجم محيط المحيط). وعليه فإنّ (المجدّد الدّيني) هو المؤمن المبعوث لتصحيح ما حدث من انحراف عن جادّة الدّين، سواء على كان هذا على مستوى الفهم الدّينيّ وسواء كان هذا على المستوى العمليّ، وليعود وجه الدّين

الإسلاميّ الحنيف نتيجة لذلك جديدا ومبرأ من كلّ زيادة أو نقصان. وهذه الحقيقة تنبّهنا إلى أنّ مهمّة أوّل مجدّد من مجدّدي هذه الأمّة كانت محدودة في إطار القيام بأمر تقويم كلّ انحراف قد حدث في الأمة عن الصّراط المستقيم. وإنّ هذه المهمّة تعظم كلّما دخل قرنٌ جديد على هذه الأمّة وابتعدت عن زمن التّنزيل. ويتناسب مقام المجدّد الروحي عند الله تعالى، بمعادلة طرديّة مع إطار مهمّته.

فهذه هي دلالة كلمة (مجدّد) الواردة في الحديث الصّحيح الذي أوردناه. أمّا من يكون هذا المجدّد الأعظم (ذو القرنين) الذي قدّر الله عز وجلّ أن يجعله (سفينة الخلاص) لهذا الدّين وللعالم بأسره من بلاء هذا الدّجّال الذي تكلّمنا عنه. هذا المجدّد الذي قدّر الله جلّ شأنه من جهة أخرى أن تحدث على يديه هذه البعثة الإسلاميّة الثّانية، والتي كانت تلك النّبوءات الأربعة التي كنّا أوردناها من قبل قد أنبأت عنها. فإن بحثنا عمّن يكون هذا المجدّد الأعظم المشار إليه. فإنّ من واجبنا أن نتفحّص حينئذ تلك النّبوءات الأربعة نفسها، فلا يُعقل إلا أن يكون الله عز وجلّ قد ضمّنها إشارات دالّة على هذا المجدّد الذي قدّر الله جل شأنه إحداث هذه البعثة الإسلاميّة الثّانية على يديه. هذه البعثة الثّانية التي تصحّح هذه المسيرة الإسلاميّة التي وصل إليها حال المسلمين إلى ما وصلوا إليه من تخلّف وتفرقة وبُعد عن الالتزام بالعمل على تعاليم هذا الدّين الحنيف. وليعيد الله عز وجلّ بواسطته إلى الإسلام حياة رونقه ووسيلة ارتقائه.

الفصل الرابع:

النّبوءات الأربعة وعلامات المجدّد المنتظر

ونقوم باستقراء النّبوءات الأربعة التي توصّلنا إليها سابقا، وذلك لمعرفة علامات المجدّد الذي قدّر الله عز وجلّ على يديه إحداث البعثة الإسلاميّة الثّانية. نعاود بادئ ذي بدء استقراء النّبوءة الرابعة من تلك النّبوءات، وهي النّبوءة التي تضمّنتها آيات سورة الكهف. تلك السّورة التي قال محمّد رسول الله بحقّها أنّ من أراد أن يُعصم من الدّجّال وفتنته فليقرأ العشر الأوائل من سورة الكهف. ولقد ثبت لدينا بأنّ الدّجّال المحذّر منه، هو هذه (الرفقة العظيمة) من شعوب أوروبة وأمريكة، ممّن ﴿قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا﴾. والذين ﴿مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِأَبَآئِهِمْ ۚ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾. 4/ 5

استقراء النّبوءة الرابعة:

فالقارئ الذي طالع كلّ ما بيّنته بما يتعلّق بهذه النّبوءة الرابعة في حينه. يعود قد أدرك بأنّ هذه النّبوءة الرابعة قد أنبأت عن زماننا هذا بالذّات وعمّا يجري فيه من أحداث ضجّت منها شعوب الأرض قاطبة. فهذه النّبوءة الرابعة قد أنبأتنا عمّا حدث من استعمار لبلداننا على أيدي

هذه (الرفقة العظيمة)، وعن نهبهم لخيرات بلداننا وتجميعهم كنوز الأرض بين أيدي أعضائها. وعن محاولتهم جعل شعوب الأرض تابعين لهم ولهيمنتهم ولأنظمتهم الفاسدة. إلى جانب أنّ هذه النّبوءة الرابعة قد أطلقت اسم (يأجوج ومأجوج) أيضاً على أتباع هذه (الرفقة العظيمة) التي تعني (الدّجّال) لغويا، لاشتهار أعضائها بالكذب في كلّ ما تُعلنه، والتي تزن الأمور بميزانين، فكانت مصداق قول الله عز وجلّ في سورة المطفّفين وهو ينذرهم ويقول ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝٣ أَلَا يَظُنُّ أُو۟لَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ۝٤ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ۝٥ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٦ كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ ۝٧ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ ۝٨ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ۝٩ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ وما دامت هذه النّبوءة الرابعة قد أشارت إلى هذه (الرفقة العظيمة) التي ابتدأ تاريخها من أواخر القرن التّاسع عشر، أي منذ فجر زمن النّهضة الصّناعيّة الأوروبيّة. فكان من المعقول والمنطقيّ جدّا أن يبعث الله جلّ شأنه في تلك الفترة بالذّات، أي في أواخر القرن التّاسع عشر المجدّد الموعود ببعثته والذي قدّر الله عز وجل في عالم غيبه أن تحدث على يديه هذه البعثة الإسلاميّة الثّانية. إذ لا يُعقلُ أن يعلم علاّم الغيوب بما ستحدثه هذه (الرفقة العظيمة) في العالم من فتن وفساد. ومن ثمّ يترك أمور دينه تجري خلاف مشيئته. وبهذا الأسلوب من الاستنباط من خلال دلالات هذه النّبوءة الرابعة، نكون قد توصّلنا إلى تحديد زمن البعثة الإسلاميّة الثّانية على وجه التّقريب. ثمّ إنّ آيات سورة الكهف التي تضمّنت هذه النّبوءة الرابعة، قد نبّهت أذهاننا إلى أنّ المسلمين التّقليديين الذي لم يتدبّروا آيات هذا القرآن

بمنهجيّته وأصول تفسيره. ولم يحيطوا علما بهذا التّقدير الإلهيّ الذي ذكرناه. عندما يسمعون بظهور هذا المجدّد (ذو القرنين) المنبأ عنه. والذي قدّر الله تعالى على يديه إحداث هذه البعثة الإسلاميّة الثّانية. يصدّون ويضجّون ويقاومون جماعته المؤمنة الموحّدة وفي وقت يتباهون فيه بعلمائهم الذين جهلوا حقيقته وما أتى به من علاج سماويّ. وأنّهم لا يستفيدون من توجيهات هذا المجدّد حيال ما يواجهونه من هيمنة هذا الدّجال عليهم. فإنّهم يعمدون في مواجهتهم لأخطار هذا الدّجّال إلى مختلف أساليب العنف التي لا تجديهم في مواجهة ما له من قوّة نفعا. يُقدمون على اللّجوء إلى وسائل العنف خلافا لتعاليم آيات سورة الكهف التي أنبأت عن ظهور فتنة هذا الدّجّال. لكنّ هذا المجدّد (ذو القرنين) يتقيّد بمعطيات آيات سورة الكهف هذه. ويصون جماعته عن الوقوع في مستنقع المقاومة والعنف. فهذا ما زوّدتنا به هذه النّبوءة الرابعة من معلومات تتعلّق بالمجدّد الموعود به لتأسيس النّهضة الإسلامية الثّانية. وتتعلّق بحال المسلمين التّقليديين الذين يُعاصرونه.

استقراء النّبوءة الثّالثة:

فإن نحن تناولنا النّبوءة الثّالثة بنفس المنهجيّة في الاستقراء. تلك النّبوءة التي أنبأت عن هذه البعثة الإسلاميّة الثّانية التي قال الله تعالى فيها (ولمّا ضُرب ابن مريم مثلا) وفهمنا من قوله تعالى هناك دلالته على أنّه تعالى قد أطلق على هذا المجدّد اسم (مثيل ابن مريم) والذي يظهر زمن تخلّف المسلمين على المستوى العلميّ والأخلاقيّ. فإذا كنّا قد علمنا بأنّ بعثة المسيح النّاصريّ كانت قد حدثت بعد بعثة موسى بأربعة

عشر قرن من الزمان. فقد توصّلنا من خلال هذه التّسمية التي أطلقت على المجدّد الموعود به، نكون قد توصّلنا إلى أنّه لابدّ وأن يكون زمن بعثة مثيل ابن مريم في الأمة المحمّديّة قد تحدّد ظهوره بعد البعثة المحمّدية بأربعة عشر قرن من الزمان أيضاً. أي في أواخر القرن التّاسع عشر، وهو الزمن الذي حدّدته النّبوءة الرابعة سالفة الذّكر. وأن مهمّة هذا المجدّد ستكون شبيهة بما قام به المسيح النّاصريّ القائل (ما جئت لأنقض النّاموس والأنبياء ولكن لأكمل). فالمسيح النّاصري كان مجدّدا أعظم في الأمّة الموسويّة. وإنّ مثيل ابن مريم هذا يكون مجدّدا أعظم في الأمّة المحمّديّة هو أيضاً. وأنّه لن يظهر مجدّد من بعده إلاّ من سار على دربه. وبهذا الأسلوب من الاستنباط من دلالات النّبوءة الثّالثة، نكون قد توصّلنا إلى أنّ القرن التّاسع عشر الذي ابتدأت فيه النّهضة الأوروبيّة المعاصرة على أيدي جماعة الدّجّال، هو نفسه القرن الزمني المقدّر أن يبعث الله جلّ شأنه فيه مجدّد الأمّة المحمّدية الأعظم، هذا الذي وردت الإشارة إليه باسم (ذو القرنين). والذي معناه أنّه مجدّد قرنين من الزمان. والذي تحدث على يديه البعثة الإسلاميّة الثّانية التي قدّر الله تعالى أن يُكمل عن طريقها قول الله تعالى ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ﴾.

استقراء النّبوءة الثّانية:

والآن إن نحن تناولنا النّبوءة الثّانية التي أنبأت عن بعثة من تتألّف على يديه جماعة ﴿وَءَاخَرِينَ مِنۡهُمۡ﴾ والواردة في الآيات الأوائل من

سورة الجمعة. والتي نبّهنا محمّد رسول الله حين سُئل عن هؤلاء الآخرين ومن خلال وضعه يده اليمنى على كتف سلمان الفارسي وقوله بحقّه (لو كان الإيمان في الثّريّا لناله رجلٌ من هؤلاء). تتبيّن لنا حقيقة جديدة، وهي أنّ صاحب هذه البعثة الإسلاميّة الثّانية لن يكون عربيّا، بل سيكون أعجميّا ومن أصل فارسيّ. وبألفاظ أخرى فإنّ هذه البعثة الإسلاميّة الثّانية لن تحدث على يدي رجلٍ عربيّ، ولكنّها ستحدث في البلاد الأعجميّة التي يشكّل فيها المسلمون أعدادا تزيد عن أعداد المسلمين العرب.

وهنا يواجهنا سؤال وهو: إنّ بلاد الأعاجم التي تقطنها أعداد كبيرة من المسلمين هي أقطار واسعة الأرجاء. فهل هناك من إشارة في القرآن أو في الحديث تحدّد تلك المنطقة التي سيبعث الله جلّ شأنه فيها هذا المجدّد الأعظم (ذو القرنين) والذي يكون مثيل ابن مريم من حيث مهمّته، وتحدث على يديه البعثة الإسلاميّة الثّانية المشار إليها؟ فأجيب على هذا السّؤال وأقول: نعم هناك إشارة إلى تلك الجهة. ولكني أترك الإجابة على هذا السّؤال إلى ما بعد إتمام القيام بهذه الاستنباطات.

استقراء النّبوءة الأولى:

ونتناول بعملية الاستقراء النّبوءة الأولى التي أنبأت عن بعثة ﴿شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾. فقد وردت تلك النّبوءة الأولى في سياق التّدليل على صدق نبوّة محمّد بن عبد الله صلّى الله عليه وسلّم. ومن باب أنّ كلّ نبيٍّ كان ينبئ عن النّبيّ الذي يأتي من بعده. ولكون سلسلة المبعوثين جميعهم

يُبعثون من جانب الله جلّ شأنه ويشكّلون سلسلة إصلاح للبشريّة من قبل ربّ العالمين. وعليه فقد كان مجيء هذا الشّاهد الذي يشهد على صدق نبوّة محمّد خاتم النّبيّين هو أمرٌ محتّمٌ. خُصُوصاً وأنّه يمثّل البعثة الإسلاميّة الثّانية التي أنبأت عنها بقيّة النّبوءات الثّلاثة التي استعرضنا نتائجها من قبل. وأنّ هذا (الشّاهد منه) يظهر في زمن بلغ المسلمون فيه حالة محزنة من التّفرقة والتّخلّف والجهل بحقائق هذه النّبوءات الأربعة علماً بأنّ ظهور هذا الشّاهد سيمثّل وجه الإسلام الحقيقي.

فإن نحن جمعنا جميع ما استنبطناه من تلك النّبوءات الأربعة التي سبق لنا أن أوردناها. والمتعلّقة بالبعثة الإسلاميّة الثّانية التي خصّصنا هذا الكتاب للحديث عنها، نكون قد توصّلنا إلى النّقاط التّالية:

أولاً - إنّ زماننا الذي نعيش فيه هو الزمن الذي أنبأت عنه هذه النّبوءات الأربعة. ولم تنبئ عن أيامنا هذه بالذّات، ولكنها أنبأت عن زمن بدء النّهضة الصّناعية في أوروبة، أي في أواخر القرن التّاسع عشر الميلادي. ففي تلك السّنوات تحدث البعثة الإسلاميّة الثّانية على يدي من سمّته النّبوءة الرابعة باسم (ذو القرنين) وبمعنى أنّ هذا المجدّد الموعود يعهد إليه ربّه القيام بتجديد قرنين من الزمان، بسبب عِظم مهمّته المقرّرة له.

ثانياً - وأنّ هذه النّبوءات الأربعة قد أنبأتنا عن أنّ صاحب هذه البعثة الإسلاميّة الثّانية يكون مثيل ابن مريم. فكما أنّ المسيح النّاصري كان المجدّد الأعظم في الأمة الموسويّة. وأنّ الله عز وجلّ قد بعثه بعد موسى بأربعة عشر قرن من الزمان. هكذا يكون صاحب هذه البعثة

الإسلاميّة الثّانية والمجدّد الأعظم ومثيل ابن مريم في الأمّة الإسلاميّة والمبعوث من بعد محمّد رسول الله بأربعة عشر قرن من الزمان أيضاً.

ثالثاً ـ وأنّ هذه النّبوءات الأربعة قد أنبأتنا عن أنّ صاحب هذه البعثة الإسلاميّة الثّانية لن يكون عربياً ولن تحدث بعثته في بلاد العرب. ولكنّه يكون مسلما أعجميّا ومن أصل فارسيٍّ وتحدث بعثته في بلاد الأعاجم.

رابعاً ـ وأنّ هذا المجدّد الموعود ببعثته يكون من أمّم محمّد صلّى الله عليه وسلّم، وليس من أمّة موسى، وشاهدا على صدق نبوّة محمّد خاتم النّبيّين.

فهذه حقائق أربعة قد أفادتنا بها تلك النّبوءات الأربعة الواردة في كتاب الله القرآن العظيم. والتي حدّدت لنا علامات زمن ظهور المجدّد الموعود المنبأ عن ظهوره والذي تحدث البعثة الإسلاميّة الثّانية على يديه.

فلما نصل إلى هذا الحدّ من المعرفة والمتعلّق بالبعثة الإسلاميّة الثّانية التي قدّر الله تعالى ظهورها لمعالجة كلّ ما يجري في زماننا الحاضر من أحداث، سواء على صعيد الإسلام، وسواء على صعيد العالم بصورة عامة. أعود إلى السّؤال الذي كنت قد أجّلت الإجابة عليه، وهو أنّ أقطار الدّول الأعجميّة واسعة الأرجاء. فهل توجد في القرآن الكريم أو في الحديث النّبويّ إشارة إلى منطقة بالذّات، والتي يظهر فيها هذا المجدّد الأعظم الموعود؟ فأجيب على هذا السّؤال وعلى حدّ ما وصل إليه علمي بهذا الشّأن حتى اللّحظة فأقول:

أولاً ـ إن نحن تناولنا مصادر قرآنيّة أشارت إلى هذا الموضوع. نراجع ما استهلّ الله عز وجلّ به سورة الإسراء. فهو قال ﴿سُبْحَانَ

ٱلَّذِىٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا ٱلَّذِى بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَٰتِنَآۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾. فقول الله تعالى ﴿إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا ٱلَّذِى بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ﴾ مُلفتٌ لأنظار المحقّقين الباحثين من جهة أنّه اشتمل على كلمة (أقصى) من جهة. ومن جهة أخرى قول الله تعالى فيه ﴿ٱلَّذِى بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَٰتِنَآۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾.

أما ما يتعلّق بكلمة (أقصى) فقد اشتُقّت من قولك: قصا المكان إذا بعُدت مسافته عن مكان نقطة البدء. فإذا قلت: أقصيت فلانا عني معناه أبعدته. ولذلك تقول: بلغ الشّيء أقصاه. فإذا قلت: بيته قصيّ معناه أنّ بيته بعيد جدا عنك. أما إذا قلت: بيته الأقصى من بيت فلان: فمعناه أنّ بيت فلان أبعد من بيت فلان. أي أبعد من البيت البعيد. وعليه فكلمة (أقصى) صيغة مبالغة في البعد. فإذا علمنا بأنّ سورة (الإسراء) قد أُنزلها ربّنا عز وجلّ في مكّة المكرّمة. فيعدّ المسجد الحرام قريبا من محمّد رسول الله ﷺ الذي يقطن في مكة المكرّمة. وعليه فلا يصحّ أن يُقال بحقّ المسجد الذي أُسري برسول الله إليه والذي فهم المفسرون القدماء بأن المقصود به هو المسجد الكائن في القدس والذي لم يكن له من وجود يوم نزول هذه السورة من أنّه (المسجد الأقصى) بل لو صّح ما فهموه لكان ينبغي أن يُقال (أسرى بعبده إلى المسجد القصيّ) بمعنى إلى المسجد البعيد عن المسجد الحرام والكائن في القدس. هذا إذا كان قد قُصد بكلمة (المسجد الأقصى) مدينة القدس في فلسطين، والتي كانت خالية وقتئذ من وجود مسجد فيها. وهذه الحقيقة تدفعنا لنتساءل عن حكمة ورود كلمة (الأقصى) هذه بدلاً عن كلمة (قصيّ) في هذا المقام.

فإن نحن ربطنا ما بين ما توصّلنا إليه آنفا، وما بين وجود بعثة إسلاميّة ثانية كان مقدّرا لها أن تبرز إلى حيّز الوجود أيّام تخلّف المسلمين فكراً وعملا. وفي وقت أخذنا فيه لكلمة (الإسراء) دلالتها على كشف روحيٍّ وعلى حسب ما بيّنته (في ظلال تفسير سورة الإسراء). وهو المعنى الذي حدّثت به أغلبية الأقوال الموروثة في هذا المجال. فإن نحن ربطنا بين هذا وذاك، يعود من السّهل علينا القول بأنّ إسراء الله تعالى برسوله الكريم الذي حدث في مكّة المكرّمة في أيّام ما كان قد أصبح فيها للإسلام دولة بعد. فإنّ هذا الكشف الروحيّ يفيدنا بأنّ الله علاّم الغيوب قد راح يُنبئ رسوله الأمين في مُستهلّ آيات سورة الإسراء وفي تلك السّنوات من دعوة الإسلام بأنّه سيكون له صلّى الله عليه وسلّم تجلّيا روحيا آخر في لباس بعثة إسلاميّة ثانية تحدث زمن تخلّف أمّته. ومن منطلق أنّ الله عز وجلّ يسمع أدعية هؤلاء وقد أحاط علما بأحوالهم. وأنّ تجلّي ظاهرة تلك البعثة الثّانية سيتحقّق في مكان بعيد جدّا عن المسجد الحرام وخارج شبه الجزيرة العربيّة، وقد سمّى ربّنا عز وجلّ مكان التّجلّي المشار إليه والذي يمثّل البعثة الإسلاميّة الثّانية، سمّاه باسم (المسجد الأقصى). ومعناه مكان العبادة الحقيقيّة المخلصة والبعيد جدّا عن مكّة المكرّمة. وبذلك يستقيم مضمون هذه الآية الأولى من سورة الإسراء. وإلاّ فإنّ مدينة القدس هي قريبة من مكّة المكرّمة ولا يصحّ أن يُشار إليها بكلمة (الأقصى) بل أن يُشار إليها بكلمة (المسجد القصي).

وقد أكّد لنا الله عز وجلّ هذا المعنى الذي ذهبنا إليه حين أضاف وقال ﴿لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾. فقول الله تعالى

﴿لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ﴾. إنّ فعل (رأى) معناه نظر بعينه أو نظر بقلبه. وقوله ﴿مِنْ ءَايَٰتِنَآ﴾ أي من علامات قدرتنا. وحين أكّد تعالى وقال (إنّه هو السّميع البصير) فقد حدّد نوعيّة هذه الآيات الإلهيّة المقصودة. وهي الآيات التي تتعلّق بصفتي الله ﴿ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾. ومن باب أنّ صفة (السّميع) تتعلّق بآهات العباد وأدعيتهم. وأنّ صفة (البصير) تتعلّق برؤية أحوال هؤلاء العباد (محيط المحيط). وعليه فكأنّ الله عز وجلّ قد قال هنا بألفاظ أخرى أنّه سيأتي على أمّتك يا محمّد زمن يتخلّف فيه أفرادها وتتكالب عليهم الأمم إلى درجة يدعون ربّهم ليخلّصهم ممّا هم فيه من بلاء. وحينذاك أريك من عجائب آيات قدرة ربّك الذي وعدك في سورة الضّحى وقال ﴿وَلَلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ ٱلْأُولَىٰ ۝٤ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ﴾ وهو أنّ البعثة الآخرة ستحدث في مكان بعيد جدّاً عن المسجد الحرام ونابعة من مدرستك الروحيّة. وهي لن تحدث في بلادك العربيّة بل في (المسجد الأقصى) أي في مكان ظهور هذا المجدّد الخادم المخلص الأمين لك ولهذا الدّين الإسلامي الحنيف. وكما أنّنا باركنا حول هذا المسجد الحرام الذي هو في مكّة، فإنّنا سنبارك حول (المسجد الأقصى) المشار إليه أيضاً. حيث تظهر بركات هذا المجدّد الموعود في المسجد الأقصى المشار إليه، على شاكلة ما ظهرت بركات هذا المسجد الحرام التي ظهرت على يديك.

وعلى هذه الصّورة ندرك بأنّ بلاد شبه القارّة الهنديّة، تلك البلاد التي يشكّل سكانها من المسلمين أكبر عدد من سكّان غيرها من الأقطار

الأخرى، فبلاد شيه القارّة الهنديّة هي المكان الأقصى بُعداً عن المسجد الحرام. واستناداً إلى هذا تكون الهند هي المقصودة فيما أشارت إليه هذه الآية الأولى من آيات سورة الإسراء وعلى حسب ظنّي واجتهادي.

ثانياً ـ وأما من جهة معطيات الأحاديث النّبويّة. فهناك حديث نبويٌّ وارد في صحيح مسلم، ومرويّ عن النّوّاس بن سمعان وهو أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلم أخبر عن ظهور مثيل ابن مريم من أنّه (ينزل على منارة بيضاء شرقيّ دمشق). وهو حديث طويل وفيه روايات كثيرة. وأكتفي هنا باقتطاع ما ذكرته من الحديث المذكور من ألفاظ. بسبب أنّ منهجي في البحث الدّيني ينحصر في تقديمي القرآن الكريم في كلّ شيء على ما هو وارد في الأحاديث. فأنا لا آخذ من الأحاديث إلا ما وافق معطيات آيات القرآن المجيد. وذلك نزولاً عند وعظ محمّد رسول الله ﷺ بهذا الخصوص. فهو ﷺ وعظنا وقال: (توضع لكم الأحاديث من بعدي فاعرضوها على كتاب الله فما وافق خذوه وما خالف ردّوه). علما بأنّ مدارس الحديث في العالم الإسلاميّ كثيرة. ولكلّ مدرسة منها أهلها ومدرستها التي تختلف عن منهجي في البحث والاستقصاء. ولربّما لو نهجوا منهجي، لكانوا حسموا جميع ما بينهم من اختلافات في الآراء المذهبيّة.

وهكذا ومن منطلقي في البحث الدّيني أنظر إلى كلمات الحديث المرويّ عن النّواس بن سمعان وهي (ينزل على منارة بيضاء شرقي

دمشق) نظرة مرجعيّة تُعين في موضوع تعيين الموضع الذي يظهر فيه هذا المجدّد الأعظم ومثيل ابن مريم. والذي تحدث البعثة الثّانية على يديه.

فكلمات هذا القول الوارد في هذا الحديث المشار إليه وهي (ينزل على منارة بيضاء)، هي من الأهمّيّة بمكان. لذلك نرجع إلى معاجم اللّغة لمعرفة دلالة فعل (ينزل) الوارد في هذا الحديث. وبسبب أنّ هذا الفعل (ينزل) قد خدع جميع العلماء الذين قالوا بحياة المسيح النّاصري. فهم فهموا من فعل (ينزل) أنّ المسيح ينزل من السّماء على منارة بيضاء حين ظهور أعور الدّجّال، ومن باب أنّ فعل (ينزل) إذا ورد مجرّدا فلا يعني إلا هبوط الشّيء ووقوعه. ولكنّ هؤلاء لم يفطنوا إلى أنّ هذا الفعل (ينزل) لم يرد في هذا الحديث مجرّدا. بل وردت بعده صلة الحرف (على). حيث ورد في معاجم اللّغة أنّه إذا ورد بعد هذا الفعل حرف (على) وقلنا (نزل فلانٌ على القوم) فيعود معناه أنّ فلانا حلّ ضيفا على القوم المشار إليه. ولهذا السّبب فإنّهم يُطلقون على هذا الضّيف (النّزيل)، كما يُطلقون على مكان ضيافته اسم (النُّزُل). وما دام فعل (ينزل على منارة بيضاء) قد تبعه صلة حرف (على) فيعود معناه أنّ مثيل المسيح ابن مريم يحلّ ضيفا مكرّما على المكان الذي تُبنى فيه (منارة بيضاء). أما ما يتعلّق بتتمّة هذا الكلام النّبويّ وهو (ينزل على منارة بيضاء شرقي دمشق). فقد حدّد هذا الكلام جهة الموضع الذي يُبعثُ فيه المجدّد الموعود مثيل ابن مريم، لكنّ هذا الحديث لم يعيّن موضعه بالتّحديد. فشرقيّ دمشق يمتدّ على طول خطّ العرض الذي

يبتدئ من دمشق ويمتدّ شرقاً إلى ما لا نهاية. وعلى خط العرض هذا تكون بعثة هذا المجدّد مثيل ابن مريم. فالأقطار التي تأتي شرقي دمشق منها القطر العراقيّ. ومن بعده بلاد فارس. ومن بعدها شبه القارّة الهنديّة. وما دام القرآن الكريم قد نبّهنا في آيات سورة الجمعة إلى أنّ هذا المجدّد سيكون من أصل فارسيّ. فمعنى ذلك أنّه يكون هنديّاً ومن أصل فارسيّ.

فهذا المعنى الذي ذكرته وتوصّلت إليه قد استنبطته من خلال أسلوبي المنهجيّ في البحث والاستقراء. وقد أفادنا به هذا الحديث النّبويّ الذي أخبرنا عن ظهور المجدّد الموعود مثيل ابن مريم والموعود ببعثته في الأمّة الإسلاميّة، والذي أشارت إليه ألفاظ (ينزل على منارة بيضاء شرقي دمشق). فإن صحّ فهمي واجتهادي يكون القرآن المجيد عندما أورد كلمة (الأقصى) في الآية الأولى من سورة الإسراء، فقد أشار بذلك إلى شبه القارّة الهنديّة وإلى موضع منها يمرّ من خط العرض الذي يمرّ من مدينة دمشق العريقة في القدم وباتّجاه الشّرق منها. وبهذه المعلومة أكون قد أجبت على السّؤال المطروح.

وبهذه المناسبة أقول: إنّ مفسّري الأمة الإسلاميّة القدماء رحمهم الله تعالى قد ورّثوا هذه الأمة الاعتقاد بحياة المسيح في السّماء. لتأثّرهم بعقيدة أهل الكتاب المسيحيين الذي اعتقدوا بأنّ المسيح كان قد مات على الصّليب، ومن ثمّ قام من بين الأموات، ومن ثمّ ارتفع إلى السّماء. ومن دون أن يتدبّر المفسّرون القدماء الآيات القرآنيّة بمنهجيّة

القرآن الكريم وأصول تفسيره. وقد وافقوا المسيحيّين في عقيدتهم هذه المتعلّقة بحياة المسيح في السّماء. لكنّهم خالفوهم في نفيهم لعقيدة كون المسيح ابن الله. واعتقدوا بأنّه نبّي من أنبياء بني إسرائيل.

ولقد كتبت مؤلّفا أثبتّ فيه خطأ عقيدة المسيحيّة وبأدلّة من مُعطيات الأناجيل الأربعة التي هي بين أيدينا. وعنوانه (هل مات المسيح على الصّليب؟). كما ألّفت مؤلّفا آخر أثبتُّ فيه خطأ عقيدة المفسّرين القدماء، واسم ذاك الكتاب (هل قال القرآن بموت المسيح؟). واستنادا إلى التّحقيق الذي تضمّنه الكتابان المشار إليهما، فاعتقادي أنّ المسيح ابن مريم كان نبيّا تابعا لشريعة موسى. وقد مات عن عمر طويل. وهذا ما دفعني إلى عدم تأثّري بمن صوّروا الحديث الذي أشرت إليه، وكأنّه يقول بأنّ المسيح النّاصري حيّ في السّماء وسينزل على منارة بيضاء شرقي دمشق. أما وقد اعتقدت بموت المسيح فقد أوصلني تحقيقي إلى هذا المعنى الذي بيّنته آنفا. وهو أنّ محمّدا الذي أوتي جوامع الكلم قد أراد من قوله ﷺ بحقّ هذا المجدّد الأعظم الموعود ببعثته أيّام ظهور المسيح الدّجّال من أنّه ينزل على منارة بيضاء شرقي دمشق، قد أراد من خلال قوله هذا تعظيم خادمه الأمين. لذا أورد فعل (ينزل) مضافا إليه حرف (على) ليعني بأنّ هذا الخادم لمحمّد ولدينه الإسلام، هو الضّيف المكرّم على هذه الأمّة. فهل ظهر هذا الإمام المجدّد خصوصا وأنّ هذا الزمان هو زمان ظهوره؟

الفصل الخامس:

أجل ظهر هذا الإمام المجدّد

وإجابة على هذا السّؤال: هل ظهر هذا الإمام المجدّد الذي توصّلنا من خلال نبوءات هذا القرآن العظيم إلى أنّ هذا الزمان هو زمان ظهوره، أقول: مادام القرآن المجيد والحديث النّبويّ الشّريف قد وجّهانا نحو شبه القارة الهنديّة، من أجل أن نعثر على الإمام المجدّد الموعود ببعثته في أواخر القرن التّاسع عشر، أي إلى أيّام الزمن الذي بدأت النّهضة الصّناعيّة بالظّهور في أوروبة. فكان من المناسب أن أعطي هذا السّائل بادئ ذي بدء ولو فكرة مجملةٌ عن حال الهند في تلك الفترة من الزمان.

أحوال الهند أواخر القرن التّاسع عشر:

فاعلم يا عزيزي السّائل بأنّ الإنكليز كانوا قد تسلّلوا إلى شبه القارة الهنديّة من جنوبي الهند باسم التّجارة، ومن ثمّ توسّعوا إلى مقاطعة البنجاب، إلى أن هيمنوا على الهند واستعمروها وفق مُعطيات آيات سورة الكهف. وقد رافق الحكم الإنكليزي بعثات تبشيريّة مسيحيّة لتنصير الهنود ولتصبح جوهرة الهند تابعة لهم بصورة نهائيّة. وانطلاقا من هذا المخطّط المذكور، فقد أصدرت ملكة إنكلترا سنة 1857 م مرسوما ملكيّا منحت بموجبه جميع سكّان الهند (حرّية الاعتقاد

والتّعبير)، وذلك تسهيلا لمهمّة مبشّريهم. علما بأنّ الهند كان يقطنها أتباع مختلف الدّيانات السّماويّة.

وكانت أكثريّة سكان الهند من البوذيين المتعصّبين لذلك كانت الهند تمثّل بؤرةَ تعصّبٍ قوميّ دينيٍّ. وكان يقطنها أتباع من مختلف أصحاب الدّيانات كأقليات، ومنهم المسلمون الذين كانوا حكّاما للهند بعد أن فتحها محمد بن القاسم رحمه الله. لكنّ المسلمين من بعده اختلفوا فيما بينهم وتفرّقوا واستعاد البوذيّون الحكم منهم خطوة بعد أخرى. لذا، وبعد أن استعاد البوذيون حكم بلادهم أخذوا ينظرون إلى المسلمين الذين فتحوا الهند على أنّهم كانوا من الغرباء المستعمرين. لذلك كان الهنود يسومون المسلمين سوء العذاب وبمختلف الطّرق والوسائل غير الشّريفة. فحرّم الهنود على المسلمين أداء الأذان في المآذن، واستولوا على كثير من المساجد وجعلوها مرابط لخيولهم. أمّا وقد أصبح الإنكليز هم حكّام الهند فقد منحوا مختلف طوائف الهند حرّية الاعتقاد والتّعبير، ليفسحوا بذلك للإرساليات التّبشيريّة المسيحيّة حرّية القيام بالتّبشير وتنصير الهنود. وقد استفاد المسلمون كأقلّية من هذا المرسوم، وبدؤوا يستعيدون مساجدهم ويرفعون الأذان على مآذنها، ويستعيدون كيانهم الدّيني. وفي الوقت نفسه نشط المبشّرون المسيحيون في محاولتهم تنصير الهنود ويدعمهم المستعمر الإنكليزي لذا كانوا قد حقّقوا بعض النّجاح، ومستغلّين تخلّف سكان الهند بمختلف دياناتهم. وتمكّنوا بالتّالي من تنصير مئات ألوف الهنود وقرابة نصف مليون من المسلمين. وكان المبشّرون المسيحيون يركّزون يومئذ على أنّ ربّهم هو

المسيح النّاصري وهو المخلّص، وهو حيٌّ في السّماء، وأنّه سينزل يوما ما لمباركة العالم بأسره. وبألفاظ أخرى فإنّ استعمار حكام الإنكليز لشبه القارة الهنديّة، جاء مصداقا لنبوءات القرآن الكريم التي أنبأت آياته عن ظهور هذا الدّجّال، أي هذه (الرفقة العظيمة) المؤلّفة من شعوب يأجوج ومأجوج والذين اعتُبر الإنكليز أحد كوادرها فهذا كلّه قد حدث في النّصف الثّاني من القرن التّاسع عشر. أي في السّنوات الأولى للنّهضة الصّناعيّة الأوروبيّة. وكان من المأمول أن يظهر خلال تلك الفترة من الزمان المجدّد (ذو القرنين) الذي قدّر الله عز وجلّ أن تحدث على يديه البعثة الإسلاميّة الثّانية. وتحقيقا للنّبوءات القرآنيّة بكامل مُعطياتها. وكان من جملة تلك المعطيات أن يكون هذا المجدّد من المسلمين ومن أمّة محمّد ويشهد على صدق نبوّة محمّد رسول الله بالحجّة والبرهان وفقا لما ورد في سورة هود. وليؤسّس جماعة (الآخرين) الذين أنبأت عنهم سورة الجمعة. وليصبح مثيلا لابن مريم من حيث مهمته ووفق ما أنبأت عن ذلك سورة الزخرف. ولتتشكّل على يديه جماعة مؤمنة جديدة منظّمة. وتبدأ بواسطتها خلافة إسلاميّة جديدة وعلى منهاج النّبوة المحمديّة ومصداق قول الله تعالى الوارد في آخر آيات سورة الفتح، والقائل فيه (ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزرّاع ليغيظ بهم الكفّار).

ارتفاع صوت داعية مسلم:

وانطلاقا من توجيه هذا الحديث النّبويّ، فقد لاحظ سكّان الهند بمختلف طوائفهم وأديانهم ارتفاع صوت داعيةٍ مسلم مجلجلا وهو

يدافع عن الإسلام ويشهد على صدق النّبوّة المحمّدية وبحجج وبراهين ما عرفها العلماء من قبله، ومستمدّة من القرآن الكريم نفسه. فقد ارتفع صوت هذا الدّاعية المسلم من قرية صغيرة واقعة على نفس خط العرض المارّ من مدينة دمشق التّاريخيّة. ارتفع متصدّيا للمدّ التّبشيري المسيحي. فراح يكتب مقالات في هذا المجال. ودخل في مناظرات عامّة مع القساوسة. وناظرهم على أسسٍ موضوعيّة ومن مُعطيات الأناجيل نفسها. وركّز على دحض عقيدة حياة المسيح، وراح يُثبت موت المسيح من الأناجيل ومن القرآن ومن معطيات التّاريخ، وبصورة عادت معها أكثرية المسلمين المتنصّرين إلى دينهم الإسلام. وتوقّف نتيجة لذلك المدّ التّبشيري المسيحي. حيث دخل هذا الدّاعية مع كثير من القساوسة في مباهلات، انتهى أمرها إلى أنّ الله عز وجلّ استجاب دعاء هذا الدّاعية المسلم، وأهلكهم بطرق شتّى.

وقد نالت جهود هذا الدّاعية المسلم ثناء كبار علماء الإسلام فاتّجهت أنظار هؤلاء إليه في الهند. خصوصا بعد أن ألّف كتابا من خمسة أجزاء بعنوان (البراهين الأحمديّة على حقيقة كتاب الله القرآن والنّبوّة المحمّديّة). قدّم فيه ثلاثمائة دليل مستمدّة من القرآن الكريم نفسه تدليلا على مصداقيّة ما طرحه في عنوانه.

لكنّ هذا الذي حدث لم يُعجب الحكّام الإنكليز المستعمرون. وذلك لفشل مخططهم التّبشيريّ. فاستغلّوا اعتقاد المسلمين التّقليديين بحياة المسيح النّاصري وأنّه في السّماء. هذا الاعتقاد الذي كنت أثبتُ خطأه من القرآن الكريم ومن الأناجيل نفسها. فاستغلّ الحكّام الإنكليز

هذه العقيدة الشّائعة خطأ بين المسلمين وراحوا يحرّضون مشايخ المسلمين التّقليديين جامدي الفكر لتكفير هذا الدّاعية المسلم العظيم وضايقوه بوسائل الإعلام التي تُشرف عليها الحكومة. وفي تلك السّنوات، وفي عام 1882 م بالذّات صرّح هذا الدّاعية المشار إليه بأنّ ربّه قد بعثه مجدّدا لهذه الأمّة وأيّده بعجائب المعجزات التي تُثبت هذه الحقيقة. وقد أمسى إعلانه المذكور وسيلة خصام بأيدي العلماء الذين عادوه وكفّروه. وتحقّق قول الله عز وجلّ ﴿ وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلاً إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴾. فلمّا بدأ الله عز وجلّ يكشف على هذا الدّاعية أنّه تعالى قد بعثه مصداق ما أورده جلّ شأنه من نبوءات متعلّقة ببعثته وبالمهام الموكلة إليه من ربّه عزّ وجلّ، جُنّ جنون أولئك المشايخ الذين عادوه. وأخذوا يحرّضون الإنكليز على القضاء عليه بحجّة أنّ المهدي عندما يظهر يقتل الكفار أينما كانوا. وأنّه ما دام قد ادّعى هذا الادّعاء، فسيقوم في يوم من الأيام بمحاربة الإنكليز، ووفق ما ورثوه من اعتقاد بهذا الخصوص خطأ. الأمر الذي دفع هذا الدّاعية المجدّد لتبرئة نفسه من هذا الاتّهام. وأظهر للدّولة أنّه ممنون فضل الحكام الذين خلّصوا المسلمين من ظلم حكم البوذيين وبسبب إعطائهم المسلمين حرّية الاعتقاد والتّعبير عن مبادئ وتعاليم دينهم. ودحض عقائد غيرهم من أصحاب الدّيانات التي تعادي الإسلام والمسلمين. وابتدأ بذلك دور جديد من الصّراع بين هذين الطّرفين.

وقد ركّز هذا الدّاعية المجدّد، بعد إعلانه المذكور على أمور رئيسيّة هي: *أولاً* ـ على أنّ المسيح قد مات وعلى حسب ما كشفه ربّه عليه.

وأنّ ربّه قد بعثه مصداق ما ورد في الحديث النّبويّ (أنّه يكسر الصّليب) بمعنى يبطل عقيدة موت المسيح على الصّليب بالحجّة والبرهان *ثانياً* - كما ركّز على أنّ زمنه هو زمن العودة إلى إشاعة علوم الإسلام بالحجّة والبرهان، والإعراض عن نشر الإسلام بالسّيف والسّنان. وأنّ زمن الجهاد بالسّيف قد انتهى بسقوط الخلافة العثمانيّة. وأن الله تعالى قد ابتدأ به دورا جديداً للإسلام. وأنّ هذا الذي يعلنه ورد مصداقا لما ورد في الحديث النّبويّ من أنّ المهدي (يضع الحرب). *ثالثاً* - ونبّه إلى أنّ هذا القرآن المجيد الذي وصلنا سالما كما أُنزل على محمّد رسول الله ﷺ هو كتاب أُحكمت آياته. وإنّ إحكام آياته يتنافى وعقيدة النّاسخ والمنسوخ المتوارثة بين المسلمين خطأ عن السّلف من علمائهم. كما صحّح أفكارا أخرى خاطئة وتحقّق بذلك على يديه ما ورد في الحديث النّبويّ من أنّ هذا المجدّد يكون (حَكَماً عَدْلاً) يفصل في كلّ ما وقع في هذه الأمّة من اختلافات فكريّة وعقائديّة. *رابعاً* - وقد نبّهنا إلى أنّ لهذا لقرآن المجيد منهجيّته وأصول تفسيره، وبدون الأخذ بها ينحرف المفسّر عن فهم حقيقة دلالات الآيات القرآنيّة. وضرب لإثبات هذه الحقيقة أمثلة من الكثرة لا أجد هنا مجالا لإيرادها. ونبّه في الوقت نفسه إلى أنّ الله عز وجلّ قد جعل هذا القرآن المجيد هو المرجع الوحيد للمسلم. وهو باب نجاة هذا المسلم الصّادق في إيمانه. وقال (إنّ الخير كلّه في القرآن، وهو ينبوع فلاح المؤمن ومفازه) - التّعليم - . *خامساً* - ونبّه هذا الدّاعية المجدّد إلى أنّ المسلمين الذين قالوا بانقطاع الوحي الإلهيّ فإنّهم بهذا الاعتقاد يكونون قد قطعوا هذه اللّحمة الروحيّة الكائنة ما بينهم وما بين ربّهم عز وجل. وهل يُعقل أن يتفضّل الله جلّ شأنه على الأمم من قبلنا بنعمة

مكالمته وخطابه، ويحرم أمّة محمّد المصطفى هذه النّعماء؟ وأعلن بأنّ الله تعالى قد أرسله لإعادة هذه اللّحمة المفقودة ما بين المسلم وما بين ربّه عز وجلّ. إذ أنّ من صفة الله أنّه (الكليم) بمعنى أنّ الله لا ينقطع عن مكالمة عباده المتّقين. وأنّ كلّ من يهجره ربّه يُصاب بموت روحيّ لانقطاع هذه اللّحمة الروحيّة ما بينه وما بين خالقه جلّ شأنه. وأن لا علاقة ما بين بقاء الوحي وما بين كون محمّد خاتم النّبيّين. فعلاقة الوحي بالبشر حدّدتها الآية **51** من سورة الشّورى. ***سادساً*** ـ كما أعلن أنّ الله عز وجلّ قد قدّر أن تحدث على يديه البعثة الثّانية للإسلام وفق ما أنبأ الله تعالى عن ذلك في كتابه العزيز. ولذلك أمره ربّه بالتّالي القيام بتأسيس جماعة مؤمنة جديدة تعمل على تعاليم الإسلام ولتشكّل هذه الجماعة نواة عودة الحياة إلى هذا الدّين الإسلاميّ الحنيف. وبناء عليه فقد وضع حجر الأساس لهذه الجماعة المؤمنة عام **1888** ميلادية وتحت اسم (الجماعة الإسلاميّة الأحمديّة) ومشترطا على كلّ واحد قد شاء الانضمام إلى هذه الجماعة المؤمنة أن يتوب توبة نصوحا من جميع ذنوبه وأن يبايع هذا الدّاعية المجدّد وكلّ من يخلفه وأن يلتزم بالتّقيّد ببنود عشرة هي خلاصة ما أتى به هذا القرآن الكريم من تعاليم. وسأدرج بنود البيعة العشرة في آخر صفحات هذا الكتاب. وبهذا الأسلوب يكون هذا المجدّد قد أعاد بناء الكيان الروحي الهيكلي لجسم الأمة الإسلاميّة القائم على نظام الخلافة الإسلاميّة وعلى منهاج نبوّة محمّد خاتم النّبيّين. هذه الخلافة التي افتقدها المسلمون المتخلّفون. ويسعون لاسترجاعها، وظنّا منهم أنّها نظام سياسي. مع أنّها في حقيقتها نظام روحيّ مرتبط بوعد إلهي.

فعلى ماذا ركّز هؤلاء المسلمون المتخلّفون الذين عادوه؟ إنّهم صدّوا وضجّوا من ظهور هذا الدّاعية المجدّد، ومصداق ما ورد في نبوءة سورة الزخرف، وركّزوا في مقابل ذلك *أولاً* ـ على أنّ المسيح حيٌّ في السّماء وأنّه لم يئن أوان نزوله من السّماء حتّى الآن. *ثانياً* ـ وأصرّوا على الجهاد بمعنى محاربتهم الذين كفروا بالإسلام بالعنف والقتال. *ثالثاً* ـ كما تمسّكوا بعقيدة النّاسخ والمنسوخ التي لا أصل لها في كتاب الله تعالى، وتسيء إلى مكانته أيضاً. *رابعاً* ـ وتمسّكوا بهذه التّفاسير القديمة التي لم يستند الذين كتبوها إلى منهجيّة القرآن الكريم وأصول تفسيره. *خامساً* ـ وأصرّوا على عقيدة انقطاع نزول الوحي من بعد بعثة محمّد رسول الله ﷺ بحجّة أنّه خاتم النّبيّين. مع عدم وجود علاقة بين ختم النّبوة واستمرار مكالمة الله الخالق لعباده بطرق حدّدتها الآية 51 من سورة الشّورى. وبذلك ما عاد لهم من وليٍّ ولا نصير. *سادساً* ـ وراحوا يقومون بتنظيم جمعيّات وأحزاب لإعادة الخلافة المفقودة متغافلين عن أنّ نظام الخلافة مرتبط بالوعد الإلهي الوارد في الآية 55 من سورة النّور وبوجود مؤمنين متّقين يرضى عنهم ربّ العالمين. ومصداق قول الله عز وجلّ ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾. وأنّى يستحقّ الخلافة هؤلاء المتخلّفون من المسلمين الذين يقولون مالا يفعلون؟

وعلى هذه الصّورة لابدّ وأن لاحظ هذا القارئ المسلم كيف أنّ تلك الأمور الأربعة التي أشارت إلى حدوثها النّبوءات القرآنيّة المتعلّقة

بحدوث بعثة ثانية للإسلام على أيدي المجدّد الذي يظهر في النّصف الثّاني من القرن التّاسع عشر قد تحقّقت. وهي تلك الأمور التي أفادنا بها استقراؤنا لتلك الأنباء الأربعة التي أتينا على ذكرها في الباب الأوّل من هذا الكتاب. فقد ظهر المجدّد الأعظم (ذو القرنين)، وقام بمثل ما كان قد قام به المسيح ابن مريم في الأمّة الموسوية. وذلك بظهوره بعد بعثة محمّد ﷺ بأربعة عشر قرن من الزمان. ولم يكن هذا المجدّد عربيا بل كان من أصل فارسي. وهي الحقيقة التي ثبتت صحّتها من خلال شجرة عائلة المجدّد المذكور. وأنّ هذا الدّاعية المجدّد وُلد مسلماً وعاش مسلماً ومات مسلماً وكان من أمّة سيّد الثّقلين. وشهد بوسيلة الحجّة والبرهان على صدق هذا القرآن المجيد وعلى صدق نبوّة محمّد خاتم النّبيّين ﷺ. وقد تحقّقت على يديه البعثة الإسلامية الثّانية الموعودة. فسبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم. فهذه معجزة قرآنيّة قد تحقّقت بشكل جليٍّ، ولم تحدث صُدفةً، بل حدثت وفق ما ورد في هذا القرآن العظيم من نبوءات قبل أربعة عشر قرن من الزمان. وهي معجزة مؤلّفة من عدّة عناصر وليس من عنصر واحد حتى يقال أنّها حدثت من قبيل الصّدفة. والذي يزيد في إعجاز هذه المعجزة القرآنيّة أنَّ المفسّرين القدماء ومن عاصرهم من علماء لم تتجلّى لأعينهم معالم هذه الحقيقة إلى أن جاء النّصف الثّاني من القرن التّاسع عشر، وليثبت الله عز وجلّ من خلال ذلك أنّ هذا القرآن قد أنزله الله ربّ العالمين لكلّ زمان ومكان. وأنّ حقائقه لا تتّضح إلا على أوقاتها. وهي الحقيقة التي أشار إليها قول الله تعالى في كتابه العزيز بحقّ هذا القرآن العظيم وفي سورة

الواقعة بالذّات حيث قال ﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾ إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ ﴿٨١﴾ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴾. أي أنّه تعالى قد ربط إحكام وترتيب تعاليم كتابه العزيز بإحكام وترتيب مواقع نجوم السّماء وبصيغة القسم الدّال على الاستشهاد بذاك الإحكام والتّرتيب.

ومن جهة أخرى فقد أكّد تعالى على أنّ ما في هذا القرآن من كتاب مكنون ﴿ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴾ أي لا يدرك معانيه إلا من طهّر الله عز وجلّ أفئدتهم بيديه المقدّستين. وعليه فأنّى لهؤلاء المسلمين المتخلّفين الذين ضجّوا وأنكروا صدق هذا المجدّد الأعظم من إدراك معالم هذه المعجزة القرآنيّة؟ ألا إنّهم لا يدرون بأنّ إنكارهم لهذا الدّاعية المجدّد، يُنكرون في الحقيقة هذا القرآن نفسه ويُدينون أنفسهم أمام بارئهم جلّ شأنه في هذه الدّنيا ويوم يقوم الأشهاد. وليصير مصيرهم إلى ما صار إليه حال الأمم التي مضت من قبلهم. خصوصا وأنّ الله تعالى كان قد أنذرهم في هذا القرآن العظيم وقال ﴿ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴾. والمهمّ في الأمر هو أنّ الله الخالق قد أثبت وجوده في زماننا من خلال دليل هذه المعجزة القرآنيّة. فأثبت جلّ شأنه أنّه لا يجري في هذا العالم إلا ما قرّره هذا الإله الواحد الأحد الذي لا شريك له في ملكه. وأنّه هو مالك السّماوات والأرض. وهو الله العزيز الذي أنزل هذا القرآن العظيم ليعالج بواسطة ما تضمّنه جميع مشاكل عباده وإلى انتهاء هذا العالم. وهو الذي أنبأ عن ظهور فتنة هذا الدّجّال التي تحدّثنا

عنها والتي عادت هي شغل العالم بأسره في هذا الزمان. وهو الذي وضع الحلّ النّاجع لكلّ ما يجري من أهوال وفساد ومصائب حلّت بالبشرية على أيدي هذا الدّجّال. لذلك فلا أمن بعد اليوم ولا سلام إلا عن طريق مبايعة صاحب هذه البعثة الثّانية للإسلام. وإنّ كلّ من أعرض عن الأخذ بهذا الدّواء النّاجع. ورفض ركوب (سفينة الخلاص) هذه التي بها وحدها قد قدّر الله تعالى النّجاة من هذا الطّوفان الذي عمّ الأرض كلّها في أيّامنا هذه. فإنّ هذا الإنسان الرافض ركوب سفينة الخلاص هذه، يكتب بيده مصير نفسه، وسيكون مصيره نفس مصير ابن النّبي نوح الذي لم يستجب لنداء أبيه عليه السّلام. وقال ﴿سَـَٔاوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٖ يَعۡصِمُنِي مِنَ ٱلۡمَآءِ﴾. فالله عز وجلّ هو الذي أشار على نبيّه نوح أن يصنع سفينة النّجاة التي أضحكت قوم نوح واستهانوا بهذا العلاج الذي أتاهم به نوح عليه السّلام. فقوم نوح هلكوا بالطّوفان. وهلك ابن نوح بسبب أنّه كان فاسقا ولم يكن مؤمنا فشابه قوم نوح. وكان ما كان.

وهكذا فقد تبيّن للقارئ المسلم بأنّ الإمام المجدّد قد ظهر في الزمن الذي أنبأ عنه هذا القرآن المجيد. وقد جعله ربّه (سفينة الخلاص) من أهوال هذا الطّوفان الذي عمّ العالم بأسره بعد ظهور هذا الدّجّال الذي أنبأنا القرآن المجيد عن ظهوره، وحذّرنا منه ومن فتنته محمّد رسول الله ﷺ. وإنّ سفينة الخلاص هذه جاءت وفق النّواميس الطّبيعيّة أيضاً.

وهنا قد يسألني القارئ عن اسم هذا الدّاعية المجدّد المذكور، فأقول له: اسمه مرزا غلام أحمد. وُلد عام **1835** م في قرية (قاديان من ولاية

البنجاب في الهند. وهي قرية واقعة شرقي دمشق أي على خط العرض المار من دمشق شرقاً. ووفق الحديث النّبويّ (ينزل على منارة بيضاء شرقي دمشق). وتوفّاه ربّه عام 1908 م عن عمر ناهز ثلاث وسبعين سنة. وذلك بعد أن بلغ عدد الذين صدّقوه وبايعوه أربعمائة ألف مبايع. وقد ألّف حضرته ما يزيد عن الثّمانين كتابا باللّغتين العربيّة والفارسية. وترك عشرات المجلّدات التي جمعت مواعظه وخُطبه وأجوبته على أسئلة سائلين. فإن سألني هذا القارئ عن كيفيّة انتخاب خليفة له، فأقول: نحن اليوم في زمن خليفته الخامس. وانتخاب الخليفة يتمّ على نفس أسس انتخاب الخلفاء الذي تمّ في صدر الإسلام. وكأنّ التّاريخ قد أعاد نفسه بعد وفاة هذا الدّاعية المجدّد المشار إليه.

فإن سألني القارئ عن حقيقة هذه الجماعة الإسلامية الأحمدية التي وضع المجدّد مثيل ابن مريم حجرها الأساس عام 1988م وعمّن تكون؟ فأجيب هذا القارئ وأقول: إن المشايخ الوهابيين في الهند، أولئك الذين كفروا جميع المجددين الذين ظهروا في الأمة الإسلامية عبر تاريخها الطويل ومن منطلق اعتقادهم بانقطاع مكالمة الله تعالى عباده الصالحين بعد بعثة محمد رسول الله ﷺ. فهم كفّروا مرزا غلام أحمد بسبب أنه كان محدثاً كبقية مجدّدي هذه الأمة. وقلّدهم في عمليّة التّكفير هذه كثير من المشايخ المقلّدين. وقد عمد أولئك الوهابيون، الذين كان على رأسهم الشيخ محمد حسين البطالوي، إلى تشويه صورة مرزا غلام أحمد في أعين مسلمي بقية الأقطار في العالم، ومنها الأقطار العربية. فصوّروه في أعينهم بأنّه قد أسس مذهباً إسلامياً جديداً.

على حين أنّ حضرة المرزا كان من أهل السنّة والجماعة ولم يؤلف مذهباً إسلامياً جديداً. بل كل ما فعله أنه ألّف جماعة سنية بايعته على أنه المهديّ المنتظر ظهوره آخر الزّمان، والمُنبأ في القرآن الكريم عن أنّه سيكون مثيل ابن مريم من عدّة وجوه، وكما أثبت مصداقيّة ذلك في هذا الكتاب. وعليه فالجماعة الإسلامية الأحمدية هي طائفة مسلمة أعاد الله عز وجلّ عن طريقها الخلافة الإسلاميّة المفقودة التي تسعى جميع فرق المسلمين إلى إحيائها، وتفشل على الدوام. بسبب أنّها متغافلة عن الخلافة التي أعادها الله عز وجل على منهاج نبوة محمد المصطفى ﷺ، وعن طريق المجدّد الأعظم مرزا غلام أحمد. فالبيعة في هذه الجماعة الإسلامية الأحمدية تعتبر رابطة عقيدة، وليست ورقة انتساب إلى جمعيّة أو حزب سياسي.

والوهابيون في الهند لم يكتفوا بتكفير مرزا غلام أحمد، وتصويره للناس على أنّه جاء بمذهب إسلامي جديد. بل زعموا بأنه ادعى النبوّة التي انتهت بظهور محمد خاتم النبيين ﷺ. ومن منطلق اعتقادهم بانقطاع نزول الوحي الإلهي بعده ﷺ.

على حين أنّ مرزا غلام أحمد فرض على كلّ من يبايعه أن يكون مُعتقداً بأن محمداً هو خاتم النبيين. فمرزا غلام أحمد لم يدع النبوة المعروفة لدى المسلمين. وكلّ ما في الأمر أنه أعلن بأنه كان محدثاً ويتلقى بشارات ربه وتفهيماته وعلمه اللّدني. وعلى شاكلة ما كان عليه جميع مجدّدي هذه الأمة الإسلامية. أولئك الذين كانوا على صلة

مع ربهم ويتلقون منه البشارات، والتفهيمات، والعلم اللّدني. وهذه حقيقة تميزت بها تعاليم الدين الإسلامي الحنيف المعطاءة، وهي مدعاة للفخر والاعتزاز، وليس مدعاة للاستنكار. فالإسلام دين حي. ومصداق قول الله تعالى في الآية 62 من سورة يونس: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ۝٦٣ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾. فالوهابيون، والحال هذه، أعداء لكلّ ما هو روحاني.

فالجماعة الإسلامية الأحمدية قد شكلت في حقيقة أمرها، نواة وحدة إسلامية شاملة مبرأة مما ابتُلي به المسلمون عبر القرون الماضية من انحرافات وأمراض روحية. وهي لا تتدخل في سياسة البلد الذي يتواجد فيه أفرادها. ولا تقوم بحيثيتها الجماعية بأي نشاط سياسيٍّ أينما كانت. وتترك لكل فرد من أفرادها حرية التصرّف، ولكن بما لا يتنافى مع نشر الدعوة الإسلامية. وهي لا تسعى لإقامة دولة، ولا إلى إقامة تشريع إسلامي تفرضه على دولة من الدول.

فعلى أساس من هذا الفهم الذي ذكرناه. فلا يقاوم الجماعة الإسلامية إلاّ كل إنسان صاحب عقل رجعي وتقليدي. يرفض فهم الآيات القرآنية على ضوء معطيات متغيرات الزمان. وبذلك يتناقض مع نفسه حين يعتقد بأن هذا القرآن صالح لكل زمان ومكان. ولا يقاوم هذه الجماعة إلاّ كلّ حاسدٍ لها يحسدها على سلامة تنظيمها، وعلى

تمتعها بنعمة الخلافة الإسلامية المفقودة، وعلى ملاحظته تقدّمهم بالرّغم من جميع ما وضعه أعداؤها في طريقها من عقبات. ولا يُقاوم هذه الجماعة إلاّ كلّ مضلّل يحاول تشويه صورتها في أعين الجماهير.

وممّا خاطب به مرزا غلام أحمد الناس في مؤلفه (تذكرة الشهادتين) صفحة 65 قوله: (اسمعوا أيها الناس جميعاً، إنّما هذا نبأ الله تعالى الذي خلق السماوات والأرض: إنه تعالى وعدني بإظهار هذه الجماعة على جميع الجماعات في العالم بالحجة والبرهان. وإنّ الأيام لآتية بل إنّها لقريبة يوم لا يعودُ يُذكرُ بالعزّة في الدنيا إلاّ جماعتنا. إنّ الله ليباركنّ هذه الجماعة مباركة خارقة للعادة. وإنّ كلّ من يسعى لاستئصالها ليُخيبنّه الله عز وجلّ. وستدوم غلبة هذه الجماعة إلى أن تقوم الساعة.). وعش رجبا ترى عجبا.

الفصل السّادس:

منطق التّاريخ ومصير العالم

وأعود في هذا الفصل السّادس إلى الآية التي لفتُ نظر القارئ المسلم إليها في مقدّمة هذا الكتاب، وهي الآية 15 من سورة المزّمل التي قال الله تعالى فيها ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ رَسُولاً شَـٰهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولاً﴾. فقد بيّنت في مقدّمة هذا الكتاب دلالة كاف التّشبيه الواردة في هذه الآية سالفة الذّكر على أن ما سيحدث لأمّة محمّد سيشابه ما كان جرى لأمّة موسى من قبل. ولقد أثبتّ هذه الحقيقة من خلال التّنبيه إلى النّبوءات الأربعة المتعلّقة بحدوث بعثة إسلاميّة ثانية على أيدي مجدّد الأمة الأعظم الذي يجعله الله تعالى مثيلاً لابن مريم من حيث البعد الزمني عن النّبيّ المشرّع، ومن حيث المهمّة الموكلة إلى المجدّد المشار إليه. وأثبتّ مصداقيّة ظهور هذا المجدّد مثيل ابن مريم أيضاً الذي اشتهر على مدى تاريخ الإسلام بأنّه (المهدي). وإنّ كلمة المهديّ نفسها تُشير إلى أنّه يأتي زمانٌ على أمّة محمدّ يفقد أهلها الهداية الحقيقية. فيبعث الله تعالى رجلا (مهديّا) أي مسلماً اهتدى بتوجيه من ربّه عز وجلّ ليصبح سفينة خلاص من جميع

ما حدث في الأمة من انحرافات عن سبيل الهداية الحقيقيّة التي جاءت بها تعاليم الدّين الإسلاميّ الحنيف. وهل هناك من ضلال أكثر من الاعتقاد بحياة المسيح في السّماء؟وبالاعتقاد بوجود النّاسخ والمنسوخ في القرآن المجيد؟ وبالاعتقاد بانقطاع الوحي وعدم مكالمة الله تعالى أحدا من أتباع سيّد المرسلين وخلافا للواقع الدّالّ عليه ظهور مئات وألوف الأشخاص من المسلمين المتّقين من أشهدوا ربّهم على أنّه يكلّمهم ويهديهم سبيلا؟ فهل ستقف مشابهة هذين المجدّدين المذكورين عيسى ابن مريم وهذا المجدّد المسلم (ذو القرنين) والذي يماثل ابن مريم عند هذا الحدّ الذي ذكرناه، أم ستمتدّ مشابهتهما إلى أكثر من ذلك؟

وأجيب على هذا السّؤال بنفس ما أورده الله تعالى بعد الآية 15 من سورة المزّمل. فالله جلّ شأنه قال بعد تلك الآية ﴿ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذْنَٰهُ أَخْذًا وَبِيلًا ﴿١٦﴾ فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا ﴿١٧﴾ ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ ۚ كَانَ وَعْدُهُۥ مَفْعُولًا ﴿١٨﴾ إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴾. أي أنّه جلّ شأنه وبعد أن لفت نظر أمّة محمّد إلى مشابهتها مع أمّة موسى عليه السّلام. وكان في ذلك الإشارة إلى أنّ هذه الأمّة ستصاب بالتّخلّف والبعد عن تقوى الله تعالى وحبّ الدّنيا والاندفاع وراء شهواتها. ولذلك يبعث الله تعالى مثيل ابن مريم ليقوم ببعثة إسلاميّة ثانية على نفس نهج وتعاليم البعثة المحمّديّة، وليتمّ الله تعالى على يديه مسيرة الدّعوة الإسلاميّة التي أهملها المسلمون، وليظهر الإسلام على يديه على الدّين كلّه. فبعد أن

لفت تعالى أنظار المسلمين إلى هذه الحقيقة القادمة وتلك المشابهة المشار إليها. فقد ذكّر تعالى هؤلاء المسلمين بعاقبة فرعون الذي كذّب الرسول الذي أرسله الله تعالى للقيام بمهمّة معيّنة. وكيف أخذ الله تعالى فرعون لعصيانه مشيئة ربّه عز وجلّ ﴿أَخْذًا وَبِيلًا﴾. وكأنّ الله تعالى بهذا التّذكير المشار إليه قد خاطب هؤلاء المسلمين الذين عصوا هذا الرسول المجدّد مثيل ابن مريم بأنّ عاقبتهم ستتشابه مع عاقبة فرعون الذي أخذه ربّه أخذا وبيلا. وعليه فتوجد ما بين المشابهة الأولى وما بين هذه المشابهة الثّانية صلة عضويّة يقينيّة. وإنّ على هؤلاء المسلمين الذين ضجّوا من ظهور مثيل ابن مريم وتباهوا بما لديهم من علماء، أن يحسبوا لقوله تعالى بعد هاتين الآيتين سالفتي الذكر ﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا ۝١٧ السَّمَاءُ مُنفَطِرٌ بِهِ ۚ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا ۝١٨ إِنَّ هَٰذِهِ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾.

فالذي حدث بعد بعثة عيسى ابن مريم أنّ اليهود ضجّوا من بعثته وكفروا به وتباهوا بما لديهم من علماء كتبة وفرّيسيين. وقد أنقذ الله تعالى المسيح ابن مريم ممّا كاده له اليهود. وخاطبه وعلى حسب ما أخبرنا به هذا القرآن العظيم وقال في الآية 55 من سورة آل عمران: ﴿وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾. وقد حقّق الله عز وجلّ وعده المذكور. وإنّ عدد اليهود بعد مضي ألفي عام على بعثة المسيح لم يعد يساوي في مقابل عدد أتباع المسيح شيئا يُذكر. وعليه فإنّ حال هؤلاء المسلمين الذين ضجّوا من بعثة مثيل ابن مريم لن

يكون حالهم في المستقبل أعظم شأنا من حال الذين عادوا المسيح ابن مريم يقينا. وقد أحببت أن أُلفت نظر كلّ مسلمٍ طالع كتابي هذا، وأعرض عن مبايعة هذا المجدّد مثيل ابن مريم، إلى هذه المشابهة الأخيرة التي تنتظره. فهذا كلام الله تعالى الذي أنزل هذا القرآن العظيم على قلب محمّد المصطفى والذي جاء هذا المجدّد الخادم الأمين ليبعث الروح من جديد في كيان هذا الدّين الإسلاميّ الحنيف الذي أتى به صلّى الله عليه وسلّم.

فبقلب حزين وبكامل الأسى على كلّ من يستهين بما أطلعته عليه في هذا المؤلّف الذي علّمني ربّي مضمونه ودفعني لإشهاره، أقول:

لا تقنطوا أيها النّاس من رحمة الله تعالى. فمن رحمته تعالى بنا مسلمين وغير مسلمين أن كان قد أنبأنا عن ظهور هذا (الدّجّال) التي تُسمّى شعوب (رفقته العظيمة) بشعوب (يأجوج ومأجوج). ومن رحمته تعالى بنا جميعا أن بعث هذا المجدّد مثيل ابن مريم في الوقت المناسب ومعه (سفينة الخلاص) من طوفان الفساد، هذا الفساد الذي عمّ الأرض كلّها. فهلّ من مدّكر؟؟ وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

الثّاني من ذي الحجّة عام 1425هجري
الموافق 2005/2/12 ميلادي

سليم الجابي

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- جميع معاجم اللغة العربية.
- جميع كتب الحديث النبوي (البخاري، مسلم، أبو داود، طحاوي، الترمذي، مرطأ الإمام مالك).
- سيرة ابن هشام.
- منهجية القرآن الكريم وأصول تفسيره.
- التفسير الكبير للفخر الرازي.
- تفسير ابن كثير.
- هل مات المسيح على الصليب؟
- هل قال القرآن بموت المسيح؟
- نشوء الإنسان وتطوره.
- في ظلال تفسير سورة الكهف.
- القضاء والقدر حقيقة كونية ثابتة.
- يوم الخلاص، كامل سليمان.
- البيان في أخبار الزمان؟

الفهرس

نبوءات قرآنيّة على طريق الإصلاح 5

مقدّمة الكتاب : 5

[الباب الأول] 15

الفصل الأول : طرح المبادئ والمعتقدات 16

الفصل الثّاني : المقاصد المطروحة في سورة الفاتحة 19

الفصل الثّالث : معالم مبادئ المسلم ومعتقداته 24

الفصل الرابع : تلخيص واستنتاج 43

[الباب الثّاني] 47

الفصل الأوّل : الإنباء عن بعثة شاهد منه 48

الفصل الثّاني : نبوءة ﴿ وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ ﴾ 61

الفصل الثّالث : نبوءة ﴿ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ ﴾ 82

الفصل الرابع : نبوءة ﴿ ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ﴾ 111

الفصل الخامس : دلالات مصطلحات سورة الكهف 126

الفصل السّادس : خلاصة مضامين النّبوءات الأربعة 138

[الباب الثّالث] حقيقةُ فتنة الدّجّال 153

تقديم لهذا الباب : 153

الفصل الأوّل : الدّجّال ونظامه الاقتصادي 157

الفصل الثّاني : الدّجّال وإفساده في الأرض 169
الفصل الثّالث : سفينة الخلاص من الدّجّال وفتنته 184
الفصل الرابع : النّبوءات الأربعة وعلامات المجدّد المنتظر 189
استقراء النّبوءة الرابعة : 189
استقراء النّبوءة الثّالثة : 191
استقراء النّبوءة الثّانية : 192
استقراء النّبوءة الأولى : 193
الفصل الخامس : أجل ظهر هذا الإمام المجدّد 203
أحوال الهند أواخر القرن التّاسع عشر : 203
ارتفاع صوت داعية مسلم : 205
الفصل السّادس : منطق التّاريخ ومصير العالم 218
المصادر والمراجع 222